جامعة الجزائر
معهد التاريخ

الحاج أحمد باي

رجل دولة ومقاوم (1826-1848)

رسالة لنيل شهادة الماجستير
في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب: بوضرساية بوعزة
إشراف الأستاذ الدكتور: جمال قنان

السنة الجامعية: 90 - 1991

يعود إختياري لشخصية الحاج أحمد باي كموضوع لهذا البحث إلى إهتمامي بالشخصيات التاريخية التي صنعت تاريخ الجزائر، فكان الحاج أحمد باي إحداها، و رمزا من الرموز التي لمعت في تاريخ المقاومة الجزائرية و واجهت الاحتلال الفرنسي منذ أن وطأت أقدامه أرض الجزائر الطاهرة، و كان قائدا فذّا و حاكما قديرا و بطلا مغوارا، دوّخ العدو الفرنسي و قادته لفترة طويلة دامت قرابة ثمانية عشر عاما.

و قد تأكد ميلي لدراسة هذه الشخصية كرجل دولة من ناحية و مقام من ناحية أخرى بفضل التوجيهات التي قدمت لي من طرف أستاذي المشرف، و التي عرفتني بأهمية الموضوع بالنسبة لتاريخ الجزائر، و تقصّي الحقائق التاريخية التي تعرّضت إلى كثير من التشويه و التزييف المقصود، و على الأخص ما يتعلق بوجوه المقاومة الجزائرية منذ بداية الإحتلال.

و بعد قراءة تمهيدية حول شخصية الحاج أحمد باي من خلال بعض المصادر مثل مذكراته، و كتاب المرآة لحمدان بن عثمان خوجة و غيرها، زاد إرتباطي به، فكان حافزا لي على الاهتمام به أكثر، و قد وقع إختياري بالذات على " الحاج أحمد باي رجل دولة و مقام "، نظرا لما لعبه من

دور بارزه سياسيا و عسكريا في التصدي للإحتلال الفرنسي، و محاولته في بناء دولة جزائرية، لم يكتب لها الإستمرار لفترة زمنية محددة، ليحمل بعدها لواء المقاومة في ربوع الشرق الجزائري .

و قد قدمت تصورا إلى أستاذي المشرف الدكتور جمال قنان، فبارك الموضوع لعدة أسباب أهمها :-

1 - أن شخصية الحاج أحمد باي لم تحظ بدراسة وافية و شاملة .

2 - الغموض الكبير الذي ما يزال يشوب هذه الشخصية، و التي تكاد تكون مغمورة .

3 - جدية الموضوع لتناوله جانبان أساسيان، الأول يتناول الحاج أحمد باي رجل دولة، و الثاني يتناول مقاومته كمرحلة ثانية .

4 - أن جل الكتب التي تحدثت عن تاريخ الجزائر خلال القرن التاسع عشر سواء المصادر منها أو المراجع لم تعط هذه الشخصية حقها من الإهتمام، الذي نجده قد تركز حول بعض الشخصيات الجزائرية دون الأخرى .

5 - أن الموضوع الذي نعالجه اليوم لم يدرس من قبل إلا من بعض النقاط التي أثرناها في الباب الأول فقط .

6 - لم نعثر على أية دراسة شاملة و وافية تبرز دور الحاج أحمد باي على أنه رجل دولة .

7 ـ الباب الثاني الذي خصصناه لمقاومة الحاج أحمد باي من 1837 إلى 1848، لم يحظ بأية دراسة و يكاد يكون مفقودا تماما .

و خلاصة هذه الأسباب أن هذا الموضوع الذي نعالجه اليوم، لم يدرس من قبل إلا في صور ضئيلة يتخللها فراغ تاريخي كبير، لم تعكس الحقيقة التاريخية لهذه الشخصية الفذة .

و قد إزددنا شغفنا بالموضوع خاصة لما وجدناه فيه ما يلبي إهتماماتنا، و تعلّقنا به أكثر لمّا علمنا بعد تصفحنا ما كتب عنه أنه تنل حقه من الاهتمام، و على الرغم من أنه ليس هناك دراسة جادة حوله فإننا إرتبطنا به أكثر نظرا لتعمد بعض الباحثين جزائريين كانوا أو فرنسيين طمس هذه الشخصية على أنها تمثل الإدارة العثمانية و بالتالي فهي إستمرار لنظامها، و أنها لم ترق للمستوى حتى تسلط عليها الأضواء .

و نلاحظ أن كل من كتب عن الحاج أحمد باي بالنسبة للفترة التي تناولناها أجحف في حقه، فمرحلة المقاومة بعد سقوط عاصمة الإقليم الشرقي عام 1837 ، بقيت مجهولة تماما، عدا بعض الاشارات السطحية، مثلما جاء في المذكرات و مقالة يحي بوعزيز حول تواجد الحاج أحمد باي بأولاد سلطان

و لذلك يمتاز عملنا هذا في تغطية هذه الفترة بالاعتماد على الوثائق و بعض المصادر مثل الرسائل التي كان يبعثها لشيوخ القبائل، و التقارير العسكرية عن الأوضاع بالاقليم الشرقي، و التي ساعدتنا على إبراز الحاج أحمد باي على أنه كان من مصاف الشخصيات الجزائرية التي ساهمت في صنع حكومات عجّلت الناصرون في سقوطها، و التي قاومت الاحتلال إلى آخر لحظة بسيفها و قلمها و مالها من أجل الوطن.

أما أسباب تحديد هذا الموضوع بالفترة الممتدة من عام 1826 إلى 1848، فهي كثيرة، أهمها ما يلي/ -

أولا - ان بداية هذه الفترة بعام 1827، و التي تعتبر منطلقا تاريخيا جديدا بالنسبة لحياة الحاج أحمد باي في ارساء دعائم دولة قامت على الاستقرار و الأمن و التي بدأت تظهر للوجود مع طلائع عام 1830، و بالتالي فان سنة 1826 هي سنة تعيينه كباي على بايلك الشرق، فأصبح بعدها حاكما قديرا يحظى باحترام العام و الخاص، و قائدا فذا له من الدهاء السياسي و العسكري ما يخوّل له أن يتبوأ هذه المكانة الرفيعة، التي جعلت منه رجل دولة، فقاوم الاحتلال الفرنسي إلى غاية 1848 عام إنكساره.

ثانيا - شهدت هذه الفترة بناء دولة جزائرية على يد

الحاج أحمد باي لها مؤسساتها التشريعية و التنفيذية والقضائية

ثالثا ـ لاحظنا كذلك أن أعمال الحاج أحمد باي كرجل دولة

لم تدرس كما يجب، و ما كتب عن هذا الجانب لم تبرزه

كسياسي حاول بناء دولة جزائرية أراد أن يجعل من قسنطينة

عاصمة لها بعد سقوط العاصمة الفعلية الجزائر، حيث أن هذه

الأعمال تجسدت ما بين 1830 و 1837 عند عودته من مشاركته

في مواجهة العدو الفرنسي إلى غاية سقوط قسنطينة .

رابعا ـ تعتبر الفترة المتبقية من كفاح الحاج أحمد باي، أي

من 1837 إلى 1848 عام إنكساره أمام الاحتلال الفرنسي، الحلقة

المفقودة التي أهملتها المراجع إهمالا تاما، رغم أهميتها بالنسبة

للمقاومة الجزائرية في المناطق الشرقية و الجنوبية الشرقية .

أما الصعوبات التي واجهتني عند التصدي لدراسة

هذا الموضوع الذي لم يكن بالأمر الهين، منها البحث عن

الوثائق و المصادر المعاصرة لفترة البحث، و مقارنتها، ثم العمل

بجدية للقيام بترجمة المادة التي تتطلب هي الأخرى صياغة

جديدة، حسبما تتطلبه خطة البحث، و قد أورثتنا هذه

الوضعية الصعبة نوعا من اليأس، و لا نغالي إن قلنا أننا لم

نطمع حقيقة إلى تحقيق هذا العمل المتواضع لولا التشجيع

الذي لقيناه من طرف الأستاذ المشرف الدكتور جمال قنان .

— — —

و لكن لا يكاد يوجد عمل واحد بدون صعوبات، غير أن ضرورة السفر إلى دور المحفوظات بفرنسا ، خاصة أن الوثائق المعتمد عليها كانت من أساسيات مادة الموضوع ، فكانت الزامية السفر ضرورية رغم انعدام الإمكانيات المادية، حيث أننا لم نستفد كما يجب من المنح القصيرة المدى .

و هذه الدورات الدراسية كان القصد منها الإطلاع على الوثائق التي لها علاقة بالبحث، و الموجودة في دور المحفوظات التالية /

- محفوظات وزارة الحربية بفانسان .
- محفوظات ما وراء البحر بإكس-آن - بروفانس .
- محفوظات المكتبة الوطنية بباريس .
- أرشيف وزارة الخارجية بالكي دورسي .

و تعتبر الوثائق التي إطلعنا عليها من مراسلات و تقارير، و خرائط عماد هذا البحث، حيث أن الأغلبية منها لم يسبق الاعتماد عليها كما يجب، و هذا ما زادني قوة على مواصلة العمل في هذا الموضوع الذي إذا كان له هدف إنما هو إخراج شخصية الحاج أحمد باي من الظلام الذي أحيط به قصدا أو دون قصد .

و قد حاولت التعرض بإمعان لهذه الشخصية ضمن الفترة المخصصة للبحث، متجاوزا إياها في الفصل

الأخير الذي تضمن إنعكاسات مقاومة الحاج أحمد باي على الوضع بعد عام 1848 ، في النواحي الشرقية و الجنوبية الشرقية نظرا للإرتباط المباشر ، غير المباشر القائم بين مقاومة الحاج أحمد باي و المقاومة التي إستمرت بعده .

و قسمنا هذا العمل إلى مدخل و بابين أساسيين، ففي المدخل تناولنا جغرافية بايلك الشرق، تعرضنا فيه الموقع الجغرافي العام للمنطقة، و التعريف بقسنطينة بإعتبارها عاصمة للإقليم الشرقي و ما لها من أهمية إستراتيجية، إلى جانب القبائل التي تقطن المنطقة بكل فروعها .

و المدخل هذا عبارة عن معلومات نراها ضرورية لأنها تلقي الضوء على جغرافية المنطقة و الوضعية السكانية لها ، خلال القرن التاسع عشر هذه الوضعية التي أراد الباحثون الفرنسيون طمس حقيقتها ، نظرا للنمو السكاني المستمر الذي كان يخيف العدو الإستعماري لأنه يهدد تواجده معمريه، لذا كان المدخل صورة واضحة تعكس منطقيا حقيقة المنطقة.

أما الباب الأول ، و هو تحت عنوان " الحاج أحمد باي رجل دولة " ، فقد ضمن ثلاثة فصول ، درسنا في الأول "حياة الحاج أحمد باي" ، حيث تعرضنا إلى مولده ، و نشأته ، هذه النشأة العربية التي تكاد تكون مجهولة لولا ما بذلناه من مجهود معتبر مكننا من إلقاء الضوء عليها في صورة

جديدة، و كذلك الصفات الخلقية و البنية الجسمانية للحاج أحمد باي التي عرضناها كعنصر ثاني بالنسبة لهذا الفصل .

و كان عنوان الفصل الثاني " إدارة الحاج أحمد باي لبايلك الشرق "، و قد تضمن مختلف الأعمال التي قام بها الحاج أحمد باي و السياسة التي طبقها كحاكم فعلي جسّد الدولة الجزائرية في أعمال و تنظيمات جبارة، إدارية و سياسية، مكّنته من تكوين دولة قائمة على العدالة الاجتماعية و الحرية و المساواة، و كذلك إحداث مناصب إدارية لتسهيل تسيير شؤون الاقليم، إلى جانب مجلس شورى ينظر في القضايا الداخلية و الخارجية لهذه الدولة التي كانت في طور النشوء، إلى جانب التنظيم العسكري الذي كان وراء إنشاء جيش مدرب و مقسم إلى قسمين جيش نظامي، و جيش غير نظامي من المتطوعين، كما عمل على بناء الثكنات و قد أوكل هذا الجيش إلى مجلس عسكري له كل الصلاحيات في هذا الجانب . كما إهتم إلى درجة كبيرة بالحياة الثقافية التي إزدهرت في عهده، فجعل من قسنطينة حاضرة العلم و المعرفة، و بنى المدارس للتعليم الذي شهد كل مراحله من الابتدائي إلى العالي، و قد رفع مكانة العلماء فكانت قسنطينة مقصدهم، و قد أضفنا في هذا الفصل نشاط الحاج

أحمد باي العمراني و منه بناء قصره على النمط المعماري العربي الاسلامي ، إلى جانب محاولته توسيع قسنطينة ببناءات جديدة ، و توسيع أزقتها ، و تخصيص أماكن الحرف و المهن المختلفة ، إلى جانب الاعتناء بالمساجد التي راج دورها في عهده رواجا كبيرا .

و جاء الفصل الثالث تحت عنوان " موقف الحاج أحمد باي من الاحتلال الفرنسي " ، و تناولنا فيه علاقة الحاج أحمد باي بالاحتلال الفرنسي ، حيث أبرزنا المراسلات الهامة من قادة الجيوش الفرنسية له ، و محاولتهم إقناعه للاستسلام مقابل حفاظه على منصبه كباي ، و قد بيّنا رفضه القاطع لكل محاولات الاغراء ، و كرهه الشديد للفرنسيين منذ إحتلالهم للجزائر العاصمة و سيطرتهم على عنابة ، ليعلن الحرب ضدهم كرجل دولة و حاكم فعلي ، فتجسد ذلك في النظام العسكري المحكم الذي ميّز جيشه خلال حربه ضدهم عامي 1836و1837، و تلقينه للعدو درسا و عبرا ، و لولا نقص الذخيرة الحربية ، و نقص الدعم المعنوي نظرا للحصار الذي ضرب عليه و موالاة حكام تونس للعدو ، و إهتمام الأمير عبد القادر بالغرب الجزائري لهزمهم شرّ هزيمة . كما أوضحنا في هذا الفصل الخطط العسكرية التي طبقها الحاج أحمد باي ، و التي تعكس في

حدّ ذاتها قوة جيشه و إمكاناته القتالية مقارنة مع قوة العدو و خططه العسكرية بالنسبة لحرب 1836 و حرب 1837.

أما الباب الثاني جاء تحت عنوان " الحاج أحمد باي المقاوم "، و هو الجانب الذي نرى فيه أكثر اثارة من حيث الجديدة، كما أن هذه الفترة الممتدة من 1837 إلى غاية 1848، لم تدرس البتة، فكان لنا شرف دراستها و البحث في مضامينها، و قد تضمن هذا الباب الهام أربعة فصول، تناولنا في الأول " مرحلة 1837 ـ 1843 "، و التي تطرقنا فيها إلى الدور الايجابي الذي لعبه الحاج أحمد باي في تعزيز صفوف المقاومة، إنطلاقا من الأوضاع الداخلية بعد سقوط عاصمة الإقليم الشرقي، ثم سياسة فرنسا الاستراتيجية بالمنطقة و التي كانت ترمي من ورائها إلى تثبيت نفوذها، و كذلك علاقة الحاج أحمد باي بالأمير عبد القادر، و القصد من إبراز هذه العلاقة ليس الحط من قيمة الأمير عبد القادر لكن شدّ أزر الإخوة يعد الشدة واجب وطني، و هذا ما لم يبادر إليه الأمير عبد القادر الذي أعطى فرصة للعدو الفرنسي لتقويض الحاج أحمد باي، و أضرت بالمصلحة الوطنية. و أنهينا هذا الفصل بدور الحاج أحمد باي و جهوده في تعبئة قبائل الإقليم الشرقي .

و تطرقنا في الفصل الثاني إلى " مرحلة 1844 "،
التي تناولنا فيها إستراتيجية فرنسا العسكرية الجديدة في الاقليم الشرقي، هذه الاستراتيجية التي واكبت تعيين الجنرال بوجو مارشالا، إلى جانب تعيين الدوق دومال إبن ملك فرنسا و تعيينه قائدا أعلى للقوات الفرنسية المتواجدة بالاقليم الشرقي، و حاكما عسكريا على قسنطينة. كما أننا عرضنا ردّ فعل الحاج أحمد باي على هذه السياسة الجهنمية، المتمثل في الانقضاض على جلّ الحملات الفرنسية و سحقها، و عدم فسح المجال لها للتوغل داخل المنطقة الشرقية. و قد أشرنا في هذا الفصل إلى أهم حملة فرنسية بقيادة الدوق دومال على بسكرة و ردّ فعل المقاومة السريع ضدها.

كما تناولنا في سياق هذا الفصل مقاومة أولاد سلطان خلال فترة 1844 و فشل الحملات الفرنسية في تقويض مقاومة الحاج أحمد باي.

أما الفصل الثالث فقد تطرقنا فيه إلى " مرحلة 1845 ـ1848 "، و هي آخر مرحلة من مراحل مقاومته الباسلة ضد الاحتلال الفرنسي، و قد أبرزنا إعتصام الحاج أحمد باي بجبال الأوراس باعتبارها حصنا منيعا لا يمكن لقوات العدو إقتحامه، و بالتالي يمكن للحاج أحمد باي توجيه هجومات

المقاومة ، و مراقبة تحركات العدو ، كما تناولنا في نفس الفصل دعم الحاج أحمد باي لقبائل وادي عبدي ، و سياسة الأرض المحروقة التي طبقتها فرنسا محاولة منها إرهاب القبائل و إخضاعها لسلطتها . و أبرزنا إذكاء الحاج أحمد باي مرة أخرى نار المقاومة بين قبائل الأوراس ليزيد من لهيبها بين قبائل الجنوب الشرقي لبايلك الشرق . و قد أنهينا هذا الفصل بعنصر هام أوضحنا فيه بداية نهاية مقاومة الحاج أحمد باي بعد أن أصبح شيخا طاعن السن ، فأجبر على وضع السلاح ليحمل إلى قسنطينة ، و منها إلى مدينة الجزائر حيث وضع في السجن تحت الرقابة الشديدة دون أن يحقق رغبته في الذهاب إلى المشرق العربي إلى أن وافته المنية عام 1850 .

أما بخصوص الفصل الرابع و الأخير فقد جاء تحت عنوان " إمتداد روح المقاومة بعد نهاية مقاومه الحاج أحمد باي " ، و قد تناولنا فيه إنعكاسات مقاومته و إمتدادها عن طريق بعض الشيوخ الذين كانوا على صلة به ، و الذين كانوا يؤمنون بمصداقية الحاج أحمد باي ، منهم شيوخ الشرفة و بني سليمان ، إلى جانب الدور الإيجابي الذي لعبه الشيخ عبد الحفيظ و كذلك سي محمد الطيب و الإخوة بن عز

الدين، كما تطرقنا إلى دور الشيخ بومعزة في المقاومة، وما قام به الشيخ بوزيان من عمل بنّاء في حركة الجهاد التي كانت تهدف أساسا إلى محاربة الكفر. وأنهينا هذا الفصل بالتحالف العام الذي إهتدى إليه شيوخ القبائل ضد العدو الفرنسي تحت قيادة الرائد سان جرمان، فكان هذا التحالف بمثابة القوة الضاربة التي دوّخت العدو و دفعته إلى إعادة النظر في خططه العسكرية و معرفة نقاط ضعفها لتطويق المقاومة و القضاء عليها .

و قد أنهيت البحث بخاتمة أبرزت فيها النتائج التي توصلت اليها هذه الدراسة، و وضعت فيها الحاج أحمد باي في مكانه الحقيقي الذي كان يجب أن يكون فيه منذ زمن. و بالتالي كانت عبارة عن حوصلة لبعض الاستنتاجات على المستويين السياسي باعتبار الحاج أحمد باي رجل دولة، و العسكري الذي تضمن مقاومة الحاج أحمد باي لفترة طويلة إمتاز بها بالشجاعة و حب الوطن، و لمّ الشمل، و محاولة كسر شوكة العدو الفرنسي، الذي عاث في الأرض فسادا .

قائمه المختصرات باللغه الأجنبيه

- A - M - G : ARCHIVES de MINISTERE de la Guerre (VINCENNES)
- A - O - M : ARCHIVES d'outre- MER d'AIX- EN-PROVENCE.
- A - N - P : ARCHIVES nationales de PARIS.
- A - M - A - E : ARCHIVES du MINISTERE des Affaires etrangeres Quai D'ORSY.
- B - N - A : Bibliotheque nationale d'alger.
- B - N - P : Bibliotheque nationale de Paris.
- J - P : Journale la patrie.
- R - A : Revue africaine.
- R - S - A - C : Recueil de la société archeologique de constantine.
- R - O - M - M : Revue d'occident Musulman et Mediterranées.

الفصل المدخلي

جغرافية بايلك الشرق

1 ـ الموقع الجغرافي العام لبايلك الشرق
2 ـ التعريف بقسنطينة عاصمة بايلك الشرق
3 ـ قبائل بايلك الشرق

العنصر الأول

الموقع الجغرافي العام لبايك الشرق

يعتبر الإقليم القسنطيني من أهم أقاليم الجزائر جغرافيا ، و ذلك لتنوع مناخه بسبب إختلاف مناطقه. و ينقسم في هذه الحالة إلى ثلاثة أقسام هي /

أولا ـ المنطقة الساحلية .

ثانيا ـ المنطقة الوسطى .

ثالثا ـ المنطقة شبه الصحراوية .

بالنسبة للمنطقة الساحلية ، فهي عبارة عن تجمع جبلي على شكل سلسلتين توازيان الساحل ، كما يتخلل هذا التجمع بعض السهول. و ما يمكن إستثنائه من هذا الطابع الجبلي للسواحل ، هي منطقة " القل " ، إذ أن مرتفعاتها مندمجة فيما بينها ، و تنتهي عند حافة " وادي الصفصاف" و مرتفعات " الدوغ" شمال بحيرة " فزارة" بين خليج " سكيكدة" و خليج " عنابة" ، و بموازاة مع هذين الخطين من التضاريس تمتد سلسلة أخرى ملتوية من " البيبان" إلى جبال " سوق أهراس" ، كما أنها تمتد من خط التضاريس شبه الصحراوية (1)

---

1 — M. BERNARD ET F. REDON , L'ALGERIE , HISTOIRE , COLONISATION — GEOGRAPHIE , ADMINISTRATION. ALGER, EDITION ADOLPHE.JOURDAN , 1911 , PAGE 123 .

و هذه الحلقات في مجملها ذات تكوين طباشيري تآكلت بسبب عوامل التعرية، إلى غاية جبل "الوحش" OUACH بنواحي قسنطينة، و منها إلى الحدود التونسية .

و هناك هضاب ساحلية صغيرة، بين البحر و الجبل، و ذلك من "بجاية" إلى "سكيكدة" ، و في إتجاه الشرق تتسع التقعرات أين تدرج بحيرة "فزارة"، و كذلك سهول "عنابة" التي تحدها عند الساحل الكثبان الرملية (1)

و قبل الحدود التونسية، فإن الأحواض الثلاثة لبحيرة "عجيرة" و بحيرة "تانغة"، تشبه المجاري النهرية القديمة التي غمرتها البحار في المنطقة .

و عموما، فالمنطقة تتكون من الجبال و بعض السهول، فإلى أقصى الغرب هناك منخفض واسع أين تتراكم الرواسب القارية، حيث يمرّ به وادي الساحل "الصومام". و من الناحية الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية، يمكن الوصول إلى "بجاية"، و هي تشكل في حدّ ذاتها مخرجا هاما من الساحل إلى مرتفعات

---

1 - NOUSHI, andré, ENQUETE SUR LE NIVEAU DE VIE DES POPULATIONS RURALES CONSTANTINOISES DE LA CONQUETE JUSQU'A 1919 , P . U . F , 1961 , PAGE 5 . (2)

السهول الوسطى، إذ أن وادي " الصومام " هو بمثابة حد طبيعي يفصل بين إقليم قسنطينة و إقليم الجزائر، كما أنها عبارة عن رابط وثيق بين المناطق الساحلية و منطقة " مجانة " الهامة، لأنها تعتبر نقطة إلتقاء بالنسبة لمنطقة القبائل و منطقة غرب الجزائر و المنطقة شبه الصحراوية، و كذلك مرتفعات السهول الوسطى(1).

و بالتالي، فإن الساحل القسنطيني يكون مقسما على النحو التالي ـ/ خلجان المناطق التالية، بجاية، جيجل، القل، و كذلك منطقة سكيكدة حيث يوجد ميناء " سطورة " و عنابة و القالة قرب الحدود التونسية (2)

أما المنطقة الوسطى، فإنها ضيقة إلى الغرب، إلا أنها تتوسع كلما كان الإتجاه نحو الشرق، و تتكون في معظمها من السهول المرتفعة، و في الأفق تظهر مرتفعات جبلية متوسطة الإرتفاع من 900 إلى 400م، تارة في إتجاه شرق-غرب مثلا جبل

---

1 – BROSSARD (general) , MELANGES SUR L'AFRIQUE , PERRIGNOT , IMPRIMERIE BAPTISTE , 1838 , PAGE. 122 .

2 – BERNARD(p) ET REDON(f) , OP.CIT , PP. 125-124 .

يوسف جنوب سطيف، و تارة في إتجاه جنوب غرب و شمال شرق مثلا جبل شطابة قرب قسنطينة و جبل مسلولة شرق "عين البيضاء".

و هذين الأخيرين يشكلان ممرا طبيعيا بين تضاريس الساحل و التضاريس شبه الصحراوية، سواء الأوراس أو بلزمة، كما أن هذه المرتفعات السهلية منقطة بمساحات على شكل بحيرات عامة، مثلا " القرعة " و " الطرف و " زحرة الزمول "، التي تدل على التقارب مع المنطقة شبه الصحراوية (1).

يضاف إلى ذلك الهضاب العليا القسنطينية التي تتميز بقسمين أساسيين هما :/

أ ـ منطقة الحضنة.

ب ـ الهضاب العليا.

بالنسبة لمنطقة الحضنة، فإنها تشبه الصحراء في الحرارة و الجفاف، و تتضمن مساحات شاسعة جافة، و بعض الواحات مثل المسيلة، على وادي القصب، و كذلك مجرى وادي شير، الصالح لزراعة الحبوب.

أما الهضاب العليا، فإنها تمتد إلى غاية

---

1 ـ CARETTE ET WARNIER , DESCRIPTION ET DIVISION DE L'ALGERIE, PARIS , LIB. HACHETTE ET Cie LIBRAIRES DE L'UNIVERSITE ROYALE DE FRANCE, PAGES 8-9 , VOIR AUSSI: NOUSHI, OP.CIT , P. 3 .

الحدود التونسية على ارتفاع 1000م، لذا فطابع المناخ يتصف بالحرارة صيفا و بالبرودة شتاء، وعموما فتربة المنطقة خصبة و صالحة لزراعة الحبوب(1)

و بالنسبة لسهول مجانة، فإن برج بوعريرج يعتبر مركزا تجاريا. أما هضاب سطيف و قسنطينة في غالبيتها زراعية، إذ أن سطيف تعتبر سوقا هامة للحبوب و المواشي، يقصدها العامة و الخاصة من كل حدب و صوب. أما قسنطينة، فقد ازدهرت عبر العصور لكونها حلقة وصل بين الهضاب العليا و التلّ، و بالتالي فهي عبارة عن مخزن هام لتجارة الحبوب. كما أن الهضاب العليا، بين قسنطينة و باتنة، تتخللها بعض الشطوط الصغيرة، منها سهول السبخ (السبخة) (2)

إن المنطقة شبه الصحراوية تحدها سلسلة جبلية متقطعة من جبل شوكشوت غربا إلى جبل "تبسة" شرقا. و تشمل أربعة تجمعات كبرى هي :/ جبال الحضنة و الأوراس، و جبال النمامشة و تبسة و بسكرة و وادي ريغ.

---

1 – BERNARD ET REDOT , OP. CIT , P. 126 .

2 – VICTOR PIQUET , L' ALGERIE FRANCAISE , PARIS , COLIN, 1930, P. 59-60. VOIR AUSSI BERNARD ET REDOT, OP.CIT , P. 127 .

بالنسبة لجبال ... فإنها تتضمن

إتجاهين. الأول شرق غرب، و الثاني جنوب غرب و شمال شرق، إذ أن نقطة التلاقي تتضمن جبل " بوالنب"، و بالتحديد جبل " أففان". و هذه السلاسل الجبلية المتجهة من الغرب إلى الشرق مرتبطة بجبل " منصورة" و جبل "شوكشوت"، و بالتالي لا تشكل حاجزا منيعا بالنسبة للمؤثرات الطبيعية الصحراوية على السهول المرتفعة، كما أن الإلتواءات من جبل " أففان" إلى غاية ممر " باتنة" و "بسكرة"، يسمح كذلك للعوامل الطبيعية، و الآتية من الصحراء، أن تؤثر على المنطقة الوسطى (1).

أما منطقة الأوراس فإن سلاسلها الجبلية المختلفة تعزل بصورة واضحة السهول المرتفعة للمنطقة الصحراوية. كما أن غنى الأودية، مثل " تيغانمين"، و الارتفاع، و تجمع التضاريس يصعّب من مهمة المواصلات بين الشمال و الجنوب. كما أن الإتصالات في حدّ ذاتها غير ملائمة إلّا في أقصى المنطقتين

---

1 — AVEZ..C (..D) , LTUDES DE GLOGRAFHIE DE I4' AFRIQUE , ITEN.R..IRE DE M. HAGGY BEN-EL-AGHOUATY, V

VOIR AUSSI HOUSLI , OP.CIT , I. 4 .

في الغرب ممرّ " باتنة- بسكرة " ، و في الشرق ممر " خنشلة "-خنقة سيدي ناجي " عن طريق مجرى وادي الأبيض و وادي العرب، اللذين يعزلان الأوراس عن جبال النمامشة و تبسة [1]. و هذه المنطقة قليلة التساقط و قليلة الاتساع إذ أن الجزء الجنوبي منها جاف بسبب هبوب الرياح الجنوبية الصحراوية، كثير الحصى و مقفر في آن واحد .

أما وسط الأوراس فيشتمل على مجاري أودية ضيّقة، إستطاع سكان المنطقة من إستغلالها لزراعة الحبوب بالدرجة الأولى باعتبارها زراعة معاشية، أما في شمال الأوراس، فإن جبل " الشليا " تظهر شماخته جليّا في أوج قمته التي تصل الى ارتفاع 2328م، و تتضمن هذه الناحية كذلك بعض الغابات، و كذلك بالنسبة لبسكرة و وادي ريغ، فهي عبارة عن واحات شاسعة هي " الزيبان "، و تعتبر بسكرة عاصمة لها [2]

BERNARD ET LEDO. , OP.CIT , P. 127 . — 1

VOIR AUSSI : DESPOIS (jean) , LE HODNA-ALGERIE , PARIS , P.U.F , 1953 , P. 18 .

العنصر الثاني

التعريف بقسطنطينية عاصمة بايلك الشرق

يعود تاريخ قسنطينة إلى سنة 1450 ق.م، و هو العام الذي تأسست فيه هذه المدينة على يد "بني كنعان"، النازحين من فلسطين حوالي 1300 ق.م (1)، حيث دلّت بقايا الآثار التي إكتشفها الفرنسيون عند محاولتهم حفر مقابر لموتاهم و التي كانت بناحية باب الوادي على صحة هذا الرأي. و تتمثل هذه الآثار في شواهد لقبور نوميدية مثلثة و مذنبة الشكل و عليها بعض الكتابات الكنعانية (2).

و لكن مع أهمية مدينة قسنطينة تعددت الآراء حول تأسيسها. فقد أرجعها بعض المؤرخين وعلى رأسهم ارنست مارسي(+) إلى العهود الغابرة، و هي الفترة التي نزح فيها الانسان من الكهوف و المغارات إلى الحياة المنظمة.

كما تجمع الآراء حول تكوين المدينة الجيولوجي على أنها تأسست على منطقة

---

1 - محمد الهادي بن علي شغيب، أم الحواضر في الماضي و الحاضر، تاريخ قسنطينة، قسنطينة، مطبعة البعث، 1980، ص8 .

2 - نفسه

3 - ارنست مارسي هو مؤرخ فرنسي أرّخ لقسنطينة، و كان ترجمانا بالمحكمة المدنية و شيخ مدينة قسنطينة إبان الإحتلال الفرنسي لها.

صخرية[1]، و هي أم المدن بالنسبة للناحية الشرقية كلها من حيث موقعها الطبيعي، " فهي مدينة مبنية على طرفي صخرة يفصل بينهما وادي الرمل"، و المدينة مشرفة من أطرافها الثلاثة على الهاوية، و تتصل ببقية الأرض من جهتها الرابعة فقط [2]

و على هذا الأساس،فإن قسنطينة باعتبارها عاصمة الإقليم الشرقي،فإن موقعها الإستراتيجي و الهام خوّل لها أن تكون كذلك، و تتبوّأ هذه المكانة التي حظيت بها منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا .

و جغرافية هذه المدينة تتمحور في كون موقعها جاء على شكل مدرج، بحيث يرتفع في الشمال الغربي، و بالتحديد عند سفح جبل المنصورة، الذي يفصله عنها إنهدام متعمق تسلكه مياه وادي الرمال، هذا الوادي الذي يوفده وادي بومرزوق الآتي من الجهة الشرقية في المكان المعروف

---

1 ـ ناصر الدين، سعيدوني، ((وصف مدينة قسنطينة حسب معلومات جديدة للقبطان هيبوليت سان))، مجلة الأصالة، العدد 58 ـ 59، رجب / شعبان ـ جوان ـ جويلية 1978، ص . 8 .

3 ـ أحمد توفيق، المدني، كتاب الجزائر، م.و.ك، الجزائر، 1984، ط2، ص . 231 .

بدار الأقواس، و إلى الشمال الشرقي ينتصب جبل المنصورة [1] و مع أن طبيعة السفوح الجرداء، فإنها كانت تستغل في الزراعة المعاشية التي كانت تنحصر على الحبوب بالدرجة الأولى .

و ما يميز جبل المنصورة هو تواجد نتوءان، الأول يطل على المدينة من الناحية الشرقية، و الثاني يوجد شمال غرب جبل المنصورة. كذلك فإن هذه المنطقة توجد بها مرتفعات تسمى "كدية عتّي" المنصيرة، و تطل هي الأخرى على المدينة. كما أن شكل المدينة الجيولوجي إهليلجي [2] ، و معنى هذا أن المنطقة تكون قد تعرضت في إحدى الحقب الجيولوجية الغابرة إلى إلتواءات أثرت على سطح المدينة، الذي يرتكز فضلا على إنحناء إلتوائي كبير يتجه نحو الجنوب الغربي في خط يكاد يكون مستقيما .

و تتميز المدينة كذلك بسور كبيرة، شأنها في ذلك شأن جل المدن الجزائرية الهامة. إضافة إلى هذا السور، يوجد بها ثلاثة أبواب، الباب الغربي الذي يوجد وسط هذا الخط المستقيم، و يعرف بالباب الجديد، و ينتهي إليه الطريق المؤدي إلى الجزائر

1 ـ ناصر الدين، سعيدوني، ((وصف مدينة قسنطينة...))، ص. 8.
2 ـ نفسه .

و الباب الأوسط يعرف بباب الواد ، و يؤدي إلى الجنوب، بينما الباب الثالث، و يدعى بباب الجابية ، فيتصل بوادي الرمال ، و يوجد بحافة جبل المنصورة باب رابع يعرف بباب القنطرة (1) .

لقد تطابقت الدراسة التي قام بها فندلين شلوسر حول قسنطينة مع بعض الآراء و الدراسات المختلفة المتعلقة بالتكوين الجيولوجي للمدينة و موقعها الصخري . فهو يرى أن المدينة تقع فوق صخور وعرة ، تحيط بثلاثة أرباعها ، وعلى سفح هذه الصخور ينساب نهر يسمى بالوادي الكبير، يأتي من الجنوب الشرقي ، و يتصل بوادي الرمال . و في عبوره، يمر بالجهة الشرقية و الجنوبية و الشمالية من مدينة قسنطينة (2) .

إن حصانة المدينة طبيعيا زادتها قوة و مناعة ، فأبوابها الأربعة المشار إليها سابقا كانت تتجدد و ترمم بين آونة و أخرى ، تحسبا لأي

---

1 ــ فندلين شلوسر، قسنطينة أيام أحمد باي ، 1832ــ1837، ترجمة و تقديم أبو العيد دودو، د.و ن ت ، بلا تاريخ ، ص7 .

2 ــ نفســه .

خطر خارجي يطرأ على حين غرة، و على الأخص العدو الفرنسي الذي بات شغلا مستمرا على الاقليم الشرقي .

كما أن أسوار مدينة قسنطينة، و ان كانت في حالة سيئة، فانها عبارة عن تحصينات للمدينة و د ا واقيا لها، ((و إن كانت كثيرا ما تجاوزت هذه المنازل في علوها تلك الأسوار المستندة عليها، على أن تلك الأسوار المنخفضة متامة على حافة الصخرة و يحف بها الـ ـزء الأكبر من مجرى وادي الرمال)) [1].

كما أن تقارير الحملات جاءت بأدق وصف لهذه المدينة آنذاك، و كذلك صيتها الذي ذاع أيام حكم الحاج أحمد باي لها، اذ يقول شلوصر أن ((.. المرء إذا دخل المدينة من باب القنطرة، فسيصل أولا على بعد ألف خطوة إلى رحبة ـ أي مسافة ـ قطرها ستون خطوة، و توجد على يمينها و فوقها قليلا، صخرة أقيم فوقها سنة 1836 حصن... و من هذه الرحبة يصعد الشارع نحو الشمال في اتجاه باب القصبة التي تقع إلى الشرق منه)) [2] .

و هذا الحصن ـ أي حصن القصبة ـ يشرف على

---

1 ـ ناصر الدين، سعيدوني، وصف مدينة قسنطينة، ص. 9 .

2 ـ فندلين شلوصر، قسنطينة...، ص. 74 .

الباب الجديد، و باب القنطرة، مما يعطيه أهمية إستراتيجية بالنسبة، لأن باقي المناطق يقل ارتفاعها ما بين باب القنطرة و باب الجابية، و كذلك المناطق الواقعة ما بين باب الجابية و باب الواد، فهي قليلة الارتفاع و بالتالي فإن الأسوار تفوقها علوا، لذا يكون حصن القصبة ذا أهمية كبيرا جدا بالنسبة للمدينة (1).

و لا ينحصر رونق و جمال المدينة بما يحيط بها من أسوار و صخور، إنما يتعدى ذلك، إلى داخل المدينة، و الفضل يعود إلى المنشآت العمرانية التي خلفها باياتها و حكامها، فهي تشتمل على ساحات عمومية متعددة. كما أنها تتميز بضيق شوارعها المتعرجة، إلى جانب مساجدها المتناثرة هنا و هناك، و التي أبدع الولاة في بنائها و حرصهم الشديد على تجميلها، فكانت آية في البناء الإسلامي، إلى جانب الثكنات التي انتشرت في المدينة، و الأسواق و المخازن (2).

---

1 – A.O.M , H 227 , RECONNAISSANCES FAITES DANS LA PROVINCE DE CONSTANTINE EN 1837-1839 PAR LE Clc NIEL CHEF DE BATAILLON DE GENIE .

2 – A.O.M , H 235 , RAPPORT DU GENERAL BEDEAU , AL/14 AVRIL - MAI 1839 .

العنصر الثالث

قبائل بلاد الشرق

لقد شمل بايلك الشرق العديد من القبائل بفروعها المتشعبة، حيث أصبحت فيها بعد خاضعة في أغلبيتها لحاكم البايلك الحاج أحمد باي، والرسالة المؤرخة بتاريخ 10 سبتمبر عام 1849، الموجودة تحت رقم 05، تبيّن فروع القبائل بالتفصيل، و مدى أهميتها بالنسبة لمقاطعة قسنطينة عموما، و جاء ذكر أولاد دراج الشراقة الذين يكونون القبائل التالية /-

أولا - أولاد سحنون .

ثانيا - الصلاحة .

ثالثا - أولاد رشيش و أولاد سميرة (زميرة) .

رابعا - أولاد عمر .

خامسا - أولاد منصور .

سادسا - أولاد محة .

بالنسبة لأولاد سحنون، هم كذلك ينقسمون إلى ستة فروع على النحو التالي / -

ا - أولاد عبد الرحمن .

ب - أولاد امحمد .

جـ - أولاد أحمد

د - أولاد مختار .

هـ - أولاد عبد الله .

و - أولاد الثالب أو السحالب(+) (1) .

---

(1) - لقد وردت هذه التسمية في النص الأصلي بالفرنسية ESHALEE وهي فرع يقطن منطقة سكلوك الموجودة بالقرب من وادي بريكة، وكان قائد هذا الفرع آنذاك سي مقران الذي قتله أولاد سحنون، وعوض بالقايد سي المختار بن دايخة. أنظر/ RAPPORT DE SAINT GERMAIN, H25, A.O.M .

و يضاف إلى ذلك تنظيمات قبلية أخرى داخل قبائل النمامشة و الأوراس و الزّاب الشرقي و الحضنة و هي على النحو التالي /ـ

أولا ـ النمامشة و يحي بن طالب قسم تابع لناحية قسنطينة، و كان قايدهم الشيخ الحسناوي بن بلقاسم، حيث تنقسم كل قبيلة إلى فروع، فالنمامشة تشمل كل من/ علوانة و البرارشة أو (البغاعشة)، و أولاد رشبيش . أما أولاد يحي بن طالب، فيتكوّنون من/ عبدينة و جوامة و موية .

ثانيا ـ جبل شرشار، و هو قسم تابع لناحية بسكرة، كان قايدهم سي محمد الطيب و لد سي ناجي، و هذا القسم بدوره يتكون من الخنقة و أولاد فيفولو و بني بربر و أولاد معافي و أولاد عمران و العشايش و بني ملول و ولاجة و خيران و بو يحي أبو أحمد و واحات كل من ليانة و القصر و بادس و زريبة أحمد و زريبة الواد (1)

أما الزاب الشرقي و أحمر خدو ناحية بسكرة، فكان قايدهما هو أحمد باي بن شنوف، و تتضمن الفروع التالية /ـ

أولاد سي صالح و تهودة و سريانة و قنطة و الفايد

A.O.M , 2H25 , DOCUMENT N°5 DATE LE 10 SEPTEMBRE 1849 . — 1

ولخدان ومحروش والمعابل، ولاس، كبيش، وأولاد يوب وبني ملكم والشرفة وسارغة ووادي سوف، وهذا الأخير الذي ينقسم إلى / ـ

الواد وقمار، بحينة والدبيلة، ويضاف إلى وادي سوف فرع السعيد أولاد عمر، بن بوسليمان وغيرة، هذه الأخيرة تتكون من السعادنة، وأولاد بوزيد وشماورة وتكوت وجار الله، والتصبر والخدارة وأولاد عابد وفلوس وأولاد ميمون وتاشتنتور، وأولاد يحي وبنيان وتاغيت، وأولاد إيدير (1).

أما بالنسبة للصحاري، ناحية بسكرة، فإن قايدها هو سي بولخراس بن محمد بلحاج بن قانة، وتتكون من / ـ الصحاري وتنقسم إلى فروع القبائل التالية ـ/ مزاريق، وأولاد منصور وزقايت وأولاد داود وأولاد عمور وثلاثة بالإضافة إلى مدينة القنطرة والوطنية وكذلك أولاد زيان الذين ينقسمون إلى فرعين وهما أولاد زيان الظهراني، وأولاد زيان القبالة .

بالنسبة لأولاد زيان قسم بسكرة كان قايدهم هو سي الدراجي بن محمد الحاج، وتتكون هذه القبيلة

---

1 ـ A.O.M , 2H25 , DOCUMENT N°5 , OP.CIT .

من بني فراح و بني سويق و جمورة و بران، و مدوكال و الدوسن و سيدي خليل[1] . أما قبائل الغرابة التي أطلق عليها الفرنسيون اسم " نوماد " أي الرحل بالعربية كان قايدهم سي أحمد بن الحاج علي بن قيدوم ، و كانت تتضمن -
السالمية و رحمان و البوازيد و أولاد سيدي سليمان و أولاد زيد . و بالنسبة للقبائل الشراقة ، فقد كان قايدهم سي علي بن قيدوم بن بوعزيز بن قانة و تتكون مما يلي /- غمرة و الشرفة و أحمد بن علي و دريد . أما الحخنة فتنقسم أولاد سالم و أولاد علي بن صابر ، بناحية باتنة ، و كان قايدهم سي المختار بن دخنة .
و ينقسم هؤلاء كذلك إلى فروع ثانوية ، و هي مرابطين أولاد دراج الشراقة و أولاد سحنون و الصلالحة و أولاد عمر و أولاد مجة و أولاد زميرة و أولاد رشيش و أولاد منصور

---

1 — A.O.M , 2M25 , DOCUMENT N°5 , OP.CIT .
لقد جاء ذكر و تعريف العديد من مناطق الشرق مثل ليانة و أحمر خدو و جبل شرشار و البرج و فرفار و الخنقة و العمامرة ، أنظر كذلك/
KITAB-EL-ADOUANI , OU LE SAHARA DE CONSTANTINE PAR ,
L.CH.FERAUD , LIB. EDIT. A.JOURDAN , 1868 , PP.27-29ET 91-154.

و أولاد العصامين و الحيادة .

و يضاف إلى ذلك سرد التقارير الفرنسية العسكرية الشامل للقبائل و فروعها بالنسبة لاقليم قسنطينة، و من هذه التقارير، الوثيقة المؤرخة ب 10 أوت 1850، و التي جاء فيها ذكر القبائل التالية/ — أولاد عبد النور و عامر الشراقة و قبائل الحراكتة و قبائل الخرارب و البرانية و قبائل دريد عين البي و أولاد عزيز و أولاد معمول و علمة فنكرون، إلى جانب ذلك قبائل بني تيفور و أولاد يعقوب و عرب البابور و بني مروان و فرجيوة و موية و تالة و بني عافر و كذلك ميلة و بني تليلان و أولاد إبراهيم و عرب أولاد بوسالم و بني قطيط و علمة الكشاكشة و أولاد أحمد و أولاد ساسي و كذلك غمريان و أولاد كياب (2).

كذلك قبائل بني صبيحة و أولاد امبارك و العشايش و بني عمرون و بني خطاب و بني قايد و أولاد عيدون و يضاف إلى هذه القائمة للقبائل كذلك، الساقية و سدراتة و محاسلة و سلاوة و الخرارب و ترفة و أولاد

---

1 — للمزيد من التفاصيل الاضافية أنظر في ذلك تقرير قائد إقليم قسنطينة المؤرخ بقسنطينة في 5 جويلية 1850 . A.O.M, 2H 25,01.CIT

2 — نفســـه .

داود ، إلى جانب بيائن الصحراوية ، تبسة ، بوفر، و تلاغمة و المزناتية ، زرديزة و الزمول و زواغة و عراشي و أولاد عسكر و أولاد حية و أحد حوة ، و كذلك فروع علاونسة و برارشة و أولاد رشيب، بالإضافة إلى بنيرية و ديرك و بعض القبائل أمثال بني مسلم و بني بلعيد و بني مداد و جبالة و بني ترفين و بني مروان و أولاد عطية (1)

أما بالنسبة لناحية باتنة، فتشمل القبائل التالية / ـ

لخضر الحلفوية و أولاد شليح و أولاد سي علي تاعمنت و الحراكتة و تلت و أولاد سي أحمد بن سعيد وأولاد سي أحمد بن بوزيد و أولاد بلقاضي، يضاف إليهما أولاد بوعون و حيدوسة و أولاد فاطمة ثم أولاد سلطان النادمارة و أولاد سلطان القبالة، يضاف إليهم المعايش و أولاد فاضل و أولاد فضالة و أولاد سعيد و أولاد سي زوارة و بني أوجنة و أولاد داود و بني معافة و العمامرة و المنامر (2).

---

1 ـ A.O.M , 2H25 , OP.CIT .

2 ـ IBID .

و لم تقتصر ناحية باتنة على هذه القبائل فقط إنما يضاف إليها ما يلي / ـ قبائل واد عبدي و أولاد زين و أولاد مومن و أولاد عزوز و دشرة بوزينة (1).

و ناحية بسكرة حيث كانت القيادة لشيخ العرب فشملت القبائل التالية / ـ

بسكرة و سيدي عقبة و فلياش و شتمة و تمّرة و أومآش و مليلي و زاوية مليلي و منالة و أورلال و بن تيوس و مخادمة و سحبيرة و ليوال و بوشقرون و لشانة و فرفار و طولقة و البرج و فوغالة و الغمري و أحسن عمورة إلى جانب كل من أولاد جلال و سيدي خالد و أولاد الساسي و أولاد دران و أولاد حركات و أولاد رحمة و قمرة و الشرفة (2).

يضاف إلى ذلك أولاد سيدي صالح و تسودة و سريانة و قسرسة و الفيض و لخضر و محومش و الحابل و أولان وكبيش و أولاد يوب (3)

فهذه القوائم المطولة المتعلقة بتعداد السكان الذين يقطنون الاقليم الشرقي ، و ذلك حسب القبائل العديدة و فروعها ، تدل دلالة قاطعة على الاهتمام

---

1 ـ A.O.M , 2H25 , OP.CIT .

2 ـ IBID

3 ـ A.O.M , 2H25 , RAPPORT DE M° ALEX LAVERGIER , DATE DE 10 AOUT 1850 A PARIS .

الذي أولته السلطات الفرنسية ، و على وجه التحديد السلطات العسكرية ، و ذلك ليس حبا في الجزائريين ، إنما لمعرفة تحركاتهم و إمكانية مراقبتهم ، لذا كان للعسكريين و على إثر الحملات التي كانوا يقومون بها على السكان العزل ، باع طويل في عملية الإحصاء التي واكبت مرحلتها مرحلة تواجد الحاج أحمد باي بالاقليم الشرقي ، سواء إبان حكمه لبايلك الشرق أو في المرحلة الثانية من مقاومته للعدو الفرنسي .

لقد إعتمد هؤلاء العسكريون في عملية الإحصاء ، طريقة عدّ الخيمات بالنسبة للبدو الرّحل ، أما سكان المدن فقد تمّ عدّهم طبقا لعدة المنازل ، فبالنسبة للصنف الأول - أي البدو الرحل - فقد بلغ عددهم 640 780 نسمة ، أما الصنف الثاني فقد بلغ العدد حوالي 000 53 نسمة (1) .

و مع ذلك ، فإن الفرنسيين صغّروا من عدد سكان بايلك الشرق و قلّلوا منهم ، و قد كان ذلك بارزا و جليّا من خلال تقاريرهم التي كانوا يبعثونها إلى

---

1 NOUSHI (andré) , ENQUETE SUR LE NIVEAU DE VIE DES POPULATIONS RURALES CONSTANTINOISES , DE LA CONQUETE JUSQU'A 1919 . PARIS , P.U.F , 1961 , P. 20 .

عدد السكان . فالوثائق التي إعتمد عليها أندري نوشي المؤرخ الفرنسي ، أثبتت أن عدد السكان في بايلك الشرق يصل في عام 1842 إلى 640 833 نسمة ، لكن تقرير الدوق دورليان حول إحصاء عدد السكان في نفس الإقليم أبرز مدى إهتمام السلطات الفرنسية بالقوّة البشرية للأهالي (1).

و من الخطأ أن يربط الفرنسيون عدد السكان في الإقليم الشرقي بعدد الخيام المضروبة هنا و هناك أو المنازل المقامة داخل المدن ، و بالتالي توصلوا إلى إحصاء حوالي 866495 نسمة عن طريق إحتمال تواجد خمسة أفراد في كل منزل أو خيمة (2)

و حتى إن توصلوا إلى إحصاء سكان المدن ربما لاستقرار الأغلبية الغالبة منهم ، فكيف لهم أن يحصوا سكان البادية من البدو الرحل ؟ نظرا لتنقلاتهم من منطقة إلى أخرى و ذلك على إمتداد فصول السنة .

كما أن أندري نوشي ، مستندا في ذلك على "كاريت" ، ربط عدد السكان في الإقليم الشرقي بعدد المهاجرين إذ يرى هذا الأخير أن هؤلاء السكان يشكلون الثلث من

---

1 — NOUSHI , ENQUETE SUR LE NIVEAU DE VIE ... , P. 20 .

العدد الاجمالي ، و على هذا الأساس فان إقليم الشرق يحتوي على 952 000 نسمة (1).

و ما يمكن أن نستخلصه، هو أن تخوف الفرنسيين من عدد السكان الأهالي يكمن في تزايدهم المستمر مما صعّب عليهم مهمة إحصائهم فعلا ، رغم المحاولات التي قاموا بها ، منذ أوامر الجنرال "بيجو" للقيام بعملية إحصاء ، ما بين عامي 1844 و 1845، و التي جاءت نتائجها مخيفة بالنسبة للفرنسيين ، مما جعلهم يشكون في الاحصاء الذي توصلوا إليه و هو 716 016 1 نسمة، و هذا ما دفعهم إلى محاولة تصحيحه .

و عندما نحاول بدورنا وضع النقاط على الحروف في التعرض إلى ما ذكره بعض الفرنسيين عن هذه الناحية حسبما أورده نوشي ، فإننا نستنتج ما يلي :-

توصل دوريو دولامال DUREAU DE LAMALLE إلى أن سكان بايلك الشرق يساوي نصف سكان الجزائر، و ربما يكون قد بالغ في ذلك إلى حد ما من جراء تعرف القبائل الكثيرة في هذه الناحية، و بالتالي كان حذرا إذ لم يتكلم بلغة الأرقام بالنسبة لعدد السكان . أما بليسي دو رينو

---

1 - NOUSHI , ENQUETE SUR LE NIVEAU DE VIE ..., P. 21 .

PELLISSIER DE REYNAUD ، فإنه يرى في هذا المجال،أن عدد سكان إقليم الشرق الجزائري بلغ 1 500 000 نسمة[1] ، لكنه دون أن يعطي لنا أي مبرر منطقي لحصر هذا الإحصاء في العدد المذكور .

أما فيما يتعلق بكل من روزيت و كاريت ROZET ET CARETTE ، فقد توصلا إلى وضع احصاء شامل لسكان الإقليم الشرقي يصل إلى 1 200 000 نسمة[2] .

كما أثبتت تقارير وزارة الحربية المتعلقة بحالة المؤسسات الفرنسية في الجزائر، أن بايلك الشرق يعدّ أكثر الأقاليم آهلة بالسكان في مستعمرة الجزائر كلها[3] .

و الملاحظ أن كثافة السكان كانت كبيرة ومرتفعة في الإقليم الشرقي[4] ، و هذا ما جعل جلّ الفرنسيين يركزون على المنطقة في كتاباتهم ، و دفعهم إلى عدم

---

1 — PELISSIER DE REYNAUD, ANNALES ALGERIENNES, T1, P. 286 .

2 — CARETTE ET ROZET, (L'ALGERIE) IN L'UNIVERS PITTORESQUE, SANS DATE

3 — NOUSHI, ENQUETE SUR LE NIVEAU DE VIE..., P. 22 .

4 — VAYSSETTES, (HISTOIRE DES BEYS DE CONSTANTINE) R.A, 1858 .

الإستقرار فعليا في تحديد عدد سكان المنطقة ، فبقيت أرقامهم متباينة بين الأخذ و الرّد ، و بين التباعد و التقارب في الحقيقة المنطقية ، و بين الإجحاف و المنطق من ناحية أخرى . و عليه توصّل نوشي إلى الإستنتاجات التالية :/

الإحصائيات متباينة ما بين العدد العادي و المتضاعف . سكان بايلك قسنطينة يتراوح عددهم ما بين 000 780 ، و 000 500 1 نسمة (1).

لكننا نحن منطقيا أن نوشي له نظرة إستعمارية ، فرغم موافقتنا له في إستنتاجه الأول ، على أساس أن الذين بادروا إلى التركيز على عمليات الإحصاء لم يتفطنوا إلى وضعية السكان الأهالي الذين كانوا في تزايد مستمر . لكن الإستنتاج الثاني جاء ليتوّج وجهة نظره الإستعمارية البحتة ، ذلك أنه يحصر عدد السكان في الإقليم في رقم يتقارب مع كل الأرقام المعطاة حول إحصاء السكان . هذه الأخطاء التاريخية بالنسبة للسلطات العسكرية الحاكمة للجزائر ، و المتعلقة بنسبة عدد السكان و الإحتمالات الواردة حوله دون إعطاء إحصاء محدّد .

---

1 – NOUSHI , ENQUETE SUR LE NIVEAU DE VIE..., P. 22 .

احصائيات عام 1845.

النواحيه :	عدد السكان :
ناحيه قسنطينه	231000 نسمه
ناحيه باتنه والاوراس	121000 نسمه
ناحيه بجايه	91 000 نسمه
ناحيه برج بوعريريج	90 000نسمه
ناحيه جيجل	40 000 نسمه
ناحيه سكيكده	35 000 نسمه
ناحيه قالمه	30 000 نسمه
ناحيه سطيف	30 000 نسمه
الحنانشه	30 000 نسمه
ناحيه عنابه والدوغ	25 000 نسمه
ناحيه القاله	14 000 نسمه

وعلى الرغم من التزايد السكاني إنطلاقا من الإحصائيات التقريبية التي توصل إليها الفرنسيون، إلا أن هؤلاء يفندون هذا الإستمرار، و يرون عكس ذلك• و معنى ذلك، أن سكان الإقليم الشرقي حسب زعمهم كانوا في تناقص مستمر، و ذلك منذ إحتلالهم للجزائر، لأن المنطقة تعرضت للمجاعات و الأوبئة و الكوارث الطبيعية خاصة الجفاف، أي إبتداءا من سنة 1830 إلى غاية 1845• و قد ركز أغلبية الكتاب الفرنسيين على وباء الكوليرا و التيفيس، اللذين حلّا بالإقليم الشرقي •

و محاولة منهم كذلك طمس حقيقة التزايد السكاني للجزائريين، إدّعوا أن تنقل السكان من منطقة لأخرى هو الذي خلق إضطرابا في تحديد العدد، و على الأخص البدو الرحل (1).

و على أساس الأرقام المتباينة، حاول المؤرخ الفرنسي نوشي أن يخلص إلى شيء مفاده إستطاعة معرفة عدد سكان بايلك الشرق عشية الإحتلال و الذي

---

1 — LE B. OH BAUDE , L'ALGERIE, PARIS 1841, P. 237 .
VOIR AUSSI, NOUSHI , OP.CIT , P. 29 .

تقدّر ب 1 200 000 نسمة تقريبا (1).

و إنطلاقا من نسبة عدد السكان المرتفعة في الإقليم الشرقي آنذاك، حسب تخوفات الفرنسيين الواردة في تقاريرهم المتباينة، سواء عن طريق العسكريين أو المؤرخين الفرنسيين، أو حتى الدور الذي لعبته المكاتب العربية التي لم يكن لها مفعول قبل عام 1849 باعتبار هذا التاريخ بداية توصل ضباط هذه المكاتب داخل القبائل، فإنه مكّن الفرنسيين من ناحية أخرى تقدير إمتداد المساحات الشاسعة التي يسكنها أهالي الدواوير و القبائل (2)، و هذا ما يوضحه الجدول التالي، الذي يشمل كل منطقة و النواحي المحيطة بها مع إدراج المساحة بالكلم².

NOUSHI , ENQUETE SUR LE NIVEAU DE VIE..., P. 50 . — 1

CAHIER DU CENTENAIRE DE L'ALGERIE ; L'EVOLUTION DE L'ALGERIE DE 1830-1930, PAR (E.F)GAUTIER, TOME III , P. 27 . — 2

VOIR AUSSI: NOUSHI, OP.CIT, P. 31 .

يضم الجدول كل منطقة و نواحيها مع إدراج المساحة بالكلم² (1)

المنطقة و نواحيها	المساحة بالكلم²	
باتنة بما فيها الأوراس	11 280	كلم²
قسنطينة	9 068,5	–
سطيف	4 799,6	–
بني بوعريش	9 360	–
عنابة و الدوغ	2 576	–
جيجل	2 664	–
القالة	2 208	–
سكيكدة	2 170	–
بجاية	2 093	–
الجنانشة	4 928	–

المجموع هو/ – 53 227،4 كلم²

و على هذا الأساس يكون معدل الكثافة السكانية 17,5 نسمة في الكلم² الواحد ، و بالتالي فإن إحصائيات 1845 التي لم تصحح ، فقد أعطت أرقاما للكثافة السكانية على النحو التالي / –

المنطقة	الكثافة السكانية
جيجل	61،2
قسنطينة	29،2
سطيف	23،5
باتنة	12
بجاية و بني بوعريش	10،9
عنابة و الدوغ	9
سكيكدة	8،5
القالة و الجنانشة	5،9

1 – NOUSHI(A) , OP. CIT, P. 32 .

و على الرغم من تقليل الفرنسيين لعدد سكان الجزائر، و ما يشكله التزايد السكاني من مخاطر بالنسبة إليهم، فإن الأقلام الجزائرية، و على رأسها آنذاك حمدان بن عثمان خوجة، أعطت النسب المنطقية لعدد سكان الجزائر. و حمدان خوجة هو أقرب إلى إعطاء الحقيقة باعتباره ابن الجزائر، و بالتالي فهو أدرى بأهلها من غيره، و بالتالي فإن العدد الذي أعطاه هذا الأخير حول السكان هو عشرة ملايين نسمة [1]، و هذا أقل تقدير حسب رأينا، لأن الإقليم الشرقي أكثر كثافة و أكثر عددا. و هذا ما أشارت إليه كذلك جل الجداول و الإحصائيات الفرنسية، و بالتالي فإننا نقدّر عدد السكان في الإقليم الشرقي بخمسة ملايين نسمة، و ذلك إنطلاقا من المعطيات التي سبق ذكرها، و هذا أقل تقديره، أو ما يقارب $\frac{2}{3}$ من عدد سكان الجزائر عموما. و هذه النسبة الهائلة من السكان هي التي خوّفت الفرنسيين، و دفعتهم إلى إعداد العدة اللازمة لإبادة سكان الجزائر، و العمل على إيقاف هذه الزيادة الحرمية المتنامية.

---

1 ـ حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم و تعريب و تحقيق محمد العربي الزبيري، ط2، الجزائر 1982، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ص. 51.

الباب الاول

الحاج أحمد باي رجل دولة

الفصل الأول

حياة الحاج أحمد باي

1 ــ مولد الحاج أحمد باي ونشأته .

2 ــ صفات الحاج أحمد باي .

العنصر الاول

مولد الحاج احمد باي ونشاته

يعتبر الحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة، وقد أجمعت جلّ المصادر على أنه ابن محمد الشريف وحفيد أحمد باي التركي، الذي حكم قسنطينة عام 1794 [1]. غير أن السيد "قيون" GUYON في كتابه رحلة من الجزائر إلى الزيبان، يرى فيه أن أحمد باي التركي هذا، قد حكم قسنطينة مدة خمسة عشر عاما إبتداءا من عام 1758 .

أما أمه، فتدعى الحاجة غنية إبنة بن قانة، وهي تنتمي إلى أكبر عائلة لعرب الصحراء [2].

وإن كان إنتماء الحاج أحمد باي عرقيا إلى الكراغلة[3]، وللأسف الشديد أن معظم من كتب عن هذه الشخصية ألا وأن ذكر اسم الكراغلة أو الكرغلي، ليس حبا فيه، إنما عن عمد، قصد التفرقة وخلق الشقاق بين المجتمع الجزائري الواحد، خاصة عندما تكون الكتابات بأقلام مؤرخين فرنسيين لهم باع طولى في تشويه رموز المقاومة الجزائرية. لكن بحكم تربيته العربية الأصيلة

---

1 - A....G, H 226, LETTRE DE M° ROUSSEAU A M° BLONDEL , ALGER LE 29 SEPTEMBRE 1858 .

2 - Dr GUYON , VOYAGE D'ALGER AUX ZIBANS , L'ANCIENNE ZEB, EN 1847; ALGER, imprimerie du gouvernement , 1852 . P. 283 .

3 - الكرغلي من اب تركي و أم جزائرية .

و انتمائه إلى الأرض التي ترعرع فيها ، و بحكم إنتمائه من أمه إلى الأصول العربية ، ينبغي علينا أن نؤكد على أنه عربي بحكم انتمائه الحضاري ، أو لم يولد في أرض عربية مسلمة ، في الجزائر ، من أب ولد في الجزائر ، زد على ذلك فهو ذلك الرجل المغوار الذي وهب حياته لهذا الوطن و ضحى بما يملك من نفس و نفيس ، و لا يعرف وطنا سواه [(1)].

و الباي لم تكن له جنسية أخرى ، و لا لغة ، و لا تقاليد ، و لا عادات و لا أخلاق ، غير جنسية الجزائريين و لغتهم و تقاليدهم و أخلاقهم . فلغة هذه الأرض أرضعته قواعدها ، ففطم على حبه لها ، إنها لغة القرآن الكريم ، و تقاليد و عادات و أخلاق هذا الشعب الذي ينتمي إليه حضاريا ، تميّزت بالسلوك الحسن و الكرم و الجود . و في هذه الحال ، ألا يمكن أن نقول و بكل إفتخار ، أن الحاج أحمد باي ، حامل الاسم العربي المسلم ، هو فعلا جزائري عربي مسلم .

أما بالنسبة لمولده ، فقد تضاربت التواريخ حوله رغم تقارب بعضها ، إذ تؤكد مذكراته أنه ولد في عام 1786 [(2)] أما " امريت مارسيل " المؤرخ الفرنسي ، فقد ذكر

---

1 ـ محمد العربي الزبيري ، مذكرات الحاج أحمد باي وحمدان خوجة و بوضربة ، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1981 ، ط 2 ، ص 5 .
2 ـ نفسه ، ص 6 .

في إحدى الوثائق التي نشرها في كتابه "الجزائر في عهد عبد القادر"، أن باي قسنطينة كان عمره أربع وخمسون سنة في عام 1834 (1)، مما يحدد تاريخ ولادته بعام 1780 .

و في بحثنا عن حياة هذه الشخصية الكبيرة، عثرنا على وثيقة فرنسية تبيّن لنا تاريخ ولادته، إذ جاء فيها ما يلي/((آخر هؤلاء الكبار الشيخ أحمد باي الذي نعرف عنه ثورته الحربية، هو إبن محمد الشريف و حفيد أحمد باي التركي، الذي حكم قسنطينة عام 1754، أمه تدعى الحاجة غنية إبنة بن قانة، و هي عائلة صحراوية معروفة، و التي لا تزال على قيد الحياة بجانبه، و حاليا يبلغ أحمد باي من العمر خمس و خمسون عاما (2)).

غير أن قراءتنا الممحصة لهذه الوثيقة أوقفتنا عند الحقيقة التاريخية التالية /ـ

عندما أشار صاحب الرسالة في قوله إلى أن الحاج أحمد باي يبلغ من العمر خمس وخمسون سنة (55)،

---

1 ـ أرجموند كوران، السياسة العثمانية تجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر، (1827 ـ 1847)، ترجمة عبد الجليل التميمي، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1974، ص80 .

2 ـ A.M.G , H 226 , LETTR. DU DrROU... ...U...,OP.CIT ,

و ذلك في عام 1838، أي التاريخ الذي بعث فيه صاحب الرسالة هاته إلى السيد بلاندال BLONDEL مدير المالية بالجزائر آنذاك، و الذي رحل فيما بعد إلى العاصمة باريس. فإن الأمر دفعنا إلى تحديد تاريخ ولادته بعام 1783 .

و لا غرابة في أن أصبح الحاج أحمد باي يسمى بإسم أمه، فيقال له الحاج أحمد إبن الحاجة شريفة، فرغم ولادته في قسنطينة عاصمة بايلك الشرق، و التي كانت بالأمس القريب تحت حكم جده، إلا أنه إبن الصحراء بحكم انتمائه لأمه إلى هذه المنطقة التي ترعرع فيها، كما أن جده و هو أحمد القلي الذي كان بايا على قسنطينة (1) عند وفاته ترك ولدا اسمه محمد و هو أب الحاج أحمد باي. فقد عين هو الآخر فيما بعد خليفة لحسن باشا (2).

و قد تزوج الخليفة محمد الشريف، والد الحاج أحمد باي، من ابنة شيخ قسنطينة إبن قانة، أكبر قبائل المنطقة الصحراوية مالا و جاها و قوة، و قد كلل هذا الزواج بميلاد أحمد باي، الذي تربى يتيم الأب، هذا

---

1 ـ أبو القاسم، سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الإحتلال، القاهرة 1976، ص 133 ـ 134 .

2 ـ محمد العربي، الزبيري، مذكرات الحاج أحمد باي، ص 6 .

الأخير الذي مات خنقا و هو في سن مبكرة، دون أن يخلف إخوة لأحمد باي . فكان لزاما على أمه في ظروف قاسية يشوبها القلق و الخوف على إبنها من أن يلقى نفس المصير الذي لحق بأبيه رغم صغر سنه، أن تفر به من قسنطينة و التحقت بأهلها في الصحراء، حيث وجد أحمد باي الرعاية الكافية في أحضان أمه، و بين أخواله، فتربى تربية سليمة و فتح عينيه على طباع أهل الصحراء من كرم و جود و أخلاق . و من تلك الساعة أصبح أحمد باي يحمل إسم أمه التي صاحبته إلى كل مكان و مقصد (1) .

---

1 - gENTY DE BUSSY, DE L'ETABLISSEMENT DES FRANCAIS DANS LA REGENCE , PARIS 1839 , TOME II , P. 283 .

العنصر الثاني

==========================

صفات الحاج أحمد باي .

==========================

لقد ظلت شخصية الحاج أحمد باي مجهولة المواصفات رغم ما كان يتحلى به من صفات حميدة، كبطل و زعيم امقاومة دوّخت فرنسا و جنرالاتها، إلى جانب ما إكتسبه من خصال كانت نتيجة لمراحل حياته، خاصة المأساة التي عانى منها مع أمه في صباه، و ذلك بعد تحريبها له و هو صغير من قسنطينة بعد مقتل أبيه .

لم يكن الحاج أحمد باي يافع القامة بقدر ما كانت قامته متوسطة، لكنها ممتلئة، مما يدل على غلظة هيكله ـ جسمه ـ .أما عيناه، فكانتا ضيقتين تميلان إلى السواد و تميزان بحدّتهما في النظر مما يعكس بحق هيبته كصاحب شأن. و كان صاحب لحية سوداء كثيفة مرسلة على صدره (1).

و كانت هذه الشخصية صاحبة ذون مميزة، لكونها كانت قوية الشكيمة، فلا يوجد للأحاسيس و العواطف مكان عندها (2)، و هذا يعود بالطبع

---

1 - BONNAFONT , REFLEXIONS SUR L'ALGERIE , PARTICULIEREMENT SUR LA PROVINCE DE CONSTANTINE, PARIS 1846 , P. 56 .

2 - PIQUET , victor, AUTOUR DES MONUMENTS MUSULMANS DU MAGHREB ESQUISSE HISTORIQUE,L'ALGERIE,EDITION MAISON NEUVE , 1848 , P. 125 .

إلى البيئة الصحراوية التي ترعرع فيها ، فأكسبته صفات ميّزته عن غيره ، كالرجولة و المروءة و الشهامة و الحذاقة ، و هذا يعود بالدرجة الأولى إلى تربيته الأولى و الأسس التي نشأ عليها . فقد نشب و ترعرع في كنف أخواله عرب الصحراء ، فأصبح عربي الطباع فتشكلت شخصيته في قالب صحراوي .

غير أن تفسيرات بعض الكتاب الفرنسيين لهذه الشخصية لم تكن منطقية ، و إنما إتسمت بالمغالات و التشويه . و هذا يعود بالدرجة الأولى إلى الكراهية و الحقد اللذين علقا بذهنية هؤلاء ، خاصة و أن الحاج أحمد باي كسّر شوكة فرنسا و حطّم كبرياء الفرنسيين و غطرستهم غير مرّة . و بالتالي إنكبت الكتابات بلا هوادة ، تجريحها في شخصه ، منعها أنه إنسان لا يعرف الرحمة حتى مع الحيوانات (فقد كان يمتلك كلابا أنيقة يطلقها ليلا في حدائق قصره لمهاجمة السباع و في النهاية يحسم الأمر بقتلها بالرصاص) (1) .

إنها كراهية الفرنسيين له هي التي دفعتهم إلى سياسة التشويه و التجريح ، أيعقل لقائد مسلم ،

---

1 - PIQUET , AUTOUR DES MONUMENTS... , P. 126 .

نشأ على حبّ الناس و عطفه على مخلوقات الله تعالى أن يتجرأ على قتل حيوانات بريئة في قصره دون ذنب، فلربّما الصيد ؟ عند الفرنسيين حرام و إثم كبير. لقد أحلّ الله الصيد للمسلمين.، و كان الحاج أحمد باي ميالا للصيد و شغوفا به، و يهوى تربية الحيوانات إلى درجة كبيرة، فهو إنساني الطبع و ليس شريرا. كما كان الحاج أحمد باي إجتماعيا في طبعه، يحتك كثيرا برعيته و قد إقتدى في زواجه بالسنة النبوية، و سنن الذين سبقوه من أمراء المؤمنين و حكام، طبقا لما جاء في القرآن الكريم، لذا تعددت زوجاته، و هذا التعدد كان يتماشى و الظروف السياسية آنذاك، ذلك أن أغلبية زوجاته تنتمين إلى قبائل ذات جاه و قوة، تقطن الاقليم الشرقي، (فأزواجه الشرعيين كنّ بنات زعماء قبائل هامة) [1]، مما يدلّ دلالة قاطعة على أن الحاج أحمد باي كان على دراية كبيرة بما يمكن عمله لكسب القبائل إلى صفه، و ذلك بتطبيع علاقته معها في إطار المصاهرة السياسية، و هذا ما يعكس حقيقة هذا

PIQUET , AUTOUR DES MONUMENTS MUSULMANS..., P. 126 . — 1

البطل على أنه فعلا رجل دولة بأتم معنى الكلمة.

فهل الحاج أحمد باي فعلا يتميّز بتربية وحشية و نشأ على حبّه للانتقام لأبيه، إذ أصبح قلبه خاليا من الرأفة و الرحمة؟ ثم أنه لا يعرف إلا العنف و الكراهية للآخرين (1)؟

إنها الأقلام الفرنسية التي لم ترحم تاريخنا، كيف للحاج أحمد باي أن يتصف بهذه الصفات وهو ابن و حفيد لبايات حكموا الإقليم، و ولد في قصر حيث العزّ و الدلال، ثم نشأ ضمن خيمة الرفاهية و الثراء، إنها قبيلة أخواله بن قانة التي ذكرتها الوثائق و ما زالت القصص الشعبية الشفوية تروي الحكايات الكثيرة عن غناها، و أدهش هذه القصص أن هذه القبيلة كانت تضع قطعا ذهبية في أنوف الإبل كأقراط.

إن الحاج أحمد باي لم يعرف هذه المواصفات و لم يكن قاسيا تجاه أبناء وطنه، إنما كان عدوا لدودا للفرنسيين. فقد فاق نبله و شجاعته النادرة و حنكته العسكرية كل تصور في معركة اسطاوالي. فكانت

---

1 - GENTY DE BUSSY , DE L'ETABLISSEMENT D S FRANC IS...,P.203-4

أروع الأمثلة التي ضربها في الدفاع عن وطنه الجزائر بشهادة الجنود الفرنسيين الذين أدهشتهم شخصيته، و شجاعته، و حتى هندامه العسكري، فقد كان جذابا، إلى جانب التنظيم المحكم لقواته رغم قلتها، و مع ذلك فقد إفتتن الفرنسيون بهذه القوة في تلك المعركة، و حتى خيول جنوده المسرّجة لم تنج هي الأخرى من الإفتتان (1).

لقد عرف الحاج أحمد باي أنه كان ميالا لحب الطبيعة. فقد كان يهتم بالحدائق و البساتين، إذ كان يمتلك بساتين بجوار قصره، بها الورود المتنوّعة و الأشجار المختلفة، منها المثمرة و غير المثمرة. فكان يتنزّه فيها بين الحين و الآخر لقضاء وقت الراحة (2)، و أيه راحة إذا كان تفكيره منصب كلّه حول قضايا وطنه، و إقليمه، و التفكير في كيفية مواجهة الخطر الصليبي بالدرجة الأولى .

لقد لقّب أحمد باي بالحاج، فمتى كان ذلك؟ و ما الأسباب الكامنة وراءه ؟

---

1 — G'NTY DE BOSSY, DE L'ETABLISSEMENT DES FRANCAIS ,P. 285 .

2 — PIQUET, AUTOUR DES MONUMENTS...P. 125 .

هذا اللقب يطلق على كل مسلم يزور البقاع المقدّسة و يقوم بمناسك الحج ، فيصبح حاجا .

و أحمد باي الذي تربى تربية عربية إسلامية ، ما من شك أنه تفقّه في الدين و حفظ القرآن و تعلّم قواعد اللغة من نحو و صرف، إذ أن رسائله الموجّهة إلى القادة الفرنسيين و الباب العالي و كذلك زعماء القبائل ، تجزم قطعا في ذلك .

و هو صاحب الثمانية عشر عاما عيّن كقائد العواسي ، من طرف الباي عبد الله. (1) و هذا لا يعني

---

1 ـ كان تعيين أحمد باي قائدا للعواسي في عام 1805، الموافق ل 15 رجب 1220 هـ ، و العواسي كلمة تطلق على القبائل التي تقطن منطقة عين البيضاء و ما جاورها . أما رتبة قائد العواسي ، فهي وظيفة حكومية ، لا تعطى إلا لأقارب الباي في غالب الأحيان ، أو إلى شخصيات مرموقة في المجتمع، كما يخول له هذا المنصب أن يكون أكبر ضابط في القصر ، و بالتالي يصبح الرجل الأول الذي يتولى مهمة الرقابة على الجزء الشرقي للإقليم ، كما تخول له وظيفته هاته أن يشرف على قوة عسكرية كبيرة قوامها ثلاثمائة فارس ، يرافقه أربعة مساعدين يعينهم الباي ، و هم الشاوش و الخوجة و الكحالجي والسراج

أنظر في ذلك / F.BERAUD, OP.CIT , P. 169 .

2 ـ ما عرف عن هذا الباي أنه كان مدمنا على شرب الخمر و سيّء الأخلاق . و كان مكروها من طرف السكان لتصرفاته المشينة ،عيّن بايا على قسنطينة عام 1218هـ ، الموافق ل 1804، دام حكمه إلى غاية 1806م ، مدة عامين و نصف .

أنظر في ذلك/ Dr GUYON , OP.CIT , P. 204 .

أن استلامه منصبا هاما يعود الى كونه ينتمي الى عائلة الباي عبد الله، أو أن أباه وجدّه كانا قائدان من قبل، إنما لما أثبته من قدرات فائقة و شجاعة نادرة تعود الى تربيته و ثقافته التي اكتسبها من محيطه العائلي بالدرجة الأولى و البيئة الاجتماعية ثانية .

و لكنه بعد مقتل الباي عبد الله، تخلى أحمد باي عن منصبه كقائد للعواسي، و انصرف الى خدمة أراضيه. و قد بقي على تلك الحالة من العزلة عن السياسة، الى أن تولّى نعمان باي[1] الحكم، الذي استدعاه مرّة أخرى و عيّنه قائد العواسي نظرا لخبرته في هذا الميدان. و بقي في منصبه هذا الى غاية عام 1815 .

و بعد موت نعمان باي عام 1815، تولّى حكم

---

1 ـ نعمان باي هو محمد نعمان باي، عيّن حاكما على بايلك الشرق عام 1225هـ، الموافق لـ 1812م. دام حكمه ثلاث سنوات و أربعة أشهر، أي الى غاية 1228هـ الموافق لـ 1815. و قد قتل من طرف أحد أصدقائه، بأمر من داي الجزائر، لأن تعيينه جاء تحت ضغط القبائل العربية. و قد شيّد له مقام يزار من طرف القبائل، نظرا لما كان عليه من سمو الأخلاق و محبا للخير.

أنظر في ذلك / FERRAD , OP.CIT , P. 48-49 .

الاقليم الشرقي شاكر باي(1)، الذي هو الآخر إحتفظ بأحمد باي كقائد العواسي • وعند تجاوزه سن الثمانية عشر عاما، حيث يحق له زيارة المقدسات، ربط أمتعته متوجها الى مكة، وكان ذلك في عام 1818م، في عهد حكم الباي أحمد المملوك للإقليم القسنطيني (2)، وفي هذا الصدد لم تشأ الكتب الفرنسية إلا أن تزيد في تشويه أحمد باي البطل المغوار، إذ ترجع بعض منها أن سبب زيارته للبقاع المقدسة للحج لم يكن الا لتكفير ذنب إقترفه، وهو خليفة لباي قسنطينة • فقد أشارت بعضها أنه في ليلة من الليالي قصد إحدى المنازل بضواحي قسنطينة، حيث تقطن بنتان، فاعتدى عليهما، مما دفع بوالد البنتين أن يطلب حقه في ذلك، فكان على أحمد بلبلالاي

1- ما يقال عن هذا الباي أنه هو الباي شاكر باي، عيّن بايا على الإقليم الشرقي عام 1228هـ الموافق لـ 1815، دام حكمه ثلاث سنوات إلى غاية 1231/ 1817م • ويعرف عنه أنه كان مثقفا و شجاعا لكنه غير سياسي •لذا نشب الخلاف بينه وبين رؤساء القبائل، وبينه وداي الجزائر، الذي دبّر لقتله، كما أنه تزوج من عمة أحمد باي، لذا قرّبه إليه •
أنظر في ذلك/-
GUYON , OP.CIT , P. 284-285 .
2- عيّن الباي أحمد المملوك، حاكما على الإقليم الشرقي، في عام 1232هـ / الموافق لـ 1818، ودام حكمه قرابة 6 أشهر، حيث عزل عن الحكم من طرف الداي، ونظرا لثقافته وشجاعته إكتسب ثقة الداي وعيّن ثانية على حكم قسنطينة مدة سنتين ونصف، 1235هـ/1821 إلى 1237هـ/1823م • وقد أغتيل من طرف أعدائه، ويعود أصله الى بورتو فراي بمقاطعة ليفورن •
أنظر في ذلك /
FERR UD , OP. CIT , P. 50-52 .

إلا أن تزوجهما (1).

لنقف عند هذه الشائبة، و لنرى مدى صحتها، فكيف لخليفة مسلم أن يتجرأ على فعل عمل كهذا دون أن يراعي مكانته الاجتماعية من ناحية، و وظيفته كخليفة من ناحية أخرى ؟ و كذلك كيف يمكن له أن يفعل ذلك، و آمال أمه معلقة عليه في خلافة أبيه، و استرجاع مكانتها بين أهل زوجها في القصر.

و عليه، نرى أن أسباب هجرته إلى مكة المكرمة أو حجه حسب إعتقاد هؤلاء، لا يعود إلى هذه الحادثة المفتعلة، التي يضاف إليها أن باي قسنطينة لم يرضى بتصرف أحمد باي هذا، فكتب إلى الجزائر حيث مقر داي الجزائر، يطلب منه إباحة قطع رأسه، لكنه نظرا لمعارف أحمد باي على مستوى محكمة الداي، تم رفض و إبطال هذه الشكوى، و على إثر ذلك دبّرت عملية إيفاده إلى البقاع المقدسة. (2)

---

1 – GENTY DE BUSSY , OP.CIT , P. 284 .

2 – I BI D , OP. CIT , P. 284 ;

لقد إعتاد الفرنسيون تشويه زعماء المقاومة الجزائرية، لذا فهذا الإفتراء و البهتان لا يمتان إلى الحقيقة التاريخية بشيء من الصحة. فالحج في نظر المسلمين واجب على كل مسلم من استطاع إليه سبيلا، و أحمد باي كان على قدر كبير من العلم و الجاه و المال، و بالتالي تخول له هذه الأمور تأدية فريضته ليكمل قواعد دينه الإسلامي دون قيد أو شرط .

إن المدة التي قضاها أحمد باي خارج وطنه إستغرقت قرابة خمسة عشر شهرا. و قد كانت مصر محط ترحال الحجيج الذاهبين و الآتين من مكة المكرمة. لذا تسنى لأحمد باي أن يزورها و يقضي بها مدة من الزمن. و قد سمحت له هذه الزيارة من التعرف على العديد من الشخصيات المصرية البارزة آنذاك، و على رأسها حاكم مصر محمد علي باشا و إبنيه إبراهيم باشا و طوسون باشا، هذا الأخير الذي كان على إتصال دائم بأحمد باي (1).

فعلا إستطاع أحمد باي أن يجلب أنظار

---

1 — Dr GUYON , OP. CIT , P. 284 .

حكام وضعوا بصماتهم في سجل التاريخ ، فأولت له العناية و الأهمية البالغتين .

إنه أحمد باي الذي تفقه في القرآن الكريم و تربى تربية إسلامية، و بالتالي إكتسب حب القبائل العربية له منذ أن طرق باب الرشد ، و استطاع بشجاعة و حنكة أن يكسب ود حاكم الجزائر.

إنها سيرته الأخلاقية التي ما فتئت تعجب المحيطين به، و تتسع في نظر غيره ، إعجابا و تقديرا . إنها صفاته الحميدة من شهامة و كرامة و حب و إخلاص للأمة التي ترعرع في أحضانها. ((ففي هذه الفترة كان الجنود المصريون يعتمدون في القنص على البنادق لرمي شوكة من بعيد باعتبارها هدف الرمي . و في إحدى المرات، كان محمد علي يتفقد جنوده بصحبة أحمد باي ، فطلب منه حاكم مصر إذا كان في الجزائر تستعمل هذه الطريقة، فرد عليه أحمد باي أن الجنود الجزائريين لا يستعملون الشوكة ، و مع ذلك يصيبون هدفهم بدقة متناهية و هم على ظهور جيادهم و هي تركض و ما كان على أحمد باي إلا أن يبدد حيرة محمد علي

باشا، و رمى الهدف، فأصابه بدقة متناهية، ما أدهش حاكم مصر و جنده، و بالتالي تحصل على الجائزة، و هي عبارة عن عمامة، لكن شهامة الحاج أحمد باي و تواضعه دفعاه إلى تسليم هذه الجائزة لأحد أتباع محمد علي. و عند دخوله القصر، بعث الحاكم محمد علي باشا إلى أحمد باي بهدية تمثلت في خمار من الوبر، و لكي يرد أحمد باي على هذه المجاملة بالمثل، بعث لحاكم مصر أجود قطع القماش و أطيب العطور كان قد أحضرها معه من مكة المكرمة (1).

إن إقامة أحمد باي بمصر سمحت له بالاحتكاك بأبناء محمد علي باشا من جهة، و التعرف من جهة جهة أخرى على القدرات القتالية و التنظيم العسكري المحكم الذي كانت عليه الجيوش المصرية آنذاك خاصة و أنه تأثر فعلا بشخصية محمد علي باشا، الذي عرف بإصلاحاته الشاملة، و التي مست كل الميادين، سواء الإدارية منها أو الاقتصادية أو العسكرية .

---

1 – Dr GUYON , OP. CIT , P. 284 .

و من الغريب أن يصادف أحمد باي إثر إقامته في مصر أحد أقاربه، و هو عمه الحاج ابراهيم الذي كان يقطن بالديار المصرية منذ الحملة الحملة الفرنسية على مصر عام 1798م، إذ كان مجاهدا في صفوف المدافعين عليها تحت قيادة مراد باي،وقد أعجب نابوليون بونابارت بشجاعته و إقدامه، فاستدعاه بعد احتلال مصر و منحه هدية تمثلت في منشفة - أوغليون - تبغ من الذهب الخالص، و قد أهداها بدوره الى أحمد باي الذي احتفظ بها كثيرا (1) .

لقد كان أحمد باي يعتبر بكل صدق عن أبويته بين أفراد أسرته إبتداء من أمه التي تحملت المشقات من أجله، فرعته حتى قوي عوده و أصبح رجل دولة بأتم معنى الكلمة، فأصبح يكن لها كل الاحترام و التقدير. و كان يستشيرها في أمور عديدة، و قد أسكنها أرقى و أهم بيت في قصره، و أعطاها كل الصلاحيات في الاشراف عليه. و كانت هذه البيت تسمى "أم النون"، إذ ضمت زوجاته الشرعيات كذلك، و كان يتناول

1 - Dr GUYON , OP. CIT , P. 284 .

طعامه مع الجميع و هذا لتواضعه و الحبّ و الاحترام المتبادلين بينه و بين خدمه و حشمه (1) .

و نظرا لارتباطه الوثيق بأمه، فقد كانت بالقرب منه دائما، في السرّاء و الضرّاء. فعندما حل مرض الكوليرا بإقليمه عام 1835، أصيب به، و قد تم شفاؤه على يد أمه التي سهرت الليالي الطوال على علاجه لمدة من الزمن (2).

لم يكن أحمد باي غليظ القلب، كما إدّعى بعض الناقمين. فقد كان مرهف الأحاسيس، عادلا لا يحب الظلم، عطوف على أسرته، و كان يحب فلذات كبده، و هذا أمر طبيعي. و قد رزق بولدين من زوجته فاطمة بنت بوعرارة التي تنتمي إلى قبيلة الحنانشة الكبيرة، و ولد من أمة سوداء إسمها فطومة. كما كانت له زوجة أخرى تسمى خديجة و هي إبنة قائد قبيلة الحراكتة (3).

و من الطبيعي أن تطغى الغيرة على قلوب النساء - و هنّ أضعف خلق الله إيمانا - فيما

---

1 - PIQUET , OP.CIT , P. 125 .

2 - IBID , P. 125

3 - IBID , P. 125 .

بينهن و تراودهن الشكوك. و ما من شك أن أحمد باي كان على دراية بذلك، و إلا لما استطاع جمعهن في بيت "أم النون" معا، و بالتالي يعرفن متى يدخل و متى يخرج. لكن الغلاة الفرنسيين الذين شوّهوا تاريخ بلادنا عمدوا ذلك إلى تشويه ماضي هذا التاريخ. فقد تمادوا إلى القول ((أنه ذات يوم ركل زوجته خديجة بقدمه على جوفها بقوة، فطرحها ميتة، لأنها تجرأت بالقبول على أنه لم يتزوّج إلا من سوداء)) (1) .

أيعقل أن يتصرف رجل دولة بهذه التصرفات و بهذه القسوة، يقتل نفسا بريئة ذنبها أنها تفوّهت بكلمات لا تسمن و لا تغني من جوع .

إن أحمد باي مترفّع عن ذلك كله، وإلا لما جمع نسائه تحت سقف واحد، و أغدق على نسائه العطاء والعطف و الاحترام، و أحلّ بينهن بالعدل. و كيف لرجل مثله لا يأخذ بعين الاعتبار قوّة قبيلة الحراكتة، و ما لها من وزن زاد من قوّته العسكرية، و هو الذي عرف عنه الترقّي و الدبلوماسية و كل المواصفات السياسية كانت أو العسكرية، إنه ذلك الشخص الذي حنكته التجارب و تتلمذ في مدارسها و تفقّه في الدين فأصبح يعرف

---

1 — PIQUET , OP. CIT , P. 126 .

ما له و ما عليه من حقوق و واجبات . لقد كان يرعى أزواجه عند مرضهن إلى جانب أمه، و كل أسبوع يستدعيهن في جلسة لينظر في حوائجهن، بكل ما يحمله من مسؤولية تجاههن . إنها المسؤولية التي نصّ عليها القرآن، و جاءت بها السنة النبوية تجاه الزوجات، و هي العدل بينهن و احترامهن و الوقوف عند الحدود التي أمر بها الله تعالى . إنها عيّنات من سيرته بين أفراد أسرته التي تميّزت بالحب و المودّة و الدلال و العطاء .

و قد أجمعت جل الكتابات الفرنسية على أنه خشن الطباع ذا حكم سلطوي، كلمته هي النافذة، صائبة كانت أم خاطئة، و يتظاهر في غالب الأحيان بحبّه للغير حتى بين أبنائه (1) .

إنه هراء الفرنسيين و بهتانهم، حتى و إن افترضنا أنه كان قاسيا مع الغير، فكيف يكون قاسيا مع أبنائه و يتظاهر بالحب لهم، أليسوا فلذة كبده ؟

و قد تجلى هذا الحب في تلبية طلب إبنته فاطمة التي كان يحبها حبّا قويا، ففي سنة 1834 بعث أحد خدّامه إلى فرنسا ليشتري لها الألعاب (2).

---

1 _ PIQUET , OP. CIT , P. 126 .

2 _ IBID , P. 127 .

و نتقف عند بعض الأحداث التي وردت كذلك في كتابات الفرنسيين حول شخص أحمد باي ، و في حقيقة الأمر ما هي إلا نسيج من الخيال و التشويه. فقد ذكر فيكتور بيكات حول أحمد باي أن هذا الأخير عندما أوفد أحد خدمه لشراء الألعاب لابنته ، أحضر معه عربة ظانا أنها سوف تصحب البنت ، لكن أحمد باي - كما ذكر بيكات - لم يولي لابنته أدنى إهتمام ، و ربط كلابه بالعربة لجرها ، و طلب من الشيوخ ذوي اللحي الطويلة البيضاء و بعض شخصيات الدولة ركوبها ليرفه عن نفسه و حاشيته بالضحك. كما يضيف نفس المرجع أن أحمد باي أراد تزويج إبنته فاطمة لأحد أعوانه ، و إكتشف أن لهذا العون علاقة بإمرأة أخرى إسمها الزهراء ، فقام لحينه و أمر باختطاف المرأة ، و وضعها في كيس ثم رمى بها من أعلى سفح الجبل (1).

و في حادثة أخرى ، أن أحمد باي كانت له زوجة إسمها عائشة ، و هي من أصل إيطالي ، و بالتحديد من منطقة كيرو ، و كانت قد بيعت في الاسكندرية فاشتراها له رجاله. و كان لهذه المرأة أخ أختطف هو

---

1 - PIQUET , OP.CIT , P. 127 .

الآخر من طرف القراصنة، ثم أقحم في صفوف الميليشيات بالجزائر، و قد تم نقله الى قسنطينة، حيث تعرف على أخته عائشة، زوجة أحمد باي. و قد حاول رؤيتها، لكن أحمد باي سمع بالخبر فأمر بقطع رأسه في الحين (1).

و يضيف نفس المرجع أن أحمد باي كان يجلس كل مساء في حديقة قصره بعد تناول الأكل ليدخن أمام زوجاته اللاتي يجلسن مطأطآت الرأس، و يضعن أيديهن على خصورهن، فيقوم أحمد باي باختيار إحداهن، فيقدم لها غليونه لتأتي به في الليل. و ذات يوم بدأت إحداهن بتقشير برتقالة أمامه، فغضب منها و قام بتسمير يدها على جذع شجرة، و مرة شعرت إحدى زوجاته بالمرض فلم تستطع إحضار غليونه، فانتظرها مدة قصيرة ثم قام غاضبا الى مقر زوجاته حيث تقيم و غرس خنجره في صدرها (1).

و يضيف نفس الكتاب أن أحمد باي سمع ثلاث آمات سوداء يشتمنه، و يتمنين له الموت، فأحضرهن و قطع أجسامهن بسيفه اربا اربا .

---

1 – PIQUET , OP.CIT , P. 128 .

2 – IBID , P. 128 .

و في مرّة وصله خبر مفاده أن زوجتين له كانتا تطلان من النافذة على المارة خارج القصر، فقام لتوه بغرس خنجره في فم الأولى، و سلخ ثدي الثانية (1).

لم يعهد على الحاج أحمد باي و ما عرف عنه أن يجرأ على أعمال كهاته تجعل منه إنسانا لا يعرف للرّحمة مكانا. و ما قيل عنه هو أمر لا يتأتى من رجل عاقل اللهم إلا إذا كان الحاج أحمد باي مختل عقليا أو مسّه جنّ. و هذا ما لم نعثر له على أثر في كتابات الفرنسيين أنفسهم، و لا حتى في مذكراته أو ما كتب عنه. و لكن الأمر المؤكد هو أن الشخصيات الجزائرية التي إستطاعت أن تنخر في جسد فرنسا و تحطم كبريائها و جبروتها، كالحاج أحمد باي، إستطاعت أيضا!!! أن تخيف أقلام الفرنسيين.

و هو في سنّ الستين من عمره، كان بهي الطلعة رغم قصر قامته التي خدّدت ما. فهيأته توحي إلى قوّته، و عيناه تلمعان حدة و حيوية. فكان متواضع المقام. و رغم كبر سنّه، فكلامه بقي متزنا

---

1 – PIQUET , OP. CIT , P. 129 – 130 .

و مركزاً، مع نوع طفيف من الارتجاج، و ما ميّز كلامه هو لهجته الشرقية (1).

لقد جمع الحاج أحمد باي كل الميزات و المواصفات التي تليق به إنطلاقا من واقعه العربي الاسلامي، و من بيئته و محيطه الاجتماعي، شأنه في ذلك شأن رجال الدولة. فقد جمع حقيقة بين الشدّة و الليّن حسبما تقتضيه الضرورة، و لكن مع أعدائه كان قاسيا إلى درجة كبيرة جعلتهم ينالون بأقلامهم المسعورة. أما مع أهله و عشيرته و أتباعه فكان حليما رؤوفا بهم، معهم في سرّائهم و ضرّائهم .

---

1 - GENTY DE BUSSY , OP. CIT , P. 288 .

الـبـاب الأول

الحـاج أحـمـد بـاي رجـل دولـة

الـفـصـل الـثـانـي

1- أعمالـه الإداريـة و السياسيـة .

2- التنظيـم العسكـري لبايلـك الشـرق .

3- الحيـاة الثقافيـة فـي عهـد الحاج أحمد باي .

4- نشـاط الحاج أحمد باي العمرانـي .

العنصر الأول

أعماله الإدارية والسياسية .

أن فطنة أحمد باي و أتباعه، تعود بالدرجة الأولى إلى ما تلقاه من تربية منذ طفولته، و بالتالي كان أولى من غيره في استلام أول منصب بالنسبة له ؛ و هو قايد العواسي، حيث أن هذه الوظيفة لا تمنح إلا لأشخاص تتوفر فيهم شروط المسؤولية، باعتباره منصبا سياسيا، إلى جانب ذلك فقد إختاره الباي عبد الله أحد أقاربه لهذا المنصب [1] وكان ذلك سنة 1801م، تلك هي السنة التي توصلنا إلى تحديدها حسب مقارنتنا للوثائق و هو عام 1783، و هذا خلافا لما جاء ذكره في كتاب عبد الجليل التميمي [2] الذي ذكر أن تاريخ تعيينه كقائد العواسي كان عام 1809م، و كذلك خلافا لما ذكره الدكتور غيون [3] حيث حدد تعيين أحمد باي كقائد العواسي عام 1803 م، الموافق لـ 1226 هـ .

1- (A), CHERBONNEAU, (INSCRIPTION ARABES DE LA PROVINCE DE CONSTANTINE), IN R.S.A.C, ANNEE 1854-1855 . P. 35 .

2- TEMIMI, abdeldjelil, LE BEYLIK DE CONSTANTINE ET HADJ AHMED BEY (1830-1837) R.H.M , P. 60 .

3- GUYON , OP.CIT , P . 283 .

وبعد اغتيال عبد الله باي، عزل أحمد باي لاتهامه بقتله، و بقي على حالته إلى أن جاء إلى حكم بايلك الشرق نعمان باي الذي عينه مرة ثانية كقائد العواسي. لكن هذا الأخير لقي حتفه، و عيّن مكانه شاكر باي الذي تزوج كما أسلفنا من إحدى أقارب أحمد باي، ما سمح له بالبقاء في منصبه لمدة عامين آخرين (1).

كما أن تنقلات أحمد باي إلى المشرق العربي أكسبته خبرة سياسية.فبعد أن زار مكة و المدينة، و أدى فريضة الحج، قصد مصر في عهد محمد علي الكبير الذي أنزله منزلة الحكام، فتأثر بإصلاحاته الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية (2)، إلى جانب تعرفه على بعض محمد علي الكبير و هما إبراهيم باشا و طوسون باشا (3).

و نظرا للعلاقة الوطيدة بين أحمد باي و الداي حسين باشا، فإنه استطاع أن يحتل مكانة الابن المدلل.فكان يناديه بابنه، و بالتالي عندما عاد إلى الجزائر، أمر الداي حسين باشا من

1- GUYON , OP.CIT. , PP. 283 - 284 .

2- A.CHERBONNEAU , OP.CIT , P. 35 .

3- GUYON , IBID , P. 284 .

أحمد باي المملوك أن يعينه خليفة له[1]، و هكذا يكون منصب الخليفة ثاني منصب سياسي يتلقّنه الحاج أحمد باي .

لقد أظهر الحاج أحمد باي في منصبه هذا، كفاءة نادرة في تسيير أمور البايلك، خاصة في عهد ابراهيم باي الغربي، الذي حكم قسنطينة ما بين 1235 هـ - 1236 هـ الموافق لـ 1820 - 1821م، لكن الخلاف وقع بين ابراهيم باي الغربي و خليفته الحاج أحمد باي، فوصل أمرهما إلى حسين باشا، الذي أمر بعزل أحمد باي من منصبه، لكن خوفه من المكائد و الاغتيال دفعه إلى مغادرة قسنطينة في اتجاه الجزائر[2]، و عند وصوله مقر حاكم الجزائر، طلب الأمان من الداي، الذي رحب به.

و لقد أمر الداي فيما بعد بعزل ابراهيم باي و قتله عام 1235 هـ[+]، الموافق لـ 1821م، و ذلك بعد أن تعرف على حقيقة الأمر أن الحاج أحمد باي بريئ من تهمة الخيانة لصالح باي تونس التي له، و بالتالي نجح في استمالة الداي و الحصول على

1- GUYON , OP.CIT , P. 284 .

2- محمد المهدي بن علي شغيب، أم الحواضر...، ص 405 .

(+) إننا نشك قطعا فيما ذكره الأستاذ عبد الجليل التميمي في كتابه "بايلك قسنطينة و الحاج أحمد باي"، ص 60، على أن أحمد باي المملوك هو الذي عين الحاج أحمد باي كخليفة له على بايلك الشرق .

العفو، حيث أقام بمدينة الجزائر مدة ثلاثة أشهر (1).

و بعد أن قضى هذه المدة في الجزائر العاصمة، بعثه الداي حسين الى مدينة مليانة، حيث أوصى به خيرا، و منحه منزلا أنيقا و بعض الأراضي الزراعية، كما خصص له مبلغا معينا من المال ليسد به حاجاته(2)، و هذا ما لم يأت ذكره في مذكرات الحاج أحمد باي، الملحق رقم 2، لأحمد بوضربة بالتفصيل، و الذي ذكر أن أحمد باي نفي الي مدينة مليانة لمدة عامين و نصف، ثم سمح له بعد مساعي والدته لدى يحي آغا، قائد الجيوش في الايالة، إلى الانتقال الى مدينة البليدة، لكنه ما دام الحاج أحمد باي قد أثبتت براءته إلى جانب ما يكنّه له الداي حسين من محبّة و عطف، و بالتالي احترام مكانة إبنه، كيف له أن يتم نفيه إلى مليانة هكذا ؟ و بالشكل الذي ذكره بوضربة (3) ؟

1- محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي...ص.117 .

2- GUYON , OP.CIT , P. 285 .

3- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق ذكره، ص. 115-116 .

ونحن من جانبنا نقف عند حقيقة أخرى، وهي أنه فعلا لم ينف أحمد باي إلى مليانة، بل انتقل إليها برضاه، وبموافقة من الداي نفسه، خوفا عليه من الدسائس والمكائد .

بعد أن تم أحمد باي مدته في منطقة مليانة، انتقل إلى البليدة حيث عاصر الزلزال الذي حل بها، وهدمها عن آخرها، وذلك في 12 رجب عام 1240 هـ الموافق لـ 2 مارس 1825، وقد حدثت الكارثة في وقت الظهر (1)

وعلى إثر هذه الكارثة الأليمة، استدعاه الداي حسين إلى الجزائر، وأسكنه في إحدى

1- لقد أحدث زلزال البليدة الذي وقع في 12 رجب 1240 هـ الموافق لـ 2 مارس 1825م، خسائر كبيرة ووصل أثره إلى الجزائر. وكان ذلك يوم الأربعاء، إذ هدمت مدينة البليدة عن آخرها، وبقي العديد من سكانها تحت الأنقاض. فمن 15 ألف نسمة، ما بين حضر ويهود وأهالي، نجى منهم 300 نسمة فقط ما بين جريح ومعطوب. وفي تاريخ 7 مارس من نفس السنة، تم انتشال 17 ألف جثة منهم 280 طفل كما وجد عدد كبير من السكان تحت أنقاض المساجد حيث كانوا يؤدون الصلاة.

أنظر في ذلك / GUYON, OP.CIT, P. 285 .

ضواحيها في المنطقة المسماة "حنة القادوس" بحوش "أولاد بابا".(1) و قد وجد في مستقره هذا كل متطلبات الحياة، إذ خصصت له أراضي للزراعة، و كذلك غابة للصيد و تربية الخيول.

و الظاهر أن بوضربة يكنّ الكراهية للحاج أحمد باي، ففي مذكراته لم يتطرق إلى السبب الجوهري الذي دفع الداي حسين باشا إلى تعيين الحاج أحمد باي حاكما على قسنطينة، إنما ربط ذلك التعيين بشخص يحي آغا، الذي إقترح هذا التعيين على الداي حسين، لما له من نفوذ قويّ، و كلمته مسموعة لدى الداي حسين، لكننا نرى أن السبب يكمن في قوة شخصية الحاج أحمد باي من جهة، و من جهة أخرى ما أبداه من استعداد كامل في قيامه بأية مسؤولية توكل اليه، خاصة مشاركته الفعلية، و هو مقيم في منطقة "حنة القادوس"، في الحملات التأديبية التي كان يشنها جيش الداي حسين على القبائل المتمردة عن طاعته، ففي مرتين متتاليتين يتمكن من إنقاذ الجيش من الهلاك، في المرة

1- GUYON , OP.CIT , P. 285 .

الأولى ضد قبائل بني مناد، و في الثانية ضد قبائل بني جناد (1).

و على اثر ذلك ذاع صيته، و اعترف الداي حسين بقوته و شجاعته، مما دفعه إلى تعيينه بايا على إقليم قسنطينة، و هذا دليل قاطع يبطل ما جاء به أحمد بوشريبة، حيث إصطحبه قائد الجيش العثماني يحي آغا إلى مقر حكمه في قسنطينة، و كان ذلك في عام 1242 هـ الموافق لـ 1826م، و بالتالي حل محل محمد باي المنملسي الذي حكم قسنطينة مدة عامين، و قتل بأمر من الداي حسين في عام 1242هـ الموافق لـ 1826م (2).

و نظرا لقوة شخصية أحمد باي و حنكته السياسية، إستطاع أن يصل إلى مبتغاه و أن يستلم أعلى المناصب السياسية بتعيينه بايا على الاقليم الشرقي من طرف حاكم الجزائر الأول الداي حسين باشا، و بذلك يدخل أحمد باي ميدان المسؤولية الكبرى كرجل دولة، لما أثبته

1- GUYON , OP.CIT , P. 286 .

2- TEMLI, abdeldjelil , LE BEYLIK DE CONSTANTINE ET HADJ AHMED BEY (1830-1837) , TUNIS , P. 60 .

من كفاءة ميدانية على جميع الأصعدة. وقد كانت سنوات حكمه الأولى قبل دخول الفرنسيين الجزائر عام 1830 يسودها الهدن و الرفاهية و الإستقرار، و شهدت قسنطينة آنذاك نهضة كبيرة شملت العديد من الميادين (1)

كما استطاع أن يوحد بين القبائل خاصة ذات النفوذ الكبير، مثل قبيلة أخواله بن قانة عرب الصحراء، و المقراني و قبائل فرجيوة و الزواغة، و ذلك عن طريق المصاهرة فيما بينهم (2).

و من جهة أخرى استطاع كذلك أن يضم الى صفه قبائل أخرى عن طريق مصاهرته لهم مثل زواجه من إبنة باي بومرزان باي الشيطي و إبنة الحاج عبد السلام المقراني (3).

لقد حكم الحاج أحمد باي قسنطينة طبقا لأحكام العقيدة الإسلامية، و حسب ما أكد عليه القرآن و السنة (4)، هذا الحكم الذي

1- GUYON , OP.CIT , P. 286 .

2- EMERIT, marcel, L'ALGERIE A L'EPOQUE D'ABDELKADER, PARIS 1951 P.238 .

3- FERAUD, L-CH, (MONOGRAPHIE DU PALAIS DE CONSTANTINE) IN R.S.A.C ,PARIS , CHALLAMEL 1867 , PP. 92-93 .

4- A.TEMIMI , LE BEYLIK DE CONSTANTINE , OP.CIT , P.61 .

ناحية أخرى تحرشات التونسيين في الاستيلاء على قسنطينة، و ذلك محاولة تأليب بعض أعداء الحاج أحمد باي داخل الاقليم ضده من طرف باي تونس، كل ذلك دفع بالحاج أحمد باي الى احداث مناصب سياسية جديدة منها منصب باشحامبا أو بالأحرى وزير أول، و قد عيّن بن عيسى عليه و أصبح الرجل الثاني بعد الحاج أحمد باي مباشرة، للاقليم (1)

و كذلك منصب الخليفة الذي يمنح عادة الى احدى الشخصيات القريبة جدا من الحاج أحمد باي، علما أن هذا المنصب لم يحدثه أحمد باي بل كان موجودا من قبل، لذا وكل هذا المنصب الى أحد أقاربه و هو مصطفى بلعوان، كما قام بتجديد منصب قائد العواسي الذي عيّن فيه إبن عمّه الحاج حسن، و نظرا لأهمية هذا المنصب، فإنه بعد وفاة إبن عمّه عام 1835م، عيّن إبنه محمد مكانه و هو لم يتجاوز الخامس عشر سنة من عمره (2)

1- VAYSSETTE(E), HISTOIRE DE CONSTANTINE SOUS LA DOMINATION TURQUE 1517 A 1837, CHALLAMEL, 1869, PP. 118-119 .

2- TEMIMI Abdeldjelil, LE BEYLIK ... OP.CIT, P. 68 .

يضاف إلى هذه المناصب منصب قايد الداء، و قد عيّن عليه الشيخ بلبجاوي، و أصبح تحت تصرفه العديد من أمور العاصمة قسنطينة منها مراقبة الحرفيين، و المحاسبة العسكرية، إلى جانب إدارة القصر و الإشراف على الشرطة، و بيت المال (1).

أما بالنسبة لمنصب قايد العشر، فقد عيّن عليه إبن دالي بالنسبة للناحية الشرقية للإقليم، و مسعود القبايلي على الناحية الغربية منه، إذ كان دورهما مراقبة إنتاج المحاصيل الزراعية لضبط مبلغ العشر الذي يدفع إلى بيت المال، و يكون حسب الإنتاج بالنسبة للقبائل، و ذلك طبقا للظروف المناخية (2).

كذلك منصب كاتب السر أو الباش كاتب، فقد تداول عليه بعض العلماء نظرا لما يكتسيه من أهمية كالإطلاع على الأخبار العامة و المراسلات مع داي الجزائر و الباب العالي. يضاف إلى ذلك إستعمال الختم الخاص للحاج أحمد باي،(3) هذا

1- A.M.G H 226 , RAPPORT DE ROUSSEAU , OP.CIT, P. 73 .

2- A.M.G , H 226 , OP.CIT , P. 33 .

3- IBID , P. 33 .

ما يرجع إلى الثقة المتبادلة بين الحاكم و المحكوم و التي لا يشوبها أدنى زيغ أو غش.

كذلك بالنسبة لمنصب آغا الجيش، فقد عيّن عليه الحاج أحمد بن حميد الذي أثبت كفاءته القتالية في العديد من المرات. أما منصب آغا العسكر، فقد وكل مهمته لمصطفى بن محمد (1).

و بالنسبة لمنصب ناظر الوقف، أو وكيل الحبوس، فقد عيّن عليه مصطفى ابن العربي، الذي اقتصر دوره في تسجيل المصاريف و المداخيل المتعلقة بممتلكات البايلك (2).

يضاف إلى هذه المناصب الهامة بعض المناصب التي يمكن اعتبارها ثانوية، منها الباش كحالجي و هو قائد حرس الباي الخاص، و قد كلف بهذه المهمة إلى القائد مرزوق الذي يثق فيه الحاج أحمد كثيرا. و كذلك الباش سراج هذا المنصب الذي كان من نصيب الشيخ مسعود بن براهيم، و كذلك قائد المقصورة و هو مقتصد

1- T.I.I(a) , LE BEYLIK..., OP.CIT , P. 69 .

2- A.N.G , H 226 , Ib.CIT , P. 68 .

القصر، و كذلك منصب باش فراش، و هو رئيس الفراشين في القصر كذلك، و قائد الدريبة المكلف بالشرطة الخاصة بالقصر و المتكونة من العبيد و أيضا شاوش الباي و قائد القصبة (1)

لم يكتف أحمد باي بالإصلاحات الإدارية فقط، إنما قام بإصلاحات في ميادين شتى .فقد دفع بعجلة التجارة إلى الأمام و ذلك على ضوء قرار مجلس الديوان بضرب النقود، و بالتالي أصبح الاقليم الشرقي يتمتع بحرية إقتصادية كاملة(2)، إلى جانب ذلك،فقد استطاع الحاج أحمد باي أن يضع علما لدولته يرمز إلى الجهاد و القوة، فكان أحمر اللون يتوسطه سيف علي رضي الله عنه، و هو السيف الملقب بذو الفقار، و قد نصب على القصر و على كل الثكنات و على كل المرافق ذات الطابع الحكومي (3).

1- TEMIMI,abdeldjelil, LE BEYLIK ..., OP.CIT , P. 70 .

2- A.N.G , H 226 , OP.CIT , P. 199 .

3- ESQUER(g), ICONOGRAPHIE HISTORIQUE DE L'ALGERIE DEPUIS LE XVI SIECLE JUSQU'A 1870,PARIS 1929, PP. 76-77 .

هذا النظام المحكم و الرزين هو الذي أثبت قوته، و فرض وجوده كرجل دولة لها كيانها السياسي. فقد أرغم فرنسا أكثر من مرة على التفاوض معه الند للند [1]، و أجبر بايات تونس على الاعتراف به كحاكم فعلي للاقليم الشرقي بعد أن بدد أحلامهم في الاستيلاء على قسنطينة [2]

1- منذ أن وطأت أقدام الفرنسيين أرض الجزائر، كانت أولى ملاحظاتهم حتمية إستدراج الحاج أحمد باي إلى صفوفهم و محاولة إغرائه بأي ثمن للتخلي على مقاومته لهم، إذ جاء في الرسالة المؤرخة يوم 1 فبراير عام 1830 و الموجهة إلى السيد وزير الحربية، الملف A.O.M 1H 2-14، أنه لا بد من مراقبة قسنطينة، لأنها أقوى معاقل مملكة الجزائر. وفي هذا الصدد وجوب بعث مترجم عربي من طرف محمد علي، قصد التفاوض مع الحاج أحمد باي، لأن هذا الأخير كانت تربطه صداقة حميمة مع طوسون باشا إبن محمد علي الكبير. وكمرحلة ثانية، رفض الحاج أحمد باي المفاوضات بينه و بين فرنسا حول احتلالها لعنابة عام 1831، لأنه يعتبرها جزء لا يتجزأ من دولته، إلى جانب هذا، فإن حمدان خوجة كان له دور بارز في المفاوضات، وفي كل مرة تبرز قوة الحاج أحمد باي بالرفض القاطع لهذه المبادرات.

أنظر مراسلات الحاج أحمد باي مع حمدان خوجة في 24 أوت 1834.

A.O.M , 1 H2 .

وكذلك مارسيل إمريت، المذكرات، ص 81، و أيضا /

ESQUER(G) , CORRESPONDANCE... , OP.CIT , P. 195 .

2- TEMIMI(A) ; LE BEYLIK...OP.CIT, P. 81 .

كما كانت تربطه علاقة متينة مع القوى الداخلية المتمثلة في شيوخ القبائل، ليس بالنسبة لإقليم قسنطينة فحسب، إنما بالنسبة للعديد من مناطق الوطن، إذ كان أساس هذه العلاقة يقوم على حث الحاج أحمد باي على توحيد الصفوف ضد العدو الأجنبي الكافر. و قد وصلت وفوده إلى العديد من المناطق مثل بجاية و المدية و البليدة، لإعلان الجهاد ضد الكفار و الموالين لهم [1]. و هذا الموقف الشجاع هو الذي أكسبه ثقة شيوخ القبائل قاطبة و انضموا إليه، فزادوا من قوته و عزيمته على دحر محاولات الفرنسيين رغم ما أوتوا من قوة .

أما علاقة الحاج أحمد باي بالباب العالي، فقد تجلت في مراسلاته مع السلطة العثمانية في إطار الإعتراف بها كحامية لحمى المسلمين بديار الجزائر، و كوسيلة فعلية و وحيدة على ...

1 — ESQUER(g), CORRESPONDANCE DU GENERAL VOIROL, P.100 .
تتضمن هذه الرسالة تقرير الجنرال فوارول إلى وزير الحربية، في 15 جوان 1833 .

المسلمين بالمنطقة [1]، على الرغم مما كانت تعانيه الدولة العثمانية من أوضاع مزرية جعلتها عرضة لأطماع الدول العظمى . و لم تنجو حتى من ولاتها، كمحاولة محمد علي باشا والي مصر الإستيلاء على العاصمة إسطنبول .

و أمام هذه الأوضاع ظهرت الدبلوماسية البريطانية، باعتبارها العدو و الصديق في آن واحد لفرنسا، مما اضطر الحاج أحمد باي إلى إيجاد علاقات بينه و بينها، حتى يتمكن من كسب قوة أجنبية إلى جانبه، مقابل حصول هذه الأخيرة على إمتيازات إقتصادية، و على الأخص الموانئ الهامة كعنابة و القالة، التي تزخر بالمرجان ، و هذه الأمور لم تكن تخفى على فكر أحمد باي ، و على هذا الأساس، و أمام الضرورة الملحة، بدأت المراسلات بين مجلس الشورى لبايلك الشرق و بريطانيا ، تمثلت في إرسال عريضة إلى البرلمان

1ـ دفتر الخط همايون، العدد 47971، رسالة من الحاج أحمد باي إلى السلطان العثماني محمود الثاني بتاريخ 1251 هـ/1835ـ1836م و كذلك رسالة أخرى من الحاج أحمد باي إلى الصدر الأعظم العثماني بتاريخ 1251 هـ/ 1835ـ1836م . أنظر أمن الرسالتين في الملحق .

الأنكليزي عن طريق قنصل بريطانيا السير طوماس ريد THOMAS READE ، المقيم بتونس، و ذلك بتاريخ 17 جانفي عام 1834. و قد شملت هذه العريضة أسماء العديد من الشخصيات القسنطينية الكبيرة، من شيوخ قبائل و علماء و فقهاء و أكابر الدولة (1).

و قد تضمن محتوى العريضة، إنتهاك الفرنسيين لحقوق الشعب الجزائري، و ما يمكن لأنكلترا أن تلعبه من دور هام في مواجهة فرنسا و تقديم مساعدتها لحكومة قسنطينة ممثلة في شخص الحاج أحمد باي (2).

و على الأرجح أن تكون هناك علاقات دبلوماسية مع دول أخرى أجنبية مثل إيطاليا، و من المحتمل أن يكون قد مهد لها بعض الشخصيات التجارية أمثال أسيفانو الذي كان يحضر لوازم بناء قصر الباي أحمد من بلده إيطاليا .

و انطلاقا من هذا المنحنى السياسي، فإن الحاج أحمد باي، الشخصية الفذة، عملت

1- أنظر العريضة الموجهة من طرف مجلس الحاج أحمد باي بتاريخ 17 جانفي 1834، F.O , 77/25

2- IBID .

الـفـصـل الـثـانـي

التنظيم العسكري لبادية الشرق .

نظرا لأهمية المناصب التي تولاها الحاج أحمد باي، فقد جمعت ما بين الجانب السياسي و الجانب العسكري، و أصبح من العسير علينا أن نفصل بين الجانبين في أي منصب كان .

لقد تولى الحاج أحمد باي منصب قائد العواسي الذي خوّل له قيادة ثلاثمائة رجل، و يساعده في مهمته أربعة أشخاص يعيّنهم الباي و هم على التوالي/
الشاوش و الخوجة و المكحالجي و السّرّاج .(1)

كما أنه عيّن خليفة للباي أحمد المملوك بأمر من الداي حسين باشا، إلى جانب مشاركته في العديد من الحملات التأديبية ضد القبائل، و بأمر من داي الجزائر كذلك، إلى أن عيّن بايا على الإقليم الشرقي عام 1242 هـ الموافق لعام 1826م.

و باحتلال فرنسا الجزائر عام 1830 ظهرت قوته رغم قلة عددها، و التي كانت تزهو على أربع مائة فارس فتدله بوجه مشرف، حيث أثبتت بها الحاج أحمد باي مقاومة كبيرة جدا ضد

1- GUYON , OP.CIT , P. 285 .

الغزاة الفرنسيين، و هكذا و مع بداية عام 1830 ، بدأ الحاج أحمد باي عهدا جديدا في بناء دولة لا بدّ لها أن تقاوم الأخطار المحدقة بها و المؤامرة التي تحاك ضدها داخليا و خارجيا. فهناك طمع بايات تونس في كسر شوكته نظرا لقوته، و اعتباره حاجزا كبيرا يمنع تقدمها شرقا ، إلى جانب الصراع غير المعلن مع الأمير عبد القادر الذي كان هو الآخر يفكر في توحيد الصف الجزائري ضد فرنسا بطريقته الخاصة التي كان قد رفضها الحاج أحمد باي مبدئيا ، و بالتالي لم يكن بوسعه في ظروف كهاته ، الا بناء نفسه عسكريا لمواجهة هاته الأخطار، إذ بادر الى تقوية جيوشه و تعزيزها . ((لقد كانت له عيون في الجزائر و تونس و في المغرب، و الحق يقال، كانت اليقظة ميزة من ميزات الباي أحمد حاكم قسنطينة)) (1).

و مما زاده خوفا على الإقليم الشرقي هو سقوط عنابة في 13 سبتمبر 1831، بمساعدة

1ـ مسعود ، مجاهد ، تاريخ الجزائر، الجزء الأول ، بلا تاريخ ، ص 244.

2— SERRES, jeans , LA POLITIQUE TURQUE EN AFRIQUE DU NORD SOUS LA MONARCHIE DE JUILLET , PARIS. GAUTHNER.1924.P.128 .

أعدائه الداخليين ، لذا رأى وجوب الحذر الشديد من أعدائه المباشرين و هم الفرنسيون، و غير المباشرين و هم العملاء و الخونة من الجزائريين، فكانت أول خطوة قام بها هي إخضاع القبائل المتمردة، و هدفه من ذلك هو توحيد الصفوف حتى لا يترك المجال أمام أعدائه في الداخل لتحريض القبائل ضده، و في هذا السياق، أبقى على الخيالة الأتراك الذين أحضرهم معه عند عودته من مشاركته في المقاومة عام 1830، إلى جانب فئة من رجال المدفعية(1).

و نظرا لاحتياجاته من الخيل و البغال و العتاد الحربي كالذخيرة و المدافع و البنادق، فقد كان يشتريها عن طريق تونس، كما استطاع أن يستأجر اليد العاملة التونسية المتخصصة، حتى لا يفسح المجال للفرنسيين في استغلالها لصالحهم، و بالتالي تكون قوة ضاربة ضده(2).

1- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم و تعريب و تحقيق محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت، الجزائر 1982، ط2، ص. 221 .

2- SERRES , J , OP.CIT , P. 131 .

و على الرغم من الحصار الذي ضربه الفرنسيون على الحاج أحمد باي فيما يتعلق بذخيرة البارود المصدّر إلى العاصمة قسنطينة، و ذلك عبر الحدود الشرقية، إلا أن كميات كبيرة كانت تصل العاصمة قسنطينة لتزويد جيش الحاج أحمد باي بكل ما يحتاجه، و هذا الأمر زاد من تخوف الفرنسيين من قوته الناشئة، مما دفعهم إلى البحث عن طريقة تمكنهم من سدّ الباب أمامه. فكان ضغطهم المتزايد على حسين باي تونس، محاولة منهم تأليبه ضد الحاج أحمد باي (1)

و في بداية عهده كان له من الخيل ألفان، و من البغال ثلاثة آلاف، كما كانت له ثروة كبيرة جدا قدرت بحوالي مليونان و مائتان و ثمانين ألف، إلى جانب الكمية الهائلة من إحتياطي البارود. و قد إستعمل الحاج أحمد باي ثروته هاته في تقوية جيشه، و هذا ما زاد من قوته يوما بعد يوم (2).

1- SERRES,j, OP.CIT , P. 134 .

2- مسعود مجاهد، تاريخ الجزائر، ص. 245 .

لقد استطاع الحاج أحمد باي، بعد فرض الاستقرار و الأمن داخل إقليمه، من بناء الثكنات و السهر على تدريب قواته، حتى تكون على دراية بتقنيات الحرب، و ذلك طبقا لما تقتضيه الظروف المعاشة. و بالتالي أصبحت قوته مركزة و ثابتة، تعتمد على بيت المال في النفقات من جهة، و على ثروته الخاصة من جهة أخرى. و قد خصص في هذا المجال محلا موقرا يتداول القضايا العسكرية (1).

ان الحاج أحمد باي كان على دراية كبيرة بالتطورات التي طرأت على الساحتين السياسية و العسكرية، لذا رأى من الضروري الإعتناء بالناحية العسكرية، مما زاد في تعداد المنخرطين في سلك العسكرية، و زاد في تعداد جيشه، هذا الجيش الذي قسمه إلى قسمين /

القسم الأول، يتمثل في الجيش النظامي المتكون من جنود دائمين، حيث تقدر عددهم بما يزيد عن ألفين و خمسمائة مشاة. أما القسم الثاني

1- A.N.G , H 226 , NOTES SUR LA POSITION POLITIQUE DU BEY DE CONSTANTINE , DATEES LE 30 AOUT 1837 .

فيتضمن الجيش غير النظامي، و المتكون أصلا من المتطوعين. و قد قدر عدد هذا الجيش بحوالي اثناعشر ألفا (12 000) رجل. و هذه القوة الكبيرة مدعمة بوسائل كافية نوعا ما، تعتمد في استعمالها على سياسة حكيمة و نابعة عن داهية قوي الشكيمة. هذه السياسة في معظمها مبنية على تحالف العائلات ذات الصيت الذائع، خاصة عن طريق المصاهرة، و التي ثبتت تدم الحاج أحمد باي في سيطرته على إقليم الشرق و عاصمته قسنطينة، و بالتالي فإن حلفاء الحاج أحمد باي زادوا إلى قوته، قوة إضافية، علما أن هؤلاء الحلفاء الطبيعيين الذين جاءوا عن طريق المصاهرة منتشرون في كل أنحاء الإقليم القسنطيني.

ففي اتجاه تونس، يوجد الشيخ البكري و قبائل الحناشة، و في اتجاه الصحراء أخواله عائلة بن قانة التي تحكم الصحراء، و في اتجاه الشمال ـ أي الجزائر ـ الشيخ بن عبد الله، زعيم أولاد مقران، حيث أن هذه القبائل تمكنت

بدورها من استقطاب تسعة عشر قبيلة رئيسية، وإدخالها تحت سلطة الحاج أحمد باي، عن طريق المداهنة والمحالفة، وبالتالي زاد هؤلاء الحلفاء من كفالة من قوته، حيث وصلت إلى 7800 فارس، وأصبحت فرقته الخاصة وحدها تتكون من 2500 جندي[1].

1- A.M.G , H 226 , OP.CIT .

الـفـصـل الثـالـث

الحياة الثقافية على عهد الحاج أحمد باي .

كانت قسنطينة حاضرة من حواضر الجزائر، تضاهي في العلم و المعرفة غيرها من عواصم الأقاليم الأخرى كالجزائر و وهران، كما أنها كانت منبع ثقافة راقية، بفضل ما أنجبت من علماء و شعراء جعلوا منها محط ترحال العديد من العلماء .

و الحاج أحمد باي نظرا لما كان عليه من صفات حميدة، فقد كان ميالا إلى العلم و الثقافة، مما جعله يولي أهمية بالغة بهذا الجانب لما يعكسه من تطور و ازدهار ليس على بايلك الشرق وحده، إنما على الجزائر كلها .

و قد برزت أعمال هذه الشخصية في تشجيعها للتعليم بكل مراحله، و كتابات الفرنسيين عن هذه الناحية شهادة تاريخية لا بد من إبرازها، فتقرير الجنرال بودو قائد إقليم الشرق بعد احتلال قسنطينة جاء جملة و تفصيلا، إذ أشار إلى أن قسنطينة كانت لا تضاهي فقط الجزائر و وهران في احتلال المدارس العليا، إنما توازي علمي

المدارس التي كانت في كل من تونس و القاهرة[1]، و هذا ما جعلها تتبوء مركزا إشعاعيا في الشرق الجزائري كله، و مقاما علميا لأبنائه الطالبين للمعرفة.

و عند دخول الفرنسيين قسنطينة عام 1837، قاموا بإحصاء عدد المدارس الابتدائية، و التي وصل عددها حسب تقاريرهم تسعون مدرسة[2]، و هذا العدد يدل دلالة قاطعة على أن كل طفل ذكر بين السادسة و العاشرة، باستطاعته مزاولة التعليم في المدرسة[3].

و ليس هذا فحسب، إنما تعكس هذه الصورة مدى الاهتمام البالغ الذي أولاه الحاج أحمد باي باعتباره المسؤول الأول عن المنطقة بالناحية الثقافية، و الاعتناء بالأطفال و الشباب لأنهم مستقبل البلاد و النواة الرئيسية التي تشكل

1- A.N.G,H229,RAPPORT SUR L'INSTRUCTION PUBLIC DES INDIGENES EN ALGERIE PAR LE LT. GLE BEDEAU,N°4,DATE LE 12 FEVRIER 1847 .

2- IBID .

3- أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص. 276 .

الأرضية الصلبة لبناء دولة قوية، و أمة صالحة قوامها العلم و الثقافة .

و كانت هذه المدارس تستقبل عددا هائلا من الأطفال يقدر بحوالي ألف و ثلاثمائة و خمسون تلميذا (1350) [1]، هذا العدد يعكس جزما قوة الحاكم في فرض التعليم على أبناء المنطقة عامة، و دعمه بكل الوسائل الضرورية نظرا لما هذه الناحية من ارتباط وثيق برقي و ازدهار المنطقة. لكن المحنة حلّت بهم، فما أن وطأت أقدام الفرنسيين أرض قسنطينة، حتى تقلص عددهم الى ستين (60) تلميذ فقط [2]. و هذا ما يدل على أن فرنسا عمدت إلى تقليص عدد المدارس الابتدائية التي تعرضت في معظمها الى التدمير، عن طريق القصف المدفعي والبقية حوّلوها الى منشآت أخرى. و كان الهدف من ذلك ليس زيادة الأمية في المجتمع الجزائري فقط و إنما محاولة قطع الصلة بين الفرد الجزائري و لغته .

1- A.L.G , H 229 , RAPPORT BEDEAU , OP.CIT .

2- I B I D .

و مع اتساع رقعة التعليم، فقد كان الدين الإسلامي هو أساسه التي ترتكز على حفظ القرآن الكريم، كقاعدة أولية لأنه عمدة التعليم الابتدائي[1]، و يعوّد التلميذ على فصاحة اللسان، و بالتالي يمكن القول أن وظيفة المدرسة الابتدائية كانت على درجة كبيرة من الأهمية لأنها لا تعتمد فقط على تثقيف الفرد منذ صغره، و إنما تهيئه لأن يكون رجل المستقبل، تربى على قواعد سليمة، وفقا لما تمليه قواعد الدين الحنيف. و من ناحية أخرى أن ينمي قدرة الاستيعاب في الانتقال إلى مرحلة ثانية من التعليم .

أما التعليم الثانوي، فوضعه يختلف عن التعليم الابتدائي، ذلك أنه كان ينحصر في عدد قليل من الطلبة، مما يجعل أمر الوصول إليه قضية صعبة و ليست في متناول الجميع. و عليه فإن الأساتذة الذين يشرفون عليه، يعيّنهم حاكم الإقليم، غير أن هذا التعيين يكون باقتراح من الناظر، بعد أن

1- أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص ص 342-321.

دراسة الفلسفة .

ثانيا - الصوع و معناه القانون و هو مقسم إلى قسمين /

1) الواجبات التي على المسلم القيام بها ،إلى جانب قواعد الصلاة و كل القضايا الدينية.

2) دستور أو قوانين الحكومة المتعلقة بالأشخاص ، إلى جانب الاجراءات القانونية بصفة عامة ،كالعقوبات و المرافعات .

ثالثا - التفسير ، و المقصود هنا التفاسير العديدة الخاصة بالقرآن الكريم و كيفية تلقينها للطلبة ، لأن هذا العلم هدفه ليس شرح الآيات القرآنية فحسب ، و إنما معرفة خلفياتها .

رابعا - الحديث ، و يتضمن سيرة النبي صلى الله عليه و سلم ، و ما روي عنه على لسان الصحابة و الخلفاء و التابعين .

خامسا - علم الحساب و علم الفلك .

يضاف إلى هذه العلوم الرئيسية الخمسة ، بعض العلوم الأخرى مثل علم التاريخ و الجغرافية و الطب و الفيزياء ، و هذه كلها تعتبر علوما مكملة . كما أن فترة الدراسة بالنسبة للتعليم العالي تدوم قرابة سبع سنوات (1).

---

1 - A.M.G , H 226 , RAPPORT BEDEAU , DOSSIER IV , OP.CIT .

و قد وصل عدد الطلبة الذين يزاولون الدروس في مختلف التخصصات في العلوم في قسنطينة، إن حكم الحاج أحمد باي سبعمائة طالب خصصت لهم منحة يتقاضونها سنويا قدرت بحوالي 18 ريو أي ما يعادلها بالفرنك الفرنسي بقيمة 36 فرنك.

و كانت هذه التشجيعات المادية تخص الطلبة الذين يتفوقون في دراستهم، حيث يضمن لهم السكن مجانا، و يتكفل بتغطية نفقاتهم في الأكل و الشرب كذلك، كما أن ثلثي هؤلاء الطلبة جاؤوا من مناطق منها البعيدة عن قسنطينة و منها القريبة منها[1]، و بالتالي فإن التعليم لم يقتصر على أبناء العاصمة قسنطينة فقط، إنما شمل جلّ أبناء القبائل التي كانت لها رغبة ملحّة في تعليم أبنائها، و عليه فإن طابع التعليم في عهد الحاج أحمد باي كان ديموقراطيا بأتم معنى الكلمة.

و للإشارة في هذا الميدان، أن الفرنسيين أحصوا إبّان تواجدهم بقسنطينة المدارس المتواجدة عبر الإقليم الشرقي، و التي وصل عددها حسب

---

1 – A.M.G , H 226 , RAPPORT BEDEAU , DOSSIER IV , OP.CIT .

تقاريرهم إلى ثلاثمائة (300) مدرسة، بإمكانها استيعاب أكبر عدد ممكن، و يمكن أن يصل هذا العدد، إلى ثلاثة آلاف تلميذ [1] و هذا ما يعكس حقيقة التعليم في عهد الحاج أحمد باي و ما وصل إليه من تطور.

لقد كان العلماء الذين عاصروا الحاج أحمد باي دور كبير في دفع عجلة الثقافة، و جعل قسنطينة حاضرة علم و معرفة، و مقصدا للعديد من طالبي العلم سواء داخل الإقليم القسنطيني أو خارجه، و بذلك أصبحت هذه المدينة تضاهي غيرها من الحواضر العلمية الأخرى.

و من أبرز علماء قسنطينة في فترة الحاج أحمد باي/.

محمد بن عبد الكريم الفكون الذي ينتمي إلى عائلة عريقة إشتهرت بالعلم.

الشيخ محمد بن فتح الله المفتي الحنفي.

الشيخ أحمد بن المبارك بن العطار مؤرخ قسنطينة.

و يضاف إلى هؤلاء العلماء أبو راشد عمار الغربي الراشدي الإمام الخطيب بجامع المنطقة [2]،

1 – A.M.G , H 226 , RAPPORT BEDEAU , DOSSIER IV , OP.CIT .

2 – محمد المهدي بن علي شغيب، المرجع السابق الذكر، ص: 265–272.

وكذلك الشيخ محمد الميلي الذي إشتهر بالتحقيق، وكذلك محمد المعربي ابن عيسى من أفاضل البلد وعلمائها الأجلّاء، والشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد العباسي، وأيضا أبو القاسم بن محمد بن عيسى، الذي برز في الحفظ والإطلاع، وكان كاتبا لدى الحاج أحمد باي، وأحمد بن مقداش كان هو كذلك عالما في القرآن، أما أبو منصور عمار بن شريط القسنطيني، فقد كان حافظا وفقيها وأديبا، وكذلك محمد سالم بن الطبال كان هو الآخر عالما جليلا على المذهب الحنفي، وله باع طولى في أصول الدين والمنطق. أما محمد السعيد المغربي القسنطيني، فقد كان حافظا فصيحا، والعلّامة الشيخ محمد العربي القسنطيني هو من العلماء الأجلّاء وكذلك مصطفى بن شاوش القسنطيني كان أديبا وعالما جليلا على المذهب الحنفي (1).

كما يضاف إلى هذه القائمة المبجلة لعلماء قسنطينة، الشيخ محمد الشاذلي القسنطيني، الذي كان ينتمي إلى بيت علم،

1 ـ محمد المهدي بن علي شغيب، المرجع السابق الذكر، ص 373ـ378.

كان قد تلقى العلم في قسنطينة على يد مشاهير علمائها، فقرأ الفقه و الحديث واللغة و الأدب و الخطابة و علم الحساب [1]

و تبقى قائمة علماء قسنطينة مفتوحة، أمثال محمد بن العنتري، الذي كان كاتبا لدى الحاج أحمد باي، و محمد بن القاضي الشاعر و الأديب، وكان قد عاصر الشيخ العنتري، و كذلك محمد بن المسبّح القسنطيني الذي كان هو كذلك عالما و أديبا و قد توفي عام 1252هـ، ومصطفى بن الشاوش القسنطيني الذي توفي أيضا عام 1252هـ. وكل هؤلاء العلماء مزجوا ما بين علم الفقه وعلوم اللغة و الأدب، فكانوا عبارة عن دوائر معارف لشتى العلوم و بكل فروعها [2].

و إلى جانب مشاهير علماء قسنطينة، هناك من برز في فن الكتابة و الخط، و من

---

1 ــ أبو القاسم سعد الله، محمد الشاذلي القسنطيني، دراسة من خلال رسائله و شعره، ش.و.ن.ت، الجزائر 1974، ص 8 .

2 ــ صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق رابح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر 1974، ص 6ـ8ـ9 .

هؤلاء أبو عبد الله ابن العطار، وكذلك الشيخ إبراهيم الحركاتي و محمد الزجاي و أحمد التليلي، إذ أن هذه الشخصيات إشتهرت إلى درجة كبيرة بجودة الخط و التفنن في الكتابة و النساخة، مما أكسبهم شهرة عالية في أرجاء قسنطينة، و أصبحوا مقصد الجميع ذوي الحاجة في نسخ الوثائق و العقود (1).

إن إحتكاك مشاهير علماء قسنطينة بغيرهم من العلماء، خاصة علماء تونس و مصر والحجاز، أكسبهم معارف علمية واسعة في شتى العلوم، زودوا بها طلبتهم في قسنطينة و كونوا بها مدارس عديدة في مختلف العلوم و المذاهب الدينية، و تركوا آثارا منها مازالت شاهدة إلى اليوم، .. قدموه من خدمة للثقافة في تلك الفترة، وتقرير البارون ديسلان حول محتوى الكتب التي عثر عليها إثر إحتلال قسنطينة، لدليل قاطع عن المستوى العالي، و الثقافة الرفيعة التي أظهرها علماء قسنطينة، حيث أن جل هذه الكتب حملت إلى مدينة الجزائر عن طريق بيرو بروجر، و منها إلى باريس (2)

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص. 291 .
2- نفسه، ص. 305 .

العنصر الرابع

نشاط الحاج أحمد باي العمراني .

لقد تأثر الحاج أحمد باي بالعمارة العربية الإسلامية إلى درجة كبيرة عند زيارته الحجاز و مصر. و كان شغوفا ببناء قصر يكون على النمط المعماري العربي الأصيل، و ما من شك أنه حاول توسيع قسنطينة، لولا الظروف القاهرة التي عجلت به و قصّرت إلى درجة كبيرة فترة حكمه، فلم يتمكن من تحقيق ما كان يصبو إليه .

ففي عام 1818، عندما عيّن خليفة للباي على قسنطينة و استقر بها ، تقدم بطلب الحصول على ملكية إحدى المناطق القديمة، و المسماة "دار البشماق"، هذه الدار التي لم يتحصل عليها مجانا رغم المنصب الهام الذي يحتله، بل فضّل أن يكون لها مقابل مادي معتبر، إذ إستبدلها بدار يملكها في حي من أحياء المدينة، حتى لا يقال عنه أنه أخذها عنوة، و هي شيمة لم يكن على عهد بها. و إثر ذلك، قام بتسطيح المكان و انتشال بقايا الهدم، و أحاط المكان بأسوار (1).

---

1 — FERRAUD (L.CH) , LE PALAIS ... , OP.CIT , P. 8 .

و مع أن لوازم البناء كانت مستوردة في معظمها من ليفورن و تونس، فقد كلفت الكثير من الأعباء و النفقات المادية، و بالتالي لم تف بحاجيات البناء، لذا بادر سكان قسنطينة إلى المساهمة في البناء بما يملكون، من أجل إتمام القصر[1] و هذا ما عكس روح الأخوة المتبادلة بين الراعي و الرعية، في رفع شأن البلاد و العمل على ازدهارها .

لم يكن الحاج أحمد باي بعيدا عن أشغال البناء، بل كان يتابعها من بعيد أو عن قرب، و كان يغدق الأموال على العمال بكل أصنافهم . فرؤساء البنائين و النجارين كانوا يتقاضون مبلغ 05 بياستر يوميا ، و كذلك بالنسبة للعمال الذين كانوا يتقاضون أجرهم أسبوعيا[2] .

و ما لوحظ عليه و هو في ميدان العمل، أنه كان يطلب القهوة و هو يتفقد الأعمال .

---

1 – FERAUD , ch, LE PALAIS ... , P. 14 .

2 – معلومات أوفدها السيد محمد زموري الذي كان يشغل منصب خزناجي في عهد الحاج أحمد باي إلى الفرنسيين ،أنظر في ذلك FERAUD , OP.CIT , P. 16-17 ;

يوجد حي الطابية، المقسم إلى الطابية الكبيرة و الطابية البرانية، و المسماة كذلك بطابية البرّاني، و بها كذلك عدة مساجد منها مسجد سيدي علي بن مخلوف، و كذلك شارع "الموفق" المؤدي إلى سوق العصر مرورا بدار الباي و سوق الغزل الذي يوجد باسمه مسجد و حي كبير هو حي البلاط أو البلعاطة و به أيضا مسجد يسمى جامع "الجوزة". أما منطقة "حمام السلطان" و ممر "المرّ" يوجد بها بعض المساجد مثل مسجد "سيدي فرغان" و "سيدي بوعنابة"، و تحت سوق العصر يوجد مسجد "صالح باي"، به مدرسة للتعليم، و بالقرب منها يوجد سوق الجمعة، و هناك طريق من باب الوادي إلى رحبة الصوف، تضم أهم الحرف و دكاكين التجارة و هي منظمة و مصنفة حسب الشرعية (1).

و هذه الحرف و المهن و البضائع تشكل في مجملها سوقا تشبه إلى حدّ كبير أسواق المشرق العربي، و في طراز عربي أصيل، من ذلك العطارين و السرّاجين و الصباغين. ورغم أن هذا الطريق يتفرع إلى طرق صغيرة أخرى، إلا أنه يشكل في

MERCIER, (E), OP. CIT, P. 9-10.

مجمله سوقا تجارية كبيرة تشمل صناع أحذية النساء و الخرازين و الصاغة و صناع البرادع ، و الخضارين و الجزارين ، و نزولا من القنطرة مباشرة يوجد مسجد سيدي الجليس (1).

يضاف إلى ذلك عدة مساجد منها مسجد سيدي لخضر، و العديد من الحمامات و كذلك دار الباي، و هي عبارة عن قصر و ثكنة، و في هذه المنطقة توجد زاوية عائلة ابن الفكون شيخ الإسلام، و جامع الكبير الموجود بمنطقة البطحة، و من باب الجابية توجد السويقة و الزلايقة و الشط، و كذلك الأربعين شريف، ثم سيدي بوحمزة، و منه مباشرة يمكن الوصول إلى باب القنطرة (2).

و في أقصى المدينة توجد قمة سيدي راشد، و مسجد سيدي بورغدة و بئر الناجل، و في هذه المنطقة يوجد عدة مساجد منها سيدي عبد المؤمن و سيدي راشد و سيدي علي الطانجي، و قد كانت هذه المساجد و الجوامع في معظمها مجهزة بما يحتاج إليه المصلي، فإلى جانب الأفرشة كانت هناك محارب و منابر و صومعات و قناديل

---

1 — MERCIER(E) , OP. CIT , P. ؟؟ .

2 — I.B.I.D

للإضائة ، إلى جانب توفر الحنفيات للوضوء [1].

كما أن الزوايا كانت هي الأخرى على قدر كبير من الأهمية ، فقد انتشرت في قسنطينة وضواحيها، و بلغت حسب بعض الاحصائيات إلى ستة عشر زاوية ، منها زاوية سيدي الكتاني ، و سيدي المناطقي ، و سيدي عبد المؤمن ، و سيدي مسيد و سيدي ميمون و سيدي عفان ، يضاف إلى هذه الزوايا الخاصة بالعائلات الكبيرة في قسنطينة مثل زاوية أولاد الفكون و زاوية ابن نعمون و زاوية أولاد جلول [2].

لقد بقيت المعالم العمرانية شاهدة على ما كانت عليه قسنطينة من نهضة فكرية و عمرانية ، رغم أن فرنسا بمجرد احتلالها المنطقة غيرت معالمها الحضارية ، فباب الجديد و باب الواد مثلا ، تم ردمها ، و أنشأوا بابا جديدا سموه باب " فالي"، كذلك باب الجابية و باب القنطرة رمّما ، و أصبحت لها أسماء فرنسية ، و أحدث طرق جديدة في مكان الطرق القديمة ، و سميت هي الأخرى بأسماء غربية منها " سيتوس" و " ساسي " و " لوبلان " و " ديمواياين " و " روشي " و " ليون " و " داميرمون " و " سالوست " و " فرانس " . كما أن دار الحاج أحمد باي دمّرت عن آخرها إلى جانب المساجد و المنازل المحيطة بها ، و تم إنشاء ساحة المسرح و سوقا للخضر مكانها [3]

---

1 ـ أبو القاسم ، سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ص 253 .

2 ـ نفس المصدر ، 264 .

3 ـ MERCIER(E) , CONSTANTINE AVANT LA CONQUETE , P. 14-15 .

الفصل الثالث

موقف الحاج أحمد باي من الاحتلال الفرنسي

1 ـ علاقة الحاج أحمد باي بالاحتلال .
2 ـ معركة قسنطينة الأولى .
3 ـ معركة قسنطينة الثانية .

العنصر الأول

علاقة الحاج أحمد باي بالاحتلال

إتسمت علاقة الحاج أحمد باي بالفرنسيين بشدة الكراهية و الحذر الشديد لأنهم في نظره محتلون و كفار، أما بالنسبة للفرنسيين فإنهم أدركوا تماما مدى قوة خصمهم خاصة بعد أن لاحظوا الدور الإيجابي الذي لعبه في التصدي لهم بحذاقة سيدي فرج عام 1830، و لم يكن معه سوى خمسمائة فارس فقد أظهر إلى جانب معركة اسطوالي التي بلى فيها بلاء حسنا، شهد له القادة الفرنسيون بذلك .

من هنا بدأ الفرنسيون يفكرون في بناء علاقات معه، فكانت مبادرتهم الأولى هي إتصالهم به عندما عاد أدراجه بعد سقوط العاصمة الجزائر في إتجاه قسنطينة مرورا بحذاقة أولاد زيتون. و كان القصد من ذلك هو إستقطاب الحاج أحمد باي الذي بعثته رسالة عاجلة من قائد الحملة الفرنسية الجنرال ديبرمون يطلب منه الإستسلام، و الإعتراف بسيادة فرنسا على الجزائر مقابل حفاظه على منصب باي لإقليم الجزائر و أن يلتزم بدفع اللزمة التي كان يدفعها في السابق إلى حسين باشا داي الجزائر المخلوع (1).

و على الرغم من أن الحاج أحمد باي كان بعيدا عن عاصمة إقليمه حيث تؤخذ القرارات من طرف مجلس الشورى، فإنه دعي بعض الشخصيات المرافقة له، و شاورهم في الأمر، فكان الرد على رسالة قائد الحملة الفرنسية سريعا، و هو أن سلطاته شرعية تسلمها من داي الجزائر بتزكية من سكان الإقليم، كما لا يمكن له أن يتخذ أي قرار دون إستشارة مجلسه الذي يمثل الشعب (2).

---

1 ـ المذكرات، ص. 16 .

2 ـ نفسه، ص. 17 .

لقد وصل الحاج أحمد باي عاصمة إقليمه بعد مشقة، متبعا الساحل الشرقي، حيث تمكن من مساعدة العديد من العائلات على الهروب من وجه الاحتلال الفرنسي، مبرهنا مرة أخرى على أنه رجل في مستوى تحمل المسؤولية بعد أن واجه العديد من الصعاب في طريقه كنقص المؤونة من مأكل و مشرب (1) .

و بعد أن إستتب الأمر للحاج أحمد باي إثر قضائه على المؤامرات التي كانت تحاك ضده[2]، إستقر حكمه داخل العاصمة قسنطينة، هذا الاستقرار الذي مكنه من استرجاع هيبته بين السكان، دفع السلطات الفرنسية أن تحرص على بناء علاقات معه، لأنها شعرت بقوته الحقيقية كرئيس دولة، إثر ذلك بدأت هذه السلطات بمراسلته مرة ثانية، حيث وصلته رسالة من الجنرال كلوزيل يعرض عليه فيها الإستسلام مقابل إعترافها به كحاكم على الاقليم الشرقي، مع إلتزامه بما كان يدفعه من لزمة للداي حسين، و على هذا الأساس سيحمله قفطان الشرف بإسم ملك الفرنسيين (3) .

لقد تمثل عمل حمدان بن عثمان خوجة (+) على تقريب

---

1 ـ حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، ص 220 ـ 221 .
2 ـ لقد كان وراء هذه المؤامرات و الدسائس مجموعة من الأتراك الذين وعدهم الحاج أحمد باي أن يدفع لهم نصف أجورهم، غير أنهم دبروا له مكيدة قصد القضاء عليه، أنظر المرآة ص. 221 .
3 ـ المذكرات ، ص. 20 .
(+) ـ حمدان خوجة هو حمدان بن عثمان خوجة، ينتمي إلى أسرة جزائرية عريقة، ولد عام 1773م، و قد عاش بالجزائر إلى أن بلغ الستين عاما من عمره. حفظ القرآن و درس التاريخ و المنطق و الفلسفة، إلى جانب تكلمه العديد من اللغات مثل التركية و الفرنسية و الانجليزية، و من أهم مؤلفاته المرآة و إتحاف المنصفين و الأدباء في الاحتراس من الوباء، أنظر بالتفصيل كتاب المرآة، ص. 11 إلى 17 .

وجهات النظر فيما يتعلّق بالسلم بين الطرفان، هذا الأخير قد أوفده الحاكم العام الدوق دوروفيغو عام 1832 إلى الحاج أحمد باي، سلّمه رسالة تتضمن طلب استسلامه للسلطات الفرنسية مع دفع مبلغ ثلاثة ملايين فرنك للخسائر الحربية التي تسبب فيها الحاج أحمد باي ضد الفرنسيين و القبائل الموالية لهم، مع بقاء دفع اللزمة (1) .

و في كل مرة يرجع هذا الزعيم إلى مجلسه للتشاور في جلّ الأمور، و هذا ما دفعه إلى رفض التفاوض شخصيا مع مبعوث الدوق دوروفيغو دون أخذ رأي المجلس (2).

و هذا الوضع دفعه لاستدعاء مجلسه للتشاور، و قرأ على أعضائه الرسالة، فكان الردّ جماعيا، و هو الرفض لرسالة الاستسلام . غير أنه لمس من خلال المحاولات هذه، مبادرة السلام، لكنه خضع للرأي الجماعي و هو الرفض القاطع، مما دفع الجنرال كلوزيل إلى إصدار أمر يقضي بعزل الحاج أحمد باي من منصبه كحاكم لاقليم الشرق (3) . ولكن هذا الأمر لم يجد طريقة للتطبيق، فإلى من يركل أمر تنفيذه في إقليم زمام الأمور فيه بيد الحاج أحمد باي ؟

لقد أثبتت هذه المراسلات مدى ما وصلت إليه روح الديمقراطية في عهد الحاج أحمد باي الذي خوّل للمجلس كل الصلاحيات، و ترك للجميع حرية الرأي . إذ يذكر الدوق دو روفيغو في إحدى مراسلاته أن الحاج

---

1 ـ المذكرات، ص . 33 .

2 ـ [illegible]

3 ـ المذكرات، ص . 21 .

أحمد باي كان على رأس أكابر الاقليم الشرقي الذين كانوا يشكلون المجلس، و بالتالي فإنه مقيّد بما يصدر عن المجلس من قرارات (1)، و هذا ما يدلّ على أنه من الحكام الذين لا ينفردون بالقرارات، فكانت جلّ هذه الأخيرة جماعية جماعية و بعد التشاور (2).

و ما أثر بدرجة كبيرة على مجريات هذه العلاقات هو إحتلال عنابة من طرف الفرنسيين عام 1832، و هو الحافز القوي الذي عكّر الأجواء بين الطرفان، حيث بدأت هذه العلاقات في الفتور و الذوبان.

و الحقيقة أن حاكم الجزائر حسين باشا كان قد نبّه الحاج أحمد باي بما ينجرّ من كوارث في حالة تعرض عنابة عرضة للإحتلال. و قد قصدها الحاج أحمد باي مع حاشيته من أولاد سلطان، فأقام بها أياما، حيث نظر في مطالب سكانها، و كان ذلك بعد عودته من الجزائر عام 1830 (3). و السبب في دخول الفرنسيين عنابة يعود بالدرجة الأولى إلى الباي إبراهيم، أحمد خصم الحاج أحمد باي، الذي فرّ إلى عنابة عن طريق تونس، و قد تسرواطأ في بداية الأمر ضد سلطة أحمد باي هناك، لينقلب مرة أخرى ضدهم، حيث تمكن من إخراجهم من عنابة، و هذا

---

1 — ESQUER(g), CORRESPONDANCE DU DUC DE ROVIGO, T2, LETTRE AU MI. NISTRE DE LA GUERRE DATEE LE 22 OCTOBRE 1832, P. 192 .

2 — IBID, LETTRE AU Gle MONCH D'UZER, LE 29 JANVIER 1833.P. 446 .

3 — محمد الهادي، شغيب، أم الحواضر في الماضي و الحاضر، ص. 411

الوضع دفع الحاج أحمد باي أن يواجهه، و قد ناب عنه مساعده ابن عيسى الذي تمكن من طرد الباي إبراهيم (1).

غير أن الفرنسيين عززوا قوتهم بباخرتين حربيتين و أعادوا الكرة ثانية على عنابة، حيث نزلوا بسواحلها، و هكذا أصبحت المواجهة في عنابة بين قوة الحاج أحمد باي بقيادة ابن عيسى، و الفرنسيين من جهة أخرى بقيادة دارماندي و يوسف المملوك (2).

و بينما القائد ابن عيسى يقترب من قلعة المدينة، بادرت القوات الفرنسية إلى مواجهته. و نظرا لعدم تكافؤ الطرفان، إستلزم الأمر على ابن عيسى أن يفكر في الخروج من عنابة مع سكانها الرافضين للإحتلال الفرنسي الذي دخلها مرة ثانية عام 1832 (3).

و بعد ما علم الحاج أحمد باي، عن طريق جواسيسه، أن فرنسا تستعد للقيام بحملة كبيرة على قسنطينة عاصمة الإقليم، و أن الإستعدادات في عنابة قائمة على قدم و ساق، رأى أنه لا مجال من مواصلة هذه العلاقات في إطار مفاوضات لا تسمن و لا تغني من جوع، و أيقن منذ البداية أنها مجرد تضييع للوقت، حتى يتسنى لفرنسا جمع قواتها و ما يمكن من معلومات حول الإقليم، فبدأ بدوره يستعد لرد اي هجوم محتمل (4)

---

1 - أبو القاسم، سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الإحتلال)، ش.و.ن.ت، الجزائر، ط3، 1982، ص. 138.

2 - المذكرات، ص. 27 - 28.

3 - أبو القاسم، سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر...، ص. 138.

4 - المذكرات، ص. 46.

كما خلق هذا الوضع شبه قطيعة تكاد تكون مطلقة، و أصبح الحاج أحمد باي يفكر فقط في خلق العراقيل التي من شأنها تحد من توسعات الفرنسيين، خاصة إحتلال عاصمة الشرق الجزائري، فكانت عيونه على كل التحركات الفرنسية في المنطقة (1).

و في الوقت الذي بدأت فيه الاستعدادات الفرنسية للقيام بحملة واسعة ضد الحاج أحمد باي، و التأهب لحرب منتظرة، بدأت الحرب النفسية من طرف العدو الفرنسي و ذلك عن طريق توزيع إعلان من طرف الحاكم العام المارشال كلوزيل على سكان قسنطينة و ضواحيها، يحذرهم من هجوم على قسنطينة و رفع العلم الفرنسي على أسوارها طبقا لأوامر ملك فرنسا، و يطلب منهم المكوث في بيوتهم و أنه سوف يحترم عقيدتهم و ممتلكاتهم، و سوف ينشر السلام إذا كان دخوله دون مقاومة منهم، و أنه سوف يوفر الأمن للحاج أحمد باي إذا تخلى عن الحكم بدون شروط (2).

إلا أن هذه التوترات لم تدم برجوع المفاوضات بين الطرفين، و في هذا الصدد تشير التقارير المرسلة إلى وزير الحربية من طرف الحاكم العام الجنرال داميمون إلى المراسلات التي حاول الفرنسيون من خلالها إخضاع الحاج أحمد باي لشروطهم، حيث بادر الجنرال داميمون عام 1837

---

1 ـ المذكرات، ص. 30 .

2 ـ ARCHIVES DU MINISTERE DES AFFAIRES ETRANGERES, QUAI D'ORSAY MEMOIRES ET DOCUMENTS, ALGERIE 1832-1847, T.9. PROCLAMATION AU HABITANTS DE CONSTANTINE, BONE LE 4 NOVEMBRE 1836, le Mcle Gv. Gle CLAUZEL .

بإرسال إحدى الشخصيات البارزة(+) إلى قسنطينة لفتح باب المفاوضات و التباحث مع الحاج أحمد باي حول إبرام سلم مقيد بشروط تخدم المصلحة الفرنسية، و هذا ما زاد في تكاثف الجهود الفرنسية لكسب الحاج أحمد باي في إطار شروط معاهدة سلام جاء فيها ما يلي :-

أولا - الإعتراف بالسلطة الفرنسية .

ثانيا - رفع العلم الفرنسي مرّتان في السنة، مع رفعه يوم احتفال ملك فرنسا .

ثالثا - إستقبال الحاج أحمد كباشا، على أن يدفع ضريبة سنوية

رابعا - احتفاظ الحاج أحمد بإدارة إقليمه على أن تحتفظ فرنسا بالمناطق التي احتلّتها مثل ميناء سطورة و بجاية .

خامسا - حرية التجارة بين الفرنسيين و الجزائريين، حيث لا يمكن لهم المتاجرة إلا عن طريق الموانئ المحتلة من طرف الفرنسيين .

سادسا - لا يمكن للحاج أحمد باي شراء الأسلحة و الذخيرة إلا عن طريق فرنسا و مصانعها .

سابعا - إعطاء حق التملّك للفرنسيين و الأوربيين داخل المناطق المناطق الخاضعة للحاج أحمد باي .

ثامنا - لا يحق للحاج أحمد باي أن يسخّل لأية قوة أجنبية أي عمل ممكن و لا مؤقتا خاصة بالنسبة للشواطئ الخاضعة لسلطته .

---

1 - هذه الشخصية هي اليهودي بوشناق، أحد العسكريين القدامى في الجيش الفرنسي، و كانت علاقته بالحاج أحمد باي ضيقة بسبب كره هذا الأخير الشديد لليهود .

تاسعا - ترفع المتبعة المفروضة من طرف أحمد باي على الذين أعلنوا ولائهم لفرنسا مع صيانة ممتلكاتهم •

عاشرا - يحق لفرنسا وضع أعوان لها في قسنطينة و المدن الخاضعة لسلطة الباي، كما يحق له هو كذلك وضع أعوان في المدن الخاضعة لفرنسا، و يجب على الطرفان تبادل المجرمين •

هذه الشروط التي حاولت السلطات الفرنسية تقييد الحاج أحمد باي بها (1)، كما سبق أن حاولت تطبيق مثيلاتها على الأمير عبد القادر لكن مجهودات بوشنان لم تصل إلى أية نتيجة أمام صرامة مجلس الحاج أحمد باي ليأتي دور فولتز الذي كلّف بدوره مواصلة المفاوضات• لكن المطالب التي قدمها للحاج أحمد باي لم تتغير عن سابقتها في شيء، لذا رجع الكابتن فولتز حاملا معه ردّ الباي المتضمن الرفض القاطع لمطالب الفرنسيين• و قد قال فولتز في هذا الصدد بأن الباي مرتبط بالشروط التي جاءت في معاهدة التافنة و التي تعطي صلاحيات للأمير أكثر من الصلاحيات التي تتضمنها المعاهدة معه، و أن الحاج أحمد باي حاكم متجبر و فظيع و لا يمكن إقناعه، لأنه يحكم البلد على الطريقة التركية (2)•

---

1 - A.O.M, SERIE E LIASSE 119[2] , 18 MI 37 ,LETTRE DU GENERAL DAMREMONT AU MINISTRE DES A.E DATEE LE 14 JUILLET 1837 .

2 - A.O.M.,LIASSE 119[5], 18 MI 37,SERIE E SOUS SERIE 1 E ,TUNIS LE 16 JUILLET 1837 .

كما أكدت المراسلات بين وزير الخارجية و الجنرال دامريمون، عودة المباحثات بين أحمد باي و الفرنسيين رغم بطئها، و لكنها بنفس الشروط الأولى (1)، مما أدت إلى الرفض القاطع من طرف الحاج أحمد باي، و هذا ما أدى إلى تأزم الوضع و قطع العلاقات نهائيا، فكانت النتيجة إستعداد الطرفان للحرب دون تراجع أو تأجيل (2) .

و قد حاول القائد فالي الذي خلف دامريمون عام 1837 الذي سقط قتيلا تحت أسوار مدينة قسنطينة أن يفتح هذا الباب الموصد، لكن محاولاته إصطدمت هي الأخرى بقوة مجلس الحاج أحمد باي رغم ما جاء في رسالة الحاج أحمد باي إلى القائد فالي المتضمنة قبول الصلح و لكن حسب ما تمليه مصلحة الطرفان (3) .

---

1 – A.O.M.,18 MI 57,SERIE E SOUS SERIE 1E,CAMP DE MJEZ-AMAR, LE 28 AOUT 1837, CABINET DU GOUVERNEUR GENERAL.N°28 .

2 – A.M.G. H 226, CHAPITRE 2° .

3 – أنظر نص الرسالة كاملا في كتاب الأستاذ عبد الحميد زوزو، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830 – 1900، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص. 83 .

العنصر الثاني

معركة قسنطينة الأولى عام 1836

لقد كانت هذه المرحلة أهم و أخطر مرحلة توجت بهذا سير الحاج أحمد باي ، فبعد أن أثبت دعائم دولته في الشرق الجزائري ، التي أثارت مخاوف الفرنسيين ، ليس في الجزائر فحسب، إنما داخل الحكومة الفرنسية في حد ذاتها لأنه الخطر الرئيسي الذي يعكر لها الأجواء في سياستها الاحتلالية تجاه الشرق الجزائري .

بدأ يتطلع إلى دحر القوة الاستعمارية الدخيلة أينما وجدت في أي شبر من أرض الجزائر و ذلك انطلاقا من الاقليم الشرقي حيث مقر حكومته .

و على الرغم من عدم توازن القوة العسكرية بين الطرفين ، الا أنه صمم على مواصلة مسيرة المقاومة ، معتمدا بالدرجة الأولى على الأهالي لأنه رأى فيهم العزيمة و الايمان القوي لطرد الاستعمار الأجنبي ، فكانت سنة 1836م المؤشر الأول لبداية حرب ضروس بين دولتين .

لقد كان مقر حكومة الحاج أحمد باي - و هي مدينة قسنطينة - المعقل الرئيسي للهجومات التي كان يقوم بها الجزائريون ضد التمركز الفرنسي ، و نظرا لأهميتها ، فقد انحصرت إهتمامات القادة الفرنسيين حول هذه المدينة ، و رأوا وجوب إحتلالها لإخماد قوة الحاج أحمد باي الثائرة . و فعلا بدأت التحضيرات الفرنسية لاحتلال المدينة - و معنى ذلك إخضاع بايلك الشرق كله . و مع أن المهمة تبدو صعبة حيث تؤدي إلى الاصطدام بين حكومتين لكن نتائجها العسكرية

و السياسي ، فالحاكم العام (1) ، وقتذاك، كان يعتقد عكس ذلك، إذ كان يرى أن إحتلال قسنطينة أمر سهل للغاية و يكفيه لذلك وسائل قليلة و متواضعة، و هذا ما يدلّ على غرور الفرنسيين و إحتقارهم للعنصر العربي إلى جانب إستخفافهم بالقدرات الحربيه لقوة الحاج أحمد باي، و ما زاد في غرور هذا الحاكم الفرنسي في تحقيق الانتصار و إحتلال قسنطينة هو إعتقاده الواهي في كون الأهالي ينظرون إلى الحاج أحمد باي على أنه طاغية متجبر، و هذا ما سوف يسهل مهمته في الإستيلاء على المدينة، و سوف يجد الحاج أحمد باي نفسه وحيدا بدون مناصر، لأن هذا الحاكم كان يتوهم أن الجزائريين في الاقليم الشرقي سوف يتخلو ن عنه (2) . و هذا الغرور الذي أعمى بصيرة هذا الحاكم ادفعه إلى تعيين باي جديد على بايلك الشرق مسبقا ، و ذلك قبل إحتلال العاصمة قسنطينة و المتمثل في شخص اليهودي الغادر يوسف (3) .

---

1 ـ في هاته الفترة كان على رأس الحكومة الفرنسية في الجزائر المارشال كلوزيل ، الذي كان يلحّ على تنفيذ عملية الهجوم على قسنطينة ظانا منه أن الاقليم الشرقي سوف يخضع له، و بالتالي يسترجع إعتباره الذي فقده أمام وزارته، ذلك أن تعيينه كحاكم عام على الجزائر جاء عن طريق المعارضة البرلمانية.
أنظر في ذلك / A.M.G.,H225,DOSSIER 11 15/I,1°EXPEDI.DE CONST.

2 ـ IBID,DOSSIER N° 21 .

3 ـ EMERIT(m),R.A,3° ET 4° TRIMESTRE 1952,P.385 et 399 .

وعلى هذا الشكل من الخطورة و إبتداء من شهر سبتمبر عام 1836 أقدم المارشال كلوزيل على تقوية الوحدات العسكرية الآتية من الجزائر و وهران و بجاية، حيث كانت مدينة عنابة نقطة تمركز لهما، كما أنه أقام العديد من المعسكرات المتقدمة عن مقر عنابة (1).

أما بالنسبة للجانب الجزائري، فقد علم الحاج أحمد باي بهذه التحركات عن طريق جواسيسه في كل من عنابة و الجزائر، و بالتالي زاد من إدراكه لخطورة الموقف، و ما يحاك ضده من طرف العدو الفرنسي في تنظيم حملة عسكرية على مقر حكومته، و إثر ذلك سارع إلى إستدعاء قواته المنتشرة عبر أنحاء البايلك و بادر فورا إلى عقد مجلس حربي مع قادة جيشه، كما أخبر كل شيوخ القبائل و الأعيان بالتواجد الفرنسي الذي أصبح يهدد أمنهم و مصيرهم، خاصة بعد توغل القوات الفرنسية في بعض مناطق الإقليم، كما كشف لهم ما يدبره العدو ضده في الاعلان عن عزله مبدئيا و تعيين يهودي مكانه (2).

لقد أثبت الحاج أحمد باي مقدرته في تحدي DREAN الأقاويل التي نسجها الفرنسيون، و قوته في التحكم في زمام الأمور، فتحرك بفرقته الى نواحي عنابة، و بادر بالهجوم على بعض المعسكرات الفرنسية المتقدمة منها معسكر درعان، و قد دامت هذه المناوشات مدة يومين متتاليتين، و ذلك ما بين 24 و 25 من شهر أكتوبر عام 1836 (3).

---

1 - GRAND(e),DEFENSE ET OCCUPATION DE LA COLONIE D'ALGER , noTES LAISSEES PAR LE CPT. GRAND,TOULON IMP. D'AUG.AUREL 1837,P. 127 .

2 - iBID, P. 127 - 128 .

A.M.G H 226

لكن هذه الإستفزازات في حقيقتها لم تكن هجومات مركزة بأتم معنى الكلمة، بل هي مجرد جس النبض بالنسبة للحاج أحمد باي، و ذلك لمعرفة القوة الفرنسية، إلى جانب العمل على إحباط العامل النفسي للقوات الفرنسية.

و عندما نأتي إلى مقارنة القوة الفرنسية بالقوة الجزائرية من حيث الإستعداد تتضح لنا الصورة التالية/

القواة الفرنسية –

كان الجيش الفرنسي تحت قيادة المارشال كلوزيل شخصيا، و يساعده في ذلك الدوق دي نمور DUC DU NEMOURS ابن ملك فرنسا، و الجنراليين تريزل و دريني، حيث وصلت القوة الفرنسية إلى أكثر من 8800 عسكري، تم توزيعهم على أربع وحدات(04)، مجهزة بأحدث الأسلحة و بالمدفعية إلى جانب أربعة عشر قطعة حربية (1).

القوات الجزائرية –

كان الجيش الجزائري تحت قيادة الحاج أحمد باي، حيث كان عدده يقارب 8900 جندي موزعين على النحو التالي /–

– ألف و أربع مائة رجل مسلح، و ألف متطوع مهيئين للدفاع عن المدينة.

– خمسة آلاف فارس و 1500 رجل من المشاة متواجدين بين عنابة و قسنطينة، و كانت تحت إشراف الحاج أحمد

1 – أنظر بالتفصيل عن القوات الفرنسية الآتية من الجزائر و وهران و بجاية مراسلات المارشال كلوزيل، التي ذكرت أن هذه القوة تفوق بكثير تلك التي إنطلقت من باريس، أنظر/ , A.M.G,H 250

CORRESPOND. AVEC LE MARECH. CLAUZEL,RELATIVE AUX POSSESSIONS FRANCAISES DANS LE NORD DE L'AFRIQUE .

باي شخصيا .

و هذه القوات التي كانت مهيئة للدفاع عن المدينة كانت تحت إشراف قائد القوات الشيخ إبن عيسى الذي زوّد بثلاثين (30) قطعة من المدفعية منها ثمانية أقيمت فوق القصبة، و البقية وزّعت على أسوار المدينة (1) .

و على هذا الأساس من مقارنة القوتين، يتضح لنا نوع من التوازن النوعي بينهما، بغض النظر عن المساعدة الخارجية التي بإمكانها أن تدعم بين آونة و أخرى القوات الفرنسية في حالة شعورها بالخطر الحقيقي عند المواجهة. و هذا ما لم يكن بالنسبة للجانب الجزائري الذي كان يعتمد على القوة الشعبية غير المنظمة، و المتكونة من المتطوعين في أغلبيتها .

و في سياق هذه المقارنة وصلنا إلى مقارنة أخرى تتمثل في الجانب الفني بالنسبة للمواجهة الحربية بين الطرفين (TACTIQUE DE GUERRE) على الشكل التالي /-

الجانب الجزائري -

كان الحاج أحمد باي القائد الأعلى للقوات، حذرا إلى درجة كبيرة، حيث كان يضع كل الحسابات لعدوه، و لم يصبه الغرور بما يمتلكه من قوة قاعدتها الأهالي، بالدرجة الأولى، لأنه كان يرى أن القضية مصيرية، فإما الإنتصار و كسر كبرياء فرنسا، و هذا لا يأتي إلا بالصرامة و وجوب الحذر، و إما الإنهزام الذي يعرض المسلمين لا محالة إلى الدمار و الهلاك الأبديين. و على هذا الأساس وضع خطة محكمة، تتمثل في إستدراج العدو إلى

A.M.G,H235,DOSSIER N°29 14/I AL,LA 1° ESPED. DE CONSTANTINE 1

قسنطينة دون إبداء أية مقاومة (1) .

الجانب الفرنسي -

لقد طغت الثقة العمياء على نفسية قائد القوات الفرنسية المارشال كلوزيل، و بالتالي لم يبادر إلى وضع خطة عسكرية معينة، و دون أن يولي أدنى إهتمام لخصمه الحاج أحمد باي، يحذوه في ذلك الغرور بتفوقه عددة و عتادا. كما كان يعتقد أن الحملة على قسنطينة ما هي في حد ذاتها إلا نزهة له و لجيشه. و قد راودته أماني كبيرة منها أن أهالي قسنطينة سوف يسلمون له المدينة دون أدنى عناء (2)

و في هذه الحالة، أي طرف يكون له النصر حليفه ؟ فهل غرور فرنسا بمارشالاتها و جنرالاتها وقوتها العسكرية الضخمة هو الذي يحقق لها أمنيتها أم الحذر و التعقل الجزائري ضمن خطة محكمة هو الذي يدحر قوة فرنسا ؟

لقد بادر الحاج أحمد باي في هجوماته إلى الكرّ و الفر، و كذلك بالقرب من قسنطينة، و على الأخص ميمنة و ميسرة و مؤخرة الجيوش الفرنسية بقوة خفيفة وخاطفة و ذلك بهدف إضعافها و خلق البلبلة داخل صفوفها، ثم تطبيق الخناق على الفرنسيين عند وصولهم مشارف قسنطينة. فمن الخلف قواته و من الأمام قوات بن عيسى ((3)).

A.M.G,H 235, DOSSIER N°29,14/I AL. LA PREMIERE EXPEDITION-DE CONSTANTINE .

2 — A.M.G,IBID .

3 — A.M.G,IBID .

و في يوم 8 نوفمبر 1836م، بدأت الوحدات الفرنسية تتحرك من عنابة في إتجاه قسنطينة، و بذلك تكون الإنطلاقة الرسمية للحملة الفرنسية على قسنطينة قد بدأت و كانت على النحو التالي -

- 8 نوفمبر مساء، كان اول تجمع للقوات الفرنسية في معسكر درعان.

- 9 نوفمبر الوصول إلى معسكر النشية، ثم جبل موالفة.

- 10 من نفس الشهر، صعدت القوات الفرنسية مضيق فجوج، و إقامة معسكر على أنقاض الآثار الرومانية بمنطقة قالمة.

- و ما بين 10 - 15 نوفمبر عام 1836، تجمعت القوات الفرنسية في قالمة، هذه المنطقة التي جعلها الفرنسيون نقطة إنطلاق للحملة.

- في 16 نوفمبر إنطلقت القوات الفرنسية من جديد في إتجاه قسنطينة.

- 17 نوفمبر تمكنت القوات الفرنسية من عبور مجز عمار(+)، و في المساء من نفس اليوم وصلت إلى وادي زناتي، حيث أقامت لها معسكرا في سيدي طمطام(++)،

و قد واكب التحرك الفرنسي تغير الأحوال الطبيعية فتلبدت السماء و بدأت الثلوج و الأمطار تتساقط، مما أعاق تحركات قوات الاحتلال الفرنسي، التي لم تتأقلم إلى حد ما مع طبيعة المنطقة (1)، التي يتميز مناخها بالقساوة، في

(+) مجزعمار، منطقة تقع بين قسنطينة و قالمة، و فيها هوجمت القوات الفرنسية عدة مرات من طرف الحاج أحمد باي.

(++) سيدي طمطام، منطقة تقع هي الأخرى بالقرب من قالمة، و على مقربة من وادي زناتي، و قد كانت مركز مراقبة لقوات أحمد باي.

1 - A.M.G, H235.DOSSIER N°29.OP.CIT .

شدة البرودة و كثرة الأمطار و الثلوج شتاءا .

أما بالنسبة للجيش الجزائري فإنه لم يتأثر بهذه العوامل الطبيعية، فهو إبن هذه البيئة، وقد إعتاد قساوتها و طاقتها .

و في 20 نوفمبر عام 1836، شن الحاج أحمد باي أول هجوم قوي ضد الوحدات الفرنسية المتواجدة في المنطقة المسماة عقبة العشاري(+) .

لقد كان هذا الهجوم قويا كبد القوات الفرنسية خسائر جسيمة، أضيفت إلى ما ألحقته بهم الظروف الطبيعية في تلك الفترة. و هذا ما أنهك جزءا من القوة الفرنسية .

وفي هذه الظروف المزرية التي أحاطت الجيوش الفرنسية من كل ناحية، دفع بالعديد من أفراد هذا الجيش إلى الإنتحار، و بدأت هذه الظاهرة تتسع بين صفوف القوات الفرنسية، بسبب ما لحق بهم من جوع و برد قارس و خوف. فكانت عاملا نفسيا زاد في تحطيم معنوياتهم . و بينما كانت مؤخرة الجيش الفرنسي بقيادة كلوزيل تتعرض للهجومات المتوالية من طرف فرسان الحاج أحمد باي، كان هو في المقدمة متجها نحو الصومعة(++) المتمركز بها (1) .

و في صباح يوم 21 نوفمبر 1836، كانت الفرصة سانحة للقوات الفرنسية من مشاهدة مدينة قسنطينة لأول مرة، و من بعيد بما تتميز به من موقع إستراتيجي هام، و قد كانت الجيوش الفرنسية تتخيل إنتظار إستقبال الأهالي لها بالترحيب و الابتهال، إنطلاقا من تصور قائدهم كلوزيل، هذا التصور الذي كان وليد الخيال، فتحطم أمام صخرة الواقع

(+) عقبة العشاري منطقة تسمى حاليا بونوارة على مقربة من قسنطينة .

(++) منطقة الصومعة المشار إليها هي أعالي منطقة الخروب حاليا .

(1) A.M.G,H 235 , DOSSIER N° 29 , OP.CIT .

و كان على القائد كلوزيل أن يمنح لجيوشه مدة من الوقت للإستراحة من الارهاق و التعب، و ما عانوه من هجمات الحاج أحمد باي، فأقاموا معسكرا أطلقوا عليه إسم المعسكر الطيني. وبعد قضاء ليلة كاملة، غادرت الحملة منطقة الصومعة لتجتاز بعض الأماكن التي تفصلها عن مدينة قسنطينة، حيث خصص يوم 21 فقط لاجتياز الصبان المائيان، و هما وادي و وادي بومرزوق، و على وتيرة واحدة، إستمر زحف المارشال كلوزيل، ليصل إلى سفح المنصورة بمقدمة جيشه. أما المؤخرة فقد بقيت محاصرة من طرف فرسان الحاج أحمد باي،لأن الجيش الفرنسي نظرا لتعداد قوته، إستطاع أن ينتشر على مسافة كبيرة قدرت بحوالي خمسة عشر كلم (1)، و هذا ما يبرز جليا الزعزعة التي أصابت الجيش الفرنسي ما بين مؤخرته التي أصبحت سهلة المنال بالنسبة لخيالة الحاج أحمد باي، و مقدمته التي أبرزت أن القائد الأعلى الفرنسي كان تواقا للوصول إلى قسنطينة و هو همه الوحيد لا غير و إستلام مفاتيح المدينة أصبح بالنسبة له قضية دقائق معدودة فقط. فما هو إذا وجه الاستقبال الذي خصصه سكان قسنطينة لغريمهم الفرنسي ؟ و هل كما كان يتصوره المارشال كلوزيل بالهتاف و الضرب على الطبول ؟

لقد كان فعلا الإستقبال حار جدا أكثر مما تصوره كلوزيل، لكن ليس بالصورة التي نظمتها مخيلته. فقد إستقبل بضربات المدافع المتوالية من كل جهة، من باب القنطرة و القصبة، و بذلك كان برهان سكان قسنطينة حازما في حسم الأمور، و برزت شجاعتهم الفولاذية في دفاعهم عن مدينتهم، و بالتالي لم يبق أمام المارشال كلوزيل إلا التفكير في ضرب

---

1 — EMERIT(m), LES MEMOIRES...,OP.CIT, P. 93 .

حصار على قسنطينة، و هكذا بدأت المعركة الحقيقية بعد المناوشات بين الطرفين (1)، و ذلك حسب تنظيم قوات المقاومة الجزائرية و قوات العدو الفرنسي •

جانب المقاومة –

قام الحاج أحمد باي مع مساعديه العسكريين و على رأسهم القائد إبن عيسى بوضع خطة محكمة لتدمير العدو مرة واحدة فقسم الجيش الجزائري إلى قسمين متميزين / –

القسم الأول من الجيش ثابت، تحت قيادة إبن عيسى، وقد وصل عدده، قرابة 2400 مجاهد موزعين على طول أسوار المدينة كدرع واقي من الداخل، و على الأخص التمركز فوق الأبواب و مداخل المدينة •

القسم الثاني من هذا الجيش متحرك، تحت قيادة الحاج أحمد باي شخصيا، و تعداده، قرابة خمسة آلاف 5000 فارس و 1500 رجل من المشاة• و قد كان هذا القسم مرابطا خارج المدينة و يتابع تحركات الجيش الفرنسي خطوة خطوة، و الهدف من تواجده خارج المدينة هو تضييق الخناق على الوحدات الفرنسية و خلق بؤر توتر داخل صفوفها و فتح جبهتان أثناء الهجوم و الدفاع (2) • و ما دام الحاج أحمد باي هو القائد الأعلى للقوات، فما من شك أنه كان يقود العمليات الهجومية من معسكر قيادته في غالب الأحيان(+)؛

الجانب الفرنسي –

لقد أقام القائد الفرنسي المارشال كلوزيل معسكرا لقيادته في المنصورة، و قسم جيشه إلى أربعة فرق، منها

---

1 – EMERIT(m), LES MEMOIRES..., OP.CIT, P. 93 .

2 – ESQUER(g), LES CORRESPONDANCES DU MARECH.CLAUZEL, P. 290

(+) لقد أقام معسكره فوق الاقواس الرومانية، لكي يستطيع مراقبة تحركات العدو الفرنسي ما بين المنصورة و كدية عتي، مرورا بحجز الغنم •

إثنين تحت قيادة الجنرال تريزيل ، و قد أقام هذا الجيش فوق منحدرات المنصورة ، و الهدف من ذلك هو الهجوم على المدينة من جهة باب القنطرة ، و الفرقتين المتبقيتين وكل أمر قيادتهما إلى الجنرال دريني حيث تقومان باجتياز وادي الرمال ، عند التقائه بوادي بومرزوق ، و في المكان المسمى مجز الغنم ، و من ثم يتم صعود منحدرات "بارد و" لاحتلال منطقة كدية عتي الاستراتيجية . و هذا ما يدل دلالة قاطعة على تفهم كل طرف للأوضاع التي آل إليها كل واحد ، مما يستوجب تنظيم قواتهما في ساحة المعركة (1) .

و في 21 نوفمبر عام 1836 ، و بالتحديد ظهيرة هذا اليوم ، غادر القائد إبن عيسى موقعه على رأس ألف (1000) رجل لكي لا يترك المجال مفتوحا أمام الفرنسيين للتمركز و الاستقرار هو على الأخص بعد أن استطاعت القوة الفرنسية صعود منطقة "بارد و" . و لقد كانت التحركات الجزائرية تحذوها العزيمة القوية المدعمة بالقوة الداخلية للجماهير ، حتى الأطفال و النساء شاركوا في هذه الحرب. فالنسوة جئن تشجعن المقاومين بالزغاريد من الخلف ، و نظرا لاندفاع الفرنسيين بقوة إلى الأمام ، تمكنوا من تسجيل خطوات خفيفة على حساب المقاومين الذين انصاغوا لأوامر إبن عيسى بالرجوع ، هذا الرجل الداهية الذي توجه بكل قوة برجاله من جهة باب القنطرة لتنظيم الهجوم (2) ، لكن هذه المرة بالذات ، ضد الوحدات الفرنسية التي باشرت إلى نصب الكمائن على منحدرات المنصورة ، إذ استطاع

---

1 — ESQUER(g), IBID, P. 290 .
2 — ESQUER(g), IBID .

القائد الشجاع إبن عيسى على رأس مجموعة من المتطوعين أن يتطلع على طول الأنفاق المقامة تحت شارع اليهود، حيث جعل من القمم الطبيعية التي كونها الوادي، مطية للوصول إلى مبتغاه. و في هذه الفترة بالذات تمكن المقاومون من ناحية أخرى إقامة مخرج مفاجئ من بساب القنطرة المحاصرة، هذا المخرج أذهل الفرنسيين و على رأسهم الجنرال تريزيل، لأن هذا الأخير كان يتوقع الهجوم على الباب. لكن المقاومون الخارجين بسرعة فائقة من الباب من جهة و من الوادي من جهة أخرى، أحدثوا في صفوف القوات الفرنسية خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، و كان ذلك مع أول يوم حاول الفرنسيون فيه الوصول إلى قسنطينة، و بمجيء الليل كانت الفرصة ملائمة للعدو الفرنسي لكي يأخذ قسطا من الراحة إلى جانب جمع قواتهم المتشتتة ما بين قتيل و جريح، كما تمكنوا في الوقت نفسه من نصب المدفعية للحصار (1) .

و في نفس الوقت إستفاد المقاومون الجزائريون بقيادة الحاج أحمد باي من وقف القتال هذا، ليستريح المجاهدون من ناحية، و ليعيد تنظيم جيشه من جديد لكي يكون في اليوم التالي على أهبة الاستعداد لمواجهة قوات العدو الفرنسي .

و على هذا الأساس خصص الحاج أحمد باي ثمانمائة (800) رجل من جنوده للدفاع عن المدينة، حيث إستطاعت

---

1 - A.M.G, H235, DOSSIER N°21 15/I AL LA PREMIERE EXPEDITION DE CONSTANTINE .

هذه القوة من التسلل الى المدينة مرورا بالممر الخليـر من جهة الرابية ، و إلتحقت بجنود القائد بن عيسى لتدعيمها ، و هكذا أصبح تحت قيادة هذا القائد ثلاثة آلاف مجاهد .

و طوال الليل كان المؤذنون ينادون من أعالي صومعات المساجد ، السكان الى وجوب الحذر و التأهب لرد أي هجوم محتمل تقوم به القوات الفرنسية ، هذه الأصوات التي دبت الرعب و الهلع في نفوس الجنود الفرنسيين ، و جعلتهم ينامون على الجمر (1) .

و في 22 نوفمبر عام 1836، بدأت التحركات الأولى مساءا ، و على اثرها إندلعت حربا ضروسا شملت كل الجبهات . و قد إعتمد الفرنسيون في توجيه نيرانهم ضد المقاومين ، على ضربات مدفعيتهم ، غير أن الرد كان مماثلا بالنسبة للجزائريين مستعملين المدافع و البنادق معا ، دون أن يتركوا فرصة للقوات الفرنسية لتسدد ضرباتها تجاههم (2).

أما بالنسبة للمعركة خارج المدينة ، فقد كان الحاج أحمد باي يناوش مؤخرة الجيش الفرنسي التي لم تصل بعد الى المنصورة و ألحق بها أضرارا كبيرة في الأرواح و العدة الحربية . و بعد ابادة عدد كبير من حراس مؤخرة الجيش الفرنسي ، تمكن من الاستيلاء على الذخيرة و المؤن ، و كلف بعض جنوده من المشاة بحراستها ثم عاد مسرعا الى قسنطينة لمساعدة خليفته بن عيسى ، و ما أن وصل الى كدية عتي حتى بدأ يناوش الفرنسيين هناك ، و كذلك

---

1 – A.M.G, H 235, OP.CIT ;

2 – IBID .

فصل في المنصورة (1) .

و الهدف من هذا العمل العملاق هو زعزعة القوات الفرنسية و إرباكها حتى لا يترك لها المجال لكي تستقر و بالتالي تستطيع إحتلال مناطق استراتيجية تسهل عليها عملية إحتلال العاصمة قسنطينة .

كما أن التنقل المستمر للحاج أحمد باي بين العاصمة قسنطينة و خارجها زاد من قوة و عزم المقاومين الجزائريين و على الأخص السكان العزّل، على دحر العدو الفرنسي و الدفاع عن مدينتهم الى آخر نفس منهم .

و ما أن علم القائد العام للقوات الفرنسية ما حدث بمؤخرة جيشه، حتى زادت مصيبته بضياع المؤن و الذخيرة، إذ لم يبق له منها ما يمكنه من مواصلة الحصار، و لهذا وجد نفسه أمام اختيارين، إما أن يسارع بكل ما أوتي من قوة لاحتلال قسنطينة هذا المعقل الحصين و ذلك في أقرب وقت، و إما أن ينسحب مطأطأ الرأس الى عنابة (2).

و في ليلتي 22و23 نوفمبر عام 1836 توصل الفرنسيون الى ما يلي((المخاطرة بكل شيئ من أجل كل شيئ)) ،ففي أثناء الليل حاولت القوات الفرنسية مهاجمة باب القنطرة، هذه الباب التي ألحقوا بها أضرارا في النهار من جراء القات مدافعهم المقاتلية، لذا كانوا يتصورون أن أمر الهجوم من هذه الباب هين و سهل، لكنهم لاحظوا مدى ما تكمنه هذه السهولة من خطر كبير في حالة دخولهم

---

1 – PELISSIER DE REYNAUD , ANNALES ALGERIENNES, PARIS – ALGER 1854, T2, P132-133 .

2 – IBID, P. 133-134 .

منها، لأنه في حالة الفرّ أو التراجع إلى الوراء عندما تقتضيه ضرورة المعارك، سوف تقطع عنهم الطريق بواسطة ضربات المدافع الجزائرية، و بالتالي يحكمون على أنفسهم بالموت، إلى جانب يقظة المدافعين الجزائريين بقيادة بن عيسى، و كذلك العياء الذي أنهك قواهم، فكان حتما على القوات الفرنسية أن تعود إلى نقطة إنطلاقها(1)

و في 23 نوفمبر عام 1836، بعد أن يئس القائد العام للجيوش الفرنسية من محاولاته الفاشلة، دبّر خطة جديدة أثناء الليل، ترتكز على الهجوم الشامل في آن واحد في الليلة القادمة، إذ كان يرى ضرورة الهجوم على نقطتين رئيسيتين هما الجزء العلوي لكدية عتّي، و الجزء السفلي لباب القنطرة، حيث يكون الهجوم الأول بالنسبة لكدية عتّي عبارة عن مناورة فقط لجلب قوات المقاومين الجزائريين، و الهدف من ذلك هو تغطية الهجوم الحقيقي لباب القنطرة. و فعلا فإنه خلال نهار 23 نوفمبر، حاول الفرنسيون إحتلال المواقع الاستراتيجية، لتكون قاعدة لانطلاق العمليات العسكرية ليلا. و نظرا لخبرة القائد بن عيسى فقد شعر بالخطر الفرنسي مما دفعه إلى تعزيز القوات الدفاعية في الثغور الموجودة على أسوار المدينة، و كذلك الأبواب الخاضعة لنظام المداومة في حراستها ليلا و نهارا (2) .

---

1 _ A.M.G, H235, OP.CIT .

2 _ A.M.G, H 235, IBID .

و إبتداءا من الساعة العاشرة من ليلة 23 نوفمبر إلى غاية 24 منه، بدأالفرنسيون مناوراتهم للوصول إلى الهدفين اللذين تم إختيارهما، و هما باب الجديد و باب القنطرة. و ما أن حلّ منتصف الليل حتى بادر الفرنسيون بالهجوم على البوابتين، فبالنسبة لباب الجديد، حاول العقيد "دوفيفي DEVIVIER" نفسه بفرقته بواسطة المتفجرات و مدفع كان قد نصّب قريبا من البوابة (1). فما هو موقف الجزائريين الأهالي أمام هذا الخطر الداهم ؟

لم يبق المقاومون الجزائريون مكتوفي الأيدي، و ذلك ما لاحظه الفرنسيون منذ الوهلة الأولى من تحرك الحملة العسكرية ضد عاصمة بايلك الشرق، خاصة و أن طبول الخطر أصبح تدق على أسوار المدينة.

لقد كان البطل بن عيسى و رجاله يقظين، فما أن شعروا بإقتراب الفرنسيين حتى بدأوا يطلقون النار عليهم من كل صوب، مما خلق الارتباك و الهلع في صفوف الفرنسيين، و بالتالي كانت الفرصة سانحة لابن عيسى. فأمر مجموعة من جنوده المتطوعين برمي الحبال و الانزلاق إلى أسفل الأسوار، فتمكنوا بهذه الطريقة الهجوم على قوة الضابط الفرنسي دوفيفي و قتل ستة عشر جنديا فرنسيا و إستولوا على المدفع و حملوه ليلا إلى أعالي المنطقة (2)، و في هذه الحالة من الفزع و الفوضى التي ألمّت بصفوف الفرنسيين، لاذ أغلبيتهم إلى الفرار تحت نيران بنادق المدافعين عن المدينة، إذ لم يجد

---

1 – A.M.G, H235, OP.CIT .

2 – A.M.G, H235, IBID ;

الكولونيل دوفيفي طريقة للخروج من هذا المأزق الرهيب إلا الإنسحاب مهزوما ، هذا الفرار الذي كلف فرقته أكثر من ثلاثة و ثلاثون (33) قتيلا و (79) تسع و سبعون جريحا .

و في نفس الوقت كانت هناك فرق من القوات الفرنسية ، تحاول إقتحام باب القنطرة . و لقد حمل الرجال أكياس البارود و أكياس الرمال ، و وضعت بالقرب من الباب و في المقابل كانت وحدات من القوات الفرنسية بقيادة الجنرال تريزيل مستعدة لاقتحام الباب ثم الهجوم على المدينة ، و من تحركهم بإستعمالهم الجسر ، حتى لمحهم المدافعون . و قد حاولوا إستدراجهم إلى أن حان الوقت المناسب ، فكانت ضربات المدفعية قاضية و فتاكة حيث سقط في صفوف العدو إثنا عشر جندي ، أما البقية أجبرت على الإنسحاب إلى المواقع الخلفية تاركة وراءها فوضى عارمة (1) .

و على هذا النحو من الفوضى ، ظن الجنرال تريزيل أن مدفعيته تمكنت من تحطيم الباب ، فهجم بقواته على الجسر ، فإنتشر الرعب و الخوف في نفوس الجنود الفرنسيين مما دفع البعض منهم إلى الفرار . أما البعض الآخر صمم على مواصلة الهجوم . و ما إن إقتربوا من الباب حتى بادر الجزائريون إلى إطلاق النار من كل جهة بسلاح المدفعية ، و الإعتماد على المدفع الذي أخذ من فرقة الكولونيل دوفيفي (2) .

لقد كانت الجبهة مفتوحة أمام المدافعين الجزائريين

---

1 _ A.M.G, H235, OP.CIT ;

2 _ A.M.G, H235, IBID ;

في إستدراج العدو إلى حيث الدمار، و ما كان على القوات الفرنسية إلا التقهقر في إتجاه المنصورة • و قد لحقت بها خسائر فادحة لا تقدر بثمن في العتاد و الأرواح إذ قتل من جنودها في هذه المعركة أكثر من (140) مائة وأربعون جندي بالإضافة إلى الخسائر الكبيرة التي ألحقها بهم المجاهدون في كدية عتّي (1) •

و إثر هذه المحاولات الفاشلة التي وقعت في هذه الليلة، بلغت خسائر الفرنسيين أكثر من 250 جندي، و ما أن شعر المارشال كلوزيل بخيبة أمله في الهجومين، بدأت أحلامه تتحطم أمام إيمان الأبطال الجزائريين و شجاعتهم، و على إثر ذلك أمر قواته بالإنسحاب إلى عنابة (2) •

و في 24 نوفمبر 1836، على إثر سماع أمر الانسحاب هبّ الرعب و الخوف في صفوف الفرنسيين الذين أصبحوا لا يفكرون إلا في الرجوع إلى عنابة بأسرع وقت ممكن، خوفا من الهلاك الحتمي • ولم ينتظر الجيش الفرنسي جمع شتاته في المنصورة، بل سارع إلى الانسحاب تاركا وراءه الفرق العسكرية التي كانت متمركزة في كدية عتي، عرضة لنيران الجزائريين، كما تخلى الجيش عن جرحاه و مرضاه في ساحة المعركة غير مبال بهم، لأن همه الوحيد في هذا الظرف العصيب هو إنقاذ ما يمكن إنقاذه، مما تبقى من الجنود (3) •

1 _ A.M.G, H235, OP.CIT .

2 _ A.M.G, H235 IBID .

3 _ A.O.M, GGE 78/I, RAPPORT DE MALCION D'ARC, INTENDANT MILITAIRE A BONE AU MINISTERE DE LA GUERRE DATE LE 2 DECEMBRE 1836 .

و على إثر ذلك غنم الجزائريون كميات كبيرة من العتاد الحربي منها حوالي خمسون ألف خرطوش و (1000) ألف من الأدوات العسكرية الجديدة، و صناديق الأسلحة المختلفة، و أدوات الهندسة العسكرية، إلى جانب المواد الغذائية من البسكويت و السكر و القهوة و كذلك الأدوية و علب الجراحة (1) .

و لم يقتصر أمر الخسائر على هذه المعارك بقسنطينة، إذ تابع الحاج أحمد باي القوات الفرنسية المنهزمة و هي تجر أذناب الهزيمة إلى غاية قالمة، ملحقا بها خسائر إضافية في العتاد و العدة (2) . و التسائل الذي يطرح في هذا الظرف هو لماذا عارض الحاج أحمد باي الرأي الذي إقترحه مساعده، ابن عيسى، و القاضي بإبادة الجيش الفرنسي عن آخره نظرا لتوفر الإمكانات اللازمة لذلك؟

إن موقف الحاج أحمد باي في ظرف كهذا يدل دلالة قاطعة على قوة إيمانه بعقيدته، مقتديا في ذلك بسنة رسول الله (ص)، إذ كان يأمل في عودة المفاوضات في ظروف تكون أكثر ملائمة بينه و بين فرنسا في شأن سيادة الشعب الجزائري على أرضه، خاصة و أن هذه الأخيرة ذاقت هزيمة شنعاء حطمت أسطورة تفوقها، و بالتالي أخضعتها للأمر الواقع .

كذلك فإن عمل الحاج أحمد باي الإنساني الطيب تجاه قادة الجيش الفرنسي أثبت جدارته كرجل حرب، إذ أنه أراد الحفاظ على حياة الدوق دي نمور الابن الثاني لملك فرنسا (3) .

---

1 — A.O.M, GGE 78/I, OP.CIT .

2 — A.O.M, GGE 78/I, IBID .

3 — ESQUER(g), CORRESPONDANCE DU MARECHAL CLAUZEL, P. 370 .

و في 28 نوفمبر 1836 وصلت القوات الفرنسية المنهزمة إلى قالمة منهكة القوى، مثقلة بعار الهزيمة التي منيت بها، و من قالمة واصلت طريقها إلى عنابة. و ما تذكره المصادر، و هي في أغلبيتها فرنسية، أن الخسائر الإجمالية بالنسبة للقوات الفرنسية قدرت ما بين 700 و 900 قتيل (1)، و على الأرجح أن يكون العدد الحقيقي لهذه الخسائر التي لم تذكرها المصادر الجزائرية المعاصرة لأحداث قسنطينة و التي كانت غائبة تماما، و حتى مذكرات الحاج أحمد باي نفسها لم نعثر من خلالها على أي رقم للخسائر، و بالتالي فإن الفرنسيين لم يذكروا العدد الحقيقي الذي يفوق بكثير العدد المذكور نظرا لضراوة المعارك.

و قد كان تبرير قائد الحملة للهزيمة التي تلقتها جيوشه على يد المقاومين الجزائريين بقوله ((إن رجالي كانوا محاصرين من كل جهة، لقد خسرنا، كنا متجهين إلى الهلاك الحقيقي مثل الأغبياء)) (2).

كما أنه حمّل المسؤولية الكبرى في الهزيمة إلى قادته و على رأسهم الج... دوريني، أما الجنرال شانقوني فقد رأى أن إنهزام المارشال كلوزيل هو إنهزام فرنسا، و بالتالي كان نتيجة طبيعية لهذا الفشل، و هذه المصيبة كما سماها - كانت مستعجلة، ذلك لأن إحتلال قسنطينة مشروع الأغبياء و الحمقى، و مشروع تسوده الغرابية و هو شبه جريمة (3)

---

1 - A.M.G, H 235. OP.CIT .

2 - A.M.G, H 235, IBID .

3 - A.M.G, H 235, IBID .

و هكذا كتب للحاج أحمد باي و جيشه المنظم الانتصار المبين، و كانت الهزيمة من نصيب الفرنسيين، و بالتالي فإن هذا الانتصار الباهر ما هو إلا صفعة قوية و شديدة لأعتى قوة عالمية آنذاك. فكان له صدى عميقا ليس بالنسبة لسكان قسنطينة و بايلك الشرق، و إنما التراب الجزائري كله، و هذا ما زاد من لهيب المقاومة التي تجلت في معنويات المجاهدين العالية .

كما كان لهذا الإنتصار وقع كبير، استبشره المسلمون و باركوه في كل من اسطنبول و ليبيا و تونس و غيرها من الدول المسلمة. أما فرنسا فقد كانت الهزيمة بالنسبة لها وقعا قاسيا على حكومتها و شعبها، و بالتالي إنعكست بالسلب على قائد الحملة المارشال كلوزيل الذي تعرض لانتقادات لاذعة و حمّل المسؤولية الكاملة في هزيمة الجيوش الفرنسية، هذه الهزيمة التي حطت من قيمة فرنسا و شعبها و حطمت جبروتها و كبرياءها .

العنصر الثالث

معركة قسنطينة الثانية

لقد كانت سنة 1837، سنة تغيير في الناحية العسكرية والسياسية بالنسبة لفرنسا، فكانت بمثابة نفس جديد لها، إلا أنها لم تتمكن من تقويض روح المقاومة الجزائرية التي إمتدت من الغرب بزعامة الأمير عبد القادر إلى الشرق الجزائري بزعامة الحاج أحمد باي، و مع أن فرنسا بادرت إلى عقد معاهدة التافنة في 30 ماي 1837 (1)، مع الأمير عبد القادر، محاولة منها عزله عما يحدث في الشرق، و قد نجحت إلى حدّ ما، إذ كانت هذه المعاهدة بمثابة ضربة قاضية للمقاومة في الشرق الجزائري، حيث أعطت الفرصة للعدو الفرنسي لينكبّ بكل قواه على منطقة قسنطينة، وبالتالي يكون الباب الغربي مفتوحا له بعد أن يحسم قضية الشرق.

وكون الأمير عبد القادر كان في حاجة ماسة إلى مثل هذه المعاهدة لتنظيم جيوشه، و إعادة النظر في خططه العسكرية، فإننا نرى أنه أخطأ بإمضائه المعاهدة، و عليه يكون قد حكم على المقاومة الجزائرية بالإعدام، ليس في الشرق

---

1 - لقد أنهت معاهدة التافنة العمليات العسكرية و المفاوضات في القطاع الغربي، و نتيجة لتطبيقها توقفت النزاعات في اقليم الجزائر، ولم تتردد الحكومة الفرنسية من المصادقة على المعاهدة، و كان هدفها في ذلك هو وضع حد للخسائر المعنوية و المادية طوال سبع سنوات، و الحفاظ على ممتلكاتها في إفريقيا الشمالية، و قد كان الرأي العام السياسي يبحث عن إتفاقية شاملة و سرية بين الطرفين، و قد كان أمل وزارة الحربية هو تحقيق إنتصار عسكري على الحاج أحمد باي في قسنطينة لمحو ردود الفعل السلبية المترتبة عن المعاهدة خاصة و أن أحمد باي رفض رفضا قاطعا الاعتراف بشرعية فرنسا. أنظر في ذلك / - A.M.G , H 226

SUCCion NICOLAI, ESSAI SUR LES NEGOCIATIONS ET LES OPERATIONS MILITAIRES, CHAPITRE 1, P. 1

فحسبه و إنما في الغرب كذلك إذ أنه إعتبر معاهدة التافنة بمثابة إنتصار له، لكن فرنسا الماكرة أوهمته على أنه ستحقق له مطالبه و أن تجعله حاكما على منطقة مستقلة في الغرب الجزائري .

و مما لا شك فيه، فإن الحاج أحمد باي كان هو أيضا يرغب في عقد مثل هذه المعاهدة لإرغام فرنسا على الإعتراف به كحاكم لمنطقة الشرق، تحت راية المفاوضات، و اللجوء إلى الحلول السلمية، لكنه في نفس الوقت تظهر قوة مجلسه على مسرح الأحداث و يرفض رفضا باتا الحلول السلمية مع رؤساء بعض القبائل لأنه كان يرى فيهم الضعف و الغدر هذا من ناحية، و من ناحية أخرى رفض أيضا المفاوضات السلمية مع فرنسا بإعتبارها محتل غاصب لا بد من القضاء عليه بأي ثمن كان . فهذه الروح الثائرة الرافضة للسلبية و الرضوخ زادت من عزيمة قائد بايلك الشرق في رفضه المطلق لمطالب الفرنسيين التي جاءت كنتيجة للمفاوضات غير المباشرة ـ و التي طغى عليها الجانب السياسي و تضمنت خضوعه التام لفرنسا (1)، إثرها إندلعت الحرب مرة أخرى بين حاكم بايلك الشرق الحاج أحمد باي و فرنسا لتكون أشد ضراوة من سابقتها .

لقد بدأت هذه المعركة باستعدادات الطرفين لها، و سخرت فرنسا كل طاقاتها المادية و البشرية لإعادة الإعتبار الذي فقدته في معركتها الأولى ضد الجزائريين بزعامة الحاج أحمد باي، فكانت إستعداداتها العسكرية على النحو التالي /ـ

A.M.G, H 226, OP.CIT , P. 1-2 . — 1

الاستعدادات الفرنسية -

لقد كلف الجنرال داميمون DAMREMONT من طرف الحكومة الفرنسية بتنظيم الهجوم الثاني على مقر حكم بايلك الشرق و حاكمه الحاج أحمد باي الذي أصبح أسطورة البطولة الجزائرية آنذاك، و قد بدأ داميمون بإقامة المعسكرات على طول الطريق المؤدي إلى قسنطينة إنطلاقا من عنابة، وكانت على النحو التالي -

- معسكر درعان.
- معسكر النشمية .
- معسكر حمام باردة .
- معسكر مجز عمار، و هو آخر معسكر بالنسبة للفرنسيين جعلوه نقطة الإنطلاق لجل العمليات العسكرية على قسنطينة، و إلى جانب هذه المعسكرات قامت الجيوش الفرنسية ببناء الثكنات العسكرية و المستشفيات في قالمة، لضمان سلامة سير هجومها على قسنطينة، كما أن الجيوش الفرنسية لم تقتصر على الفرق التي كانت مرابطة في عنابة و قالمة، إنما إستعانت في ذلك بقوة إضافية أخرى قدمت من الجزائر و وهران بحيث تمركز معظمها في معسكر مجز عمار بأمر من الجنرال دامرمون، و هذا هو الخطر الحقيقي الذي إنجر وراء معاهدة التافنة المشؤومة بالإضافة إلى الدعم المادي و المعنوي الذي وصل إلى جيوش دامرمون من مينائي تولون و مرسيليا (1) .

---

1 YVES GEORGES, CORRESPONDANCE DU GENERAL DAMREMENT GOUVERNEUR GENERAL DES POSSESSIONS FRANCAISES DANS LE NORD DE L'AFRIQUE 1837, PARIS, CHAMPION 1927 , P. 686 .

الإستعدادات الجزائرية -

لقد إستدعى الحاج أحمد باي أعيان الاقليم و رؤساء القبائل لإبلاغهم بالأخطار التي تهدد بلادهم بين آونة و أخرى، و طلب منهم ضرورة تجنيد و تعبئة القبائل من الرجال القادرين على حمل السلاح، و ذلك للتصدي للعدو الفرنسي و القضاء على خططه العسكرية في أية لحظة.

إن ثقة القبائل العربية في حاكمهم جعلتهم يسرعون إلى تلبية نداء الجهاد في سبيل الله و الوطن، فها هي قبائل الحنانشة و الحراكتة و التلاغمة و فرجيوة و الأوراس و القل و سكيكدة و جيجل تلبي هذا النداء و تعزز جيش الحاج أحمد باي بما تملكه من قوة و وسائل الخيل (1).

لقد تمكن الحاج أحمد باي من جمع صفوفه و تنظيمها تنظيما محكما، و بدلا أن ينتظر هجوم الفرنسيين، بادر هو بالهجوم على تجمع القوات الفرنسية في مجز عمار باعتباره منطقة إستراتيجية بالنسبة للفرنسيين لبدء عملياتهم العسكرية و بشكل مكثف تواصلت هجومات الحاج أحمد باي من 23 سبتمبر إلى غاية 25 منه، و من ناحية أخرى بقي القائد بن عيسى خليفة الحاج أحمد باي داخل قسنطينة، هذه الشخصية التي عرفت بدهائها و غيرتها على الوطن و التي دوّخت العدو الفرنسي و قادته لشدة كراهيتها للفرنسيين، حيث بدأ من جانبه تشديد الدفاع عن البلاد، إذ قام بتهديم كل المباني التي كان قد شيّدها من قبل صالح باي إلى جانب

1 — A.M.G,H 235,NOTES DONNEES PAR BEN AISSA MINISTRE D'AHMED BEY PENDANT LES DEUX SIEGES,AL XXXV, SIEGE DE CONSTANTINEP.3 .

المسجد الذي ترك منه المأذنة فقط، و سبب هذا الهدم يعود بالدرجة الأولى إلى كون هذه المباني كانت عبارة عن ثغرات خطيرة، إستعملها الفرنسيون إبان حملتهم الأولى عام 1836، قصد التوغل داخل المدينة حتى يتجنبوا نيران بنادق المدفعيين الجزائريين. كما قام بإزالة المباني الموجودة على حدود المساحة الواقعة بين باب الواد و باب الجابية و إستبدلها بحصون قوية، كما أن الخليفة بن عيسى لم يهمل باب الجديد، إذ قام بإدخال ترميمات عليه إلى جانب دعمه بقوة دفاعية، مثلما هو الشأن بالنسبة لباب القنطرة الذي دعم بمدفعيين و أحيطت مناطقه بتسعة حصون. و قد كلّف الحاج أحمد باي بتجهيز هذه الحصون مبالغ باهضة، حيث إشترى من تونس و بأسعار مرتفعة جدا مدافع و أسلحة و غيرها من العتاد (1).

لقد كانت إستعدادات الطرفان، الجزائري و الفرنسي على قدم و ساق، تهيئا لهذه المعركة التي تختلف عن الأولى من حيث العتاد و العدد. بالنسبة للطرف الفرنسي كان لا بد عليه من احراز إنتصار مهما كلّفه لمحو الهزيمة التي لحقت به، و بقوة تفوق قوة الحملة الأولى، و في حالة فشله هذه المرة، فإنه يعني بالدرجة الأولى فشل المخطط الفرنسي الإستعماري في الجزائر.

أما الجانب الجزائري، فقد بقيت قوته مقتصرة على قبائل الاقليم الشرقي فقط، و غياب الدعم الذي كان ضروريا لو وجدت الغيرة الوطنية لدى الأمير عبد القادر لأن قضية

---

1 ــ كان الحاج أحمد باي يشتري العتاد العسكري من السوق السوداء بتونس و بمبالغ باهضة جدا نظرا لتدهور العلاقات بينه و بين باي تونس الذي كانت له أطماع في بايلك الشرق. انظر في ذلك/ ــ
A.M.G, H 235, OP.CIT, P. 3 .

الوطن فوق القضايا الشخصية، خاصة و أن هذا الأخير كان بوسعه كأمير أن يتخطى الخلافات الهامشية التي كانت بينه و بين الحاج أحمد باي، و ينطلق في نهج سليم تحذوه الوطنية و شرف الأرض، و بالتالي لو تحقق ذلك التلاحم لتأكدت قوة الجزائريين كقوة متكاملة تضمن الاستقلال الكامل للجزائر غربا و شرقا، و لتلقنت فرنسا أكبر درس في تاريخها الإستعماري.

و على هذا الأساس،فقد كان كل طرف سواء العدو الفرنسي أو الحاج أحمد باي، يعمل من جانبه من أجل أن ينتزع الإنتصار.وعند مقارنتنا للقوتين مثلما هو الشأن بالنسبة للمعركة الأولى وصلنا إلى ما يلي -

بالنسبة للقوة الفرنسية المعتدية-كان الجيش في المعركة الثانية يتكون من ثلاثة عشر ألف جندي مدرب، جعلوا من مجز عمار مستقرا لهم إلى حين، و هذا الجيش مقسم إلى أربعة فرق عسكرية تحت قيادة الجنرال دامرمون، إلى جانب الدوق دونمور، إبن ملك فرنسا، و الذي سبق له و أن شارك في المعركة الأولى حيث أشفق عليه الحاج أحمد باي، يضاف إلى ذلك مجموعة كبيرة من الضباط البارزين ذوي الخبرة العسكرية، ذاع صيتهم في العديد من المعارك التي خاضوها في أوربا و من هؤلاء الملازم العام "فالي" VALEE، الذي كان قائد منطقة في عام 1811 و هو الذي وضع النظام الجديد للمدفعية الفرنسية، فاشتهر على أنه أول جنود المدفعية في أوربا (1)، و كذلك الجنرال تريزيل TREZEL الذي سبق له و أن شارك في المعركة

1 ـ كان يوطنان بالكتيبة السادسة 1346-1773 للمدفعية ثم ترقى إلى درجة كابتان، أوكلت له مهمة تنظيم المدفعية بأكس لا شابيل في العالم الثالث،ثم قاد منطقة عام 1811 ثم جنرالا بالجزائر يعين مارشالا • أنظر في ذلك / - WALTER(G),REPERTOIRE DE L'HIST. DE LA REVOL.FRANC. TRAVAUX PUBLIES DE 1800-1940,PARIS 1941, P. 533 .

الأولى ، و قام بعدة عمليات عسكرية ،و في سنة 1805 كان ملازما ثاني ،ثم وصل الى رتبة عقيد أثناء مشاركته في معركة واترلو، و قد فقد عينه اليسرى فيها ،إلى جانب مشاركته في الحروب الاسبانية و مورة (شبه الجزيرة) ، و في سنة 1819 عين مارشا لا لإحدى المعسكرات،و كذلك الجنرال روليا RULHIERES الذي عين سنة 1809 ملازما ثاني ،و في عام 1813 أصبح رئيس كتيبة و في 1826 عين عقيدا ، ثم مارشالا لاحدى المعسكرات عام 1832 ، و أيضا الجنرال كرامان CARAMAN الذي عين هو الآخر مارشا لا على معسكر عام 1830 ، يضاف إلى ذلك الجنرال لامي LAMY ، و الملازم العام روهولد دوفلوري DE FLEURY الذي عين قائدا في 1801، و شارك في حرب أوسترلتز AUSTERLITZ ، و في أرياف بروسيا و بولندة و في الدفاع على برشلونة BARCELONE ، ثم أصبح عقيدا سنة 1816، ثم ملازم عام منذ أبريل 1834، كما يضاف الى هؤلاء الضباط الذين قادوا المعركة من الجانب الفرنسي الكولونيل كامب COMBE الذي عين قائدا للقوات الفرنسية عام 1822 و عين رئيسا لكتيبة الزواوة ((الزواف ZOUAVE)) عام 1833 (1) .

فما بين ضباط فرنسيين و ضباط من مختلف الجنسيات الكل كان يطمح الى تحقيق النصر بمشاركة فعالة في هجوم أخير على قسنطينة، هذه المدينة التي حطمت كبرياء فرنسا و قادتها في معركة 1836 و أذاقتهم مرارة الهزيمة ، فدب الرعب و الخوف فيهم ، لذا لم يجدوا وسعا إلا الاستنجاد بأضخم قوة عرفها التاريخ بالنسبة لهم في أرض الجزائر، و على

1ـ عن هذه الشخصيات العسكرية أنظر بالتفصيل L'ENCYCLOPEDIE COLONIALE ET MARITIME, SOUS DIRECTION DU GENERAL D'EUGENE GUERNIER ET G. FREMENT GUIEYSSE, ALGERIE ET SAHARA, T I , PARIS1948, P. 1 .

رأسها أبرز الجنرالات و المارشالات ذوي الخبرة العسكرية العالية، ذلك لأن شخصية الحاج أحمد باي أصبحت مع عاصمته قسنطينة همهم الوحيد و الشبح الذي يطاردهم أينما وجدوا، فأطلقوا عليها مدينة الشيطان . فهل الجانب الجزائري على قدرات توازي الطرف الفرنسي ؟

بالنسبة للطرف الجزائري، فقد كانت عزيمته و شجاعته في التصدي للعدو الفرنسي أقوى من ذي قبل، إذ كان شعارهم حماية الوطن أو الموت الجماعي .

لقد إستطاع الحاج أحمد باي أن يجهز قرابة 2000 1 مجاهد و 10 000 من المتطوعين الذين إنظموا إليه عندما إقتربت القوات الفرنسية من أبواب قسنطينة، حيث خصص 3000 منهم بمهمة الدفاع عن البلاد تحت قيادة خليفة البطل علي بن عيسى يساعده الشيخ "بلبجاوي"، بينما الحاج أحمد باي بقي تحت قيادته المباشرة خارج قسنطينة قرابة 7000 فارس و 2000 جندي من المشاة (1) . و قد كانت تشكيلة قادة جيش الحاج أحمد باي فيما يتعلق بأركان الحرب تضم قواد و شيوخ القبائل الكبرى بقسنطينة و منهم :-

- الشيخ رزقي، شيخ قبائل الحنانشة .
- الشيخ الحاج رجب، شيخ قبائل الحراكتة .
- الشيخ محمد بن الحاج، قائد التلاغمة .
- الشيخ بوعكازة شيخ فرجيوة .
- الشيخ بن عز الدين، شيخ زواغة .
- الشيخ محمد بن بوعزيز، قائد أولاد عبد النور .
- الشيخ مسعود بن المبارك، شيخ قبائل ريغة .
- الشيخ المقراني، من مجانة .

---

1 - A.M.G, H 226, NOTES SUR LA POSITION POLITIQUE DU BEY DE CONSTANTINE, DATEES DU 30 AOUT 1837 .

- العربي بوضياف، شيخ الأوراس .
- محمد بن بوعزيزه شيخ بلّزمة .
- بوعزيز بن قانة، شيخ العرب .

هؤلاء القادة و الشيوخ (1) إعتادوا المعرك الصغيرة و ليست لهم دراية كبيرة بالحروب الكبرى التي تعتمد على التنظيم و التكتيك الحربي فكانوا يشاركون في الغارات على بعضهم البعض و المناوشات بين القبائل ذاتها، و هذا بعكس ما هي عليه الحال بالنسبة للجيوش الفرنسية و قادتها .

و مع الإستعداد للمعركة من قبل الطرفين، بدأ كل واحد يتحذر من الآخر، و اضعا خططا عسكرية محكمة بالنسبة لفرنسا فإن هزيمة 1836 جعلتها تعيد النظر في تقييم خصمها العنيد مستخلصة العبرة من الأخطاء التي ارتكبتها آنذاك، و على هذا الأساس بادر الجنرال دامرمون(+) DAMREMONT إلى وضع خطة عسكرية، مبعدا فكرة النزهة إلى قسنطينة التي إنطلق منها سابقوه و على رأسهم الجنرال كلوزيل، و كانت على النحو التالي/ -

أولا - إقامة مراكز عسكرية عديدة على الطريق المؤدي من معسكره إلى قسنطينة، و الهدف من ذلك هو ضمان نجاح الحملة في ظروف حسنة .

ثانيا - السير نحو قسنطينة يتطلب تحركا مرحليا و بطيئا .

ثالثا - عند الوصول إلى قسنطينة، فإن الهجوم يبدأ مباشرة على باب القنطرة و كدية عتي على أن تركز قوة كبيرة على نقاط ضعف الدفاع بفتح ثغرة على أسوار المدينة (2)

---

1 - A.M.G, H226 ,NOTE SUR LA POLIY. DU BEY,OP.CIT .

2 - كان الجنرال دامرمون يمقت الجنرال بيجو كثيرا، لذا إنتقد بشدة معاهدة التافنة خاصة و أن الحكومة الفرنسية حاولت توكيل بيجو بمهمة القيام بالهجوم على قسنطينة .

3 - A.M.G,H 226, DERNIERES MESURES, 2° CHAPITRE, P. 32 .

و إن كان دامرمون قد أخذ العبرة من الهزيمة الأولى و بالتالي بادر إلى وضع خطته العسكرية، فإن الحاج أحمد باي لم يغتر بانتصاره الأول الذي دحر فيه القوات الفرنسية، و إنما كان يشعر بمدى خطورة الموقف خاصة بعد معرفته الدقيقة للتعزيزات العسكرية التي زادت من قوة الجيوش الفرنسية، ذلك الدعم الذي جاءها من وهران و الجزائر و موانئ فرنسا، كما تم الإشارة إليه سابقا. وبعد أن رأى نجاعة الخطة التي إتبعها في المعركة الأولى عام 1836 إرتأى أن يعمل بها ثانية فكانت كالتالي / ـ

أولا ـ العمل على إزعاج الجيوش الفرنسية لخلق الفوضى في صفوفها و ذلك على طول الطريق المؤدي إلى قسنطينة و الذي سلكته هذه الجيوش، حيث تواجد المراكز العسكرية،

ثانيا ـ العمل على تطويق جيوش العدو عند وصولها إلى قسنطينة فتصبح بين قوته التي تهاجم من الخلف خارج العاصمة قسنطينة، و قوة ابن عيسى التي هي في حالة دفاع من الأمام (1) .

وعلى هذا الأساس فإن الخطتين كانتا تتماشيا وفقا للمنظور العسكري بالنسبة لكلا الطرفين .

و ما دامت رغبة الإحتلال و التوسع رغبة فرنسية، فقد تحركت جيوش العدو تاركة وراءها معسكر مجزعمار، و ذلك في أول أكتوبر عام 1837 على الساعة السابعة صباحا و منه إلى رأس العقبة لتصل في اليوم الثاني أي في 2 أكتوبر 1837 إلى وادي زناتي، حيث مكثت إلى غاية 4 أكتوبر 1837 تاريخ وصولها إلى ضواحي قرية "عين عبيد"،

---

1 ـ A....G,H 235, NOTES DONNEES PAR BEN AISSA, OP.CIT, PP. 4-5

و كان المقاومون الجزائريون قد سبقوهم إليها ، إثر ذلك قاموا بإتلاف التبن لكي لا يستغل من طرف العدو كمؤونة لخيلهم و بغالهم •

و ما أن حل يوم 5 أكتوبر حتى بدأت الإنطلاقة الثانية في " وادي حميمين " ، و لم يكن بإستطاعة الجيوش الفرنسية مواصلة تحركها ، فأقامت الليل في منطقة "المريج" ، و في صباح اليوم التالي 6 أكتوبر ظهرت قسنطينة شامخة أمام القوات الفرنسية (1) •

لقد كان يوم 6 أكتوبر يوم بدأ التجهيزات العسكرية و التعبئة القصوى لخوض المعركة ، إذ طوال هذا اليوم شهد ساحة المعركة قتالا مريرا بين المقاومين الجزائريين و الجيوش الفرنسية ، لأنه في هذه المرحلة كان الجزائريون يحاولون منع العدو من التقدم و إحتلال المناطق الاستراتيجية و السيطرة عليها نظرا لما لها من أهمية كبيرة ، سواء كان بالنسبة لحماية العاصمة أو لتضييق الخناق على العدو (2) •

و نظرا للحالة التي كان عليها المقاومون الجزائريون خاصة و أنهم إعتمدوا على طريقة الكر و الفر ، في حربهم ضد الفرنسيين ، فقد سنحت الفرصة لفرق عسكرية فرنسية من التسلل إلى منطقة كدية عتي العامة ، كما نجحت فرق أخرى من الاستقرار على سطح منطقة المنصورة ، و بالتالي بادر القادة الفرنسيون إلى إقامة مراكزهم إنطلاقا من سيدي مبروك • و هكذا يتظاهر للعيان أن هذا اليوم كان بمثابة دراسة شاملة للمدينة و ضواحيها و محاولة تقويض الجزائريين

---

1 _ A.M.G,H235,DEUXIEME EXPEDITION DE CONST.,DOSSIER N°38,P.2

2 _ A?M?G,H235, IBID;

خاصة بعد السيطرة الفرنسية على الكدية و المنصورة و سيدي مبروك (1) .

لقد كان لهذه النقاط أهمية إستراتيجية كبيرة تنعكس مباشرة على الوضع الحربي للمعركة التي حمي وطيسها، أما القوة الجزائرية رغم فقدانها لهذه المناطق، التي حاولت بادئ ذي بدء مع وصول العدو الفرنسي إليها فإنها تمركزت حول العاصمة و أسوارها (2) .

و مع نهاية يوم 6 أكتوبر 1837، كانت الناحية العسكرية مهيأة بالنسبة لكلا الطرفان على الشكل الذي كانت عليه في عام 1836 . و هكذا تكون قوات العدو الفرنسي مقسمة إلى قسمين، الأول تمركز في كدية عتي، و الثاني في المنصورة .

أما قوات الحاج أحمد باي فهي الأخرى كانت مقسمة إلى قسمين، الأول تمركز داخل العاصمة قسنطينة، و الثاني خارجها و ذلك حسبما سطره حاكم بايلك الشرق نفسه (3) .

و مع بروز فجر 7 أكتوبر 1837م إنطلقت المعركة الحقيقية في كل الجبهات بين الطرفين (4) ، بكل ضراوة ، فالفرنسيون تحذوهم رغبة محو الهزيمة التي لحقت بهم في معركة قسنطينة الأولى عام 1836 و العمل على إسترجاع سمعة فرنسا التي لطخت بالعار، أما المقاومون الجزائريون و على رأسهم الحاج أحمد باي، فيحاولون إبقاء سيادتهم على أرضهم و دحر العدو ثانية و أخيرة رغم إختلاف الظروف عن سابقتها .

---

1 – A.M.G,H235, DEUX. EXPEDITION DE CONSTANTINE,OP.CIT .

2 – A.M.G,H235, IBID ;

3 – A.M.G, H235,IBID .

4 BAUDENS,RELATIONS DE L'EXPEDITION DE CONSTANTINE,J.B BAILLIERE LIBRAIRE,PARIS.1838,P.27 ;

ولتدعيم الدفاع الجزائري أكثر فأكثر، أمر الحاج أحمد باي بعض قواته المرابطة خارج المدينة الالتحاق بالقوات الداخلية، و ذلك في إطار خطة محكمة حملته مهمة الهجوم على القوات الفرنسية، و هذا ما كان يصبو إليه، إذ بادر بالهجوم على التجمعات العسكرية الفرنسية من جهة المنصورة و كذلك منطقة كدية عتي (1) .
إذ خلف هذا الهجوم المباغت و السريع العديد من القتلى و الجرحى في صفوف العدو، مما إضطره الى تعزيز صفوفه بإقامة خط دفاعي يحتوي على تسعة مدافع على النحو التالي :-
أربعة في المنصورة، منها مدفع واحد على العقبة .
خمسة في منطقة كدية عتي .
بالاضافة إلى ذلك هناك مدفع ذا قوة كبيرة، و الملقب بمدفع الثغرة يحتوي على أربع قطع كانت كلها موجهة إلى ميدان المعركة في عملية لإضعاف صفوف المقاومين الأمامية و محاولة تشتيتهم (2) . و لم يبق المقاومين الجزائريون مكتوفي الأيدي أمام هذا الوضع المحرج، بل كان ردهم قويا و عنيفا كذلك، إ ذ أقاموا أكثر من ثلاثين مدفعا على كل أسوار المدينة من باب الجديد إلى باب الجابية، و مجموعة أخرى من المدافع في باب القنطرة، و حوالي إثنا عشر مدفعا في القصبة، كما خصصت أربعة مدافع أخرى لكي تصوب مباشرة نحو المنصورة . ورغم وابل القنابل التي كانت المدافع الفرنسية تقذفها على المدينة و أسوارها، فإن متوسط ما كان يرده الجزائريون من قذائف على القوات الفرنسية يقدر بستين طلقة على الأقل (3) .

---

1 - FLEURY, SUR L'EXPEDITION ET LE SIEGE DE CONSTANTINE EN 1837, CHEZ M. NOIRST, PARIS 1838, P. 14 .

2 - FLEURY, IBID , P. 15 .

3 - BAUDENS, RELATIONS..., OP?CIT, P. 21 .

إستمر الوضع الحربي بين الطرفان في الأخذ والرد ،
طبقا للخطط العسكرية المرسومة ،وفي عشية 11 أكتوبر 1837 ،قرر
قائد أركان الحرب الفرنسي إرسال برقية و هي عبارة عن نداء
موجه إلى سكان مدينة قسنطينة وأعيانها ، يعرض فيها عليهم
تسليم أنفسهم و تسليم المدينة أيضا (1) .
إنها الحرب النفسية الجديدة التي حاولت فرنسا
من خلالها ضرب وحدة الصف لتعيث في الأرض فسادا .
إن ديمقراطية الحاج أحمد باي لم تترك مجالا لمثل
هذه الأمور ، فهو رجل دولة و من محامي الدفاع عن عاصمة
إقليمه ، إذ إكتفى مسؤولو الحماية داخل المدينة بتفحص الاقتراحات
الفرنسية ولم يكن القرار النهائي فرديا ، إنما جماعيا خضع لمجلس
الشورى وهذا ما يعكس روح التفاهم بين السكان في المدينة
و أعيانها وقادتها ، و الثقة المطلقة في شخص زعيمهم الحاج
أحمد باي .
في هذه الأثناء عمد الحاج أحمد باي إيفاد جاسوس
جزائري في صفوف القوات الفرنسية لمعرفة ما يحدث هناك في
الكواليس والاتيان بتقرير مفصل على حالة الجيوش الفرنسية ،
في الوقت الذي عاد فيه مبعوث الجنرال دامرمون محملا ببيان
حرر بأسلوب لا يترك مجالا لأي إلتباس جاء فيه ما يلي / ـ
((إذا كان المسيحيون بحاجة إلى بارود سنزودهم به ،
و إذا نفذ لحم الخبز سنقتسم خبزنا معهم ، و لكن ما دام
أحدنا على قيد الحياة لن يدخلوا قسنطينة)) .(2) .

---

1 ـ WATBLED(E),EXPEDITION ET PRISE DE CONSTANTINE 1836-1837, BATISTE LIBRAIRE, TISSIER, 1871 , P. 121 .

2 ـ WATBLED, IBID, P. 125 .

إن جوابا على هذا النحو من الاختصار الشديد يحمل في طياته الكثير من الأطروحات، لأنه ثري في محتواه، و يعكس حقيقة أنفه العربية الأصيلة، إذ أعطت هذه الإجابة للفرنسيين فكرة مدققة عن القيم الأخلاقية التي يتحلى بها الشعب الجزائري و لكنه مستعد للدفاع عن كرامته بأغلى ثمن رغم الظروف المأساوية التي فرضها عليه الاحتلال الفرنسي الغاشم .

و ما أن حلّت صبيحة يوم 12 أكتوبر 1837 حتى أحس كل طرف أن ساعة المواجهة قد حانت و ناقوس المعركة دق . وقد إختار الحاج أحمد باي منطقة قرب كدية عتي(+)، أقام بها مركزا لإعطاء الأوامر، و منه أخذ يراقب بدقة كل التحركات التي يقوم بها العدو، و في كل الاتجاهات، حيث لاحظ إنشغال جنرالات العدو بذهابهم و إيابهم، وجعل نصب عينيه كل خطوة وكل حركة يقوم بها قائد أركان القوات الفرنسية دامرمون باعتباره الرأس المدبر، و محاولة من الحاج أحمد باي في إستغلال هذه الظروف أمر بإرسال إشارات إلى القائمين على المدافع، و ذلك عن طريق المرآة العاكسة كوسيلة لإيصال الأوامر، و كان على رأس المشرفين على المدفعية علي البومباجي (1) .

كانت الأوامر التي بعثها الحاج أحمد باي عن طريق المرآة العاكسة تشير إلى إطلاق النار على مجموعة الجنرالات الموجودة في تلك اللحظة مع بعضها عند مدخل الكدية(++)، و القضاء على هؤلاء الضباط معناه إلحاق الهزيمة الفعلية بالعدو و سحقه نهائيا . وعلى إثر ظهور تلك الإشارات، فهم علي البومباجي

(+) ــ كدية عتي الآن عبارة عن مرتفعات ملعب قسنطينة " بن عبد المالك "

1 ـ MATBLED,EXPED.ET PRISE DE CONS.P.114-116/BAUDENS,RELATIONS.P.32 .

(++) ــ هذا المدخل هو الآن مكان مدخل العقيد عميروش .

مهمته في الأمر الموجه اليه، و بدأ مباشرة قصف القصبة و منها وجه ضرباته المدفعية إلى الهدف و هو ضرب تجمع الجنرالات ثم رجع بعد تنفيذ عملياته مباشرة إلى مركزه بباب الجديد ، و منه واصل توجيه الضربات المتوالية ضد العدو الفرنسي طبقا للخطة التي رسمها القائد البطل الحاج أحمد باي لدحر قوات الإحتلال (1) .

و على وتيرة واحدة إنهالت قذائف المدافع الجزائرية على تجمع القوات الفرنسية و قادتها ،فكان مقتل رأس الحربة الجنرال دامرمون قائد أركان القوات الفرنسية ، و بالتالي حدث الهلع و الفوضى في صفوف الفرنسيين ،وفي الوقت ذاته عندما حاول بريقو PERREGAUX تفحص جثة الجنرال دامرمون أصابته رصاصة بين عينيه ، كانت سببا في وفاته بعد أيام معدودة (2) .

و على إثر موت القائدان الفرنسيان (3) إزداد الخوف

---

1 – XATBLED, EXPEDITION..., P.114-115/ BAUDENS, RELETION. P.32

2 –

3 – دامرمون هو شارل ماري كونت دونيس دامرمون إلتحق بالمدرسة العسكرية في فونتان بلو و ذلك في 16 ماي 1803 ، أصبح ضابطا كبيرا في صفوف اللفيف الاجنبي منذ 1827 ، وفي 15 سبتمبر 1835 إرتقى إلى مرتبة الأشراف ، و هو من مواليد منطقة شومون بمارن العليا HAUTE MARNE في 8 فبراير 1783 .
أنظر كذلك الرسالة المؤرخة بمانترو 29 ديسمبر 1837 حول موته ، الرسالة بالملحق أما الجنرال بريقو PERREGAUX فهو ألكسندر شارل بريقو ولد في 21 أكتوبر 1791 في منطقة ناف شاتل NEUF CHATEL بسويسرا ، ولكنه فرنسي الأصل و الجنسية ، إنضم إلى الجندية كضابط صف LIEUTENANTS. في 2 جويلية 1807 في كتيبة ناف شاتل ، وأصبح مارشال معسكر منذ 16 جوان 1834 . أصيب برصاصة قاتلة في معركة قسنطينة 1837 نقل إثرها إلى عنابة و منها إلى باريس حيث مات و دفن في كاقلياري بسردينيا . أنظر/ – WATBLED, EXPEDITION..., P. 123 .
66

وعمت الفوضى و الاضطراب بين صفوف الفرنسيين ، و بالتالي إستغل الحاج أحمد باي هذه الظروف المواتية و أمر بالقيام بهجوم شامل ضد الفرنسيين ، خاصة عندما وصلت الامدادات العسكرية إلى قسنطينة ، قصد تعزيز المقاومة الجزائرية من عدة مناطق منها جيجل و القل و ميلة ، و عليه أصبحت القوات الفرنسية بين نارين .

و لم يكن بوسعها إلا الدفاع عن نفسها أمام هجومات الفرسان الأشاوس تعلوهم صيحات التكبير ، إثر ذلك سارع الضباط المتبقون إلى تعيين الجنرال فالي(+) ، قائدا لأركان الحرب خلفا للقائد القتيل دامرمون . و عليه بادر إلى إعطاء أوامره الأولية الرامية إلى التصدي إلى هجومات الجزائريين ، غير أن شجاعة و إقدام الجزائريين لا يكفيان للحكم النهائي على فشل الفرنسيين ، و كان لزاما عليهم أن يحسبوا ألف حساب للتقنيات الحربية التي إعتمدها العدو في حربه و التي طبقها في حروبه داخل أوربا .

و قد لاحظ الحاج أحمد باي صمود الفرنسيين أمام هجومات فرسانه ، لذا رأى من الأصلح له الرجوع إلى

(+) ولد الجنرال فالي في بريان لوشاتو BRIENNE LE CHATEAU في 17 ديسمبر 1872 ، إنضم الكونت فالي إلى صف الجندية كضابط صف S. LIEUTENANT في سلاح المدفعية بمدرسة دوشالون DE CHALONS في 1 سبتمبر 1792 ، شارك في كل المعارك التي خاضتها الامبراطورية ، أصبح جنرال ناحية منذ 1814 بعد ذلك إرتقى إلى صف اللفيف الأجنبي في 17 أوت 1822 ، خلف قيادة الجيوش الفرنسية بعد موت دامرمون . أنظر في ذلك / _

L'ENCYCLOPEDIE COLONIALE ET MARITIME, OP?CIT, PP. 1-2 ;

MATBLED, EXPEDITION..., P. 124 .

مواقعه الخلفية، فأمر المحاصرين بالعودة الى مراكزهم على أسوار المدينة، قصد تعزيز الفاع أكثر من ذي قبل، مع المراعاة القصوى و وجوب الحذر من مراكز الفرنسيين المتقدمة في كدية عتي، إذ كانت العودة ممكنة عن طريق باب الجديد و مرتفعات الطابية الخارجية (1) .

كانت وضعية الجانبين الجزائري و الفرنسي مستقرة و بقيت على ما كانت عليه في بداية المعركة، حيث بقي العديد من المقاتلين رابطين في أماكنهم على شكل نصف دائرة إبتداءا من كدية عتي و باردو و الأقواس الرومانية الى غاية سطح المنصورة. أما الخيالة الجزائرية فقد بقيت تحاصر مواقع القوات الفرنسية و تراقب تحركاتها . (2) .

ان تعزيزات الحاج أحمد باي أرعبت الجيوش الفرنسية و قائدها الجديد فالي، هذا الجنرال الذي وصل الى حد هلع لا بديل له و هو إما الإستيلاء على المدينة و إما الموت تحت أسوارها . أليست مقولة سابقيه ؟، رغم الإرهاق الذي حل بالقوات الفرنسية و الهزائم التي منيت بها طول المعركة و غزواتها، الى جانب نقص التموين، و بالتالي أصبحوا في وضعية لا تسمح لهم حتى بالرجوع الى عنابة (3) .

---

1 — WATBLED, EXPEDITION..., P. 115 .

2 — FLEURY , SUR L'EXPEDITION...,P. 22 .

3 — FLEURY, IBID..

لقد أدرك الجنرال قائد الجيوش الفرنسية الجديد، أن أمله الوحيد معلق على ما سوف تحققه المدفعية، و بالتالي أخذ إحتياطات كبيرة لجعلها ـ المدفعية ـ تكون أقرب قدر الإمكان من أسوار المدينة، لأنه كان يهدف من وراء ذلك إلى تحطيم الأسوار المحصنة بفتح ثغرات فيها، تسمح لجيوشه عند شن الهجوم بالتسلسل داخل المدينة، و قد نجح إلى حد ما في خطته هاته بتقريب مدفعيته التي أصبحت على بعد مائة و ستين مترا (160) من أسوار قسنطينة . (1)

و على هذا الأساس تمكنت مدفعية العدو الفرنسي من احداث ثغرة كبيرة على الناحية اليسرى من باب السواد، و قد قدر سمكها آنذاك بعشرة أمطار ان لم يكن من باب مبالغة الكتابات الفرنسية. و مع ذلك فقد كانت غير كافية لمرور الفرق العسكرية، مما دفع الفرنسيين إلى مواصلة العمل في احداث ثغرات أخرى نهارا على جهات عديدة من أسوار المدينة، و رغم ذلك فإن الجزائريين تداركوا الموقف و بادروا إلى سد تلك الثغرات ليلا، لكن هذه الوضعية تخدم بالدرجة الأولى العدو الفرنسي و تنهك القوة الجزائرية لأن القذف المدفعي الفرنسي كان بشكل متواصل على نفس الثغرات مما صعب من سدها من طرف رجال المقاومة (2) .

في هذه الحالة بالذات حدد الجنرال فالي موعد هجوم قواته لليوم الموالي أي 13 أكتوبر 1837، لأنه

1 ـ FLEURY, SUR L'EXPEDITION, P. 22 .

2 ـ IBID , PP. 22 - 23 .

أدرك أن الفرصة موالية للقيام بالهجوم، حيث أنه في 12 أكتوبر ليلا بدأت الإستعدادات الضخمة و التأهب لتنفيذ الهجوم بتشكيل ثلاثة فرق عسكرية كانت على النحو التالي / _

الفرقة الأولى _ تحت قيادة الملازم العقيد LIEUTENANT COLONEL لاموريسيار LAMORCIERE، و وضعت على مقربة من رجال المدفعية و على بعد مائتين متر (200) من العاصمة، و بلغ عددها سبعمائة (700) جندي .

الفرقة الثانية _ تحت قيادة العقيد كومب COMBE و كانت تتكون من ثمانمائة (800) جندي، و قد تمركزت على يسار المنحدر لمنطقة عوينة الفول .

الفرقة الثالثة _ و هي الأهم بالنسبة للعدو الفرنسي، و تتكون من فيلقين، و تضم أكثر من ألف (1000) جندي، تحت قيادة العقيد كوربان CORBIN، و قد تمركزت على اليمين من منحدرات باردو كقوة إحتياطية (1) .

كان هدف هذه الفرق الثلاثة هو إقتحام المدينة بأي ثمن كان، إذ وجهت الفرقتين الأولى و الثانية الى الثغرة الكبيرة التي أحدثتها المدافع و الواقعة على المنحدر الأيسر لباب الوادي، أما الفرقة الثالثة فقد وجهت الى باب الجابية قصد محاولة كسره و دخول المدينة . أما بقية الجيش ظلت ثابتة في مواقعها بكدية عتي و المنصورة، و أوكلت لها مهمة التصدي لفرسان الحاج أحمد باي في حالة تدخلهم لنجدة المدافعين . (2)

---

1 _ SEDILLOT(C), COMPAGNE DE CONSTANTUNE EN 1837, PARIS 1838 , P; 224 ; voir aussi: FLEURY, SUR L'EXPEDITION...; P. 25-26;

2 _ WATBLED , EXPEDITION ET PRISE DE CONSTANTINE, P. 125 .

وسرعان ما إنتشر خبر محاولة الفرنسيين الهجوم على المدينة، حتى راح المؤذنون في شتى أرجاء المدينة يدعون الناس لليقظة و الإستعداد لصد الكفرة المسيحيين أعداء الله، إذ لجأ السكان إلى المساجد ليقسموا اليمين ويعاهدوا الله على الجهاد في سبيله حتى الموت دون إستسلام، و فضلا عن رجال الحاج أحمد باي و الجيش النظامي، بدأ العامة تستعد للمقاومة، فكانت التعبئة العامة، و قد تكون إثر ذلك جيش من المتطوعين من مختلف جهات بايلك الشرق، وحتى النساء و الأطفال كانوا على إستعداد تام للمقاومة[1]

و مع هذه القوة المتواضعة بالمقارنة مع العدد و الفرنسي التي تفوقها عدة و عددا، كان الحاج أحمد باي يدرك تمام الادراك الخطر الذي يحدق بعاصمة إقليمية وأتباعه و جنوده، خاصة و أن العتاد الحربي من أسلحة و بارود بدأ ينقص كلما زادت المعركة ضراوة (2).

ورغم الإحتياط من البنادق و البارود الموجود في مخازن المدينة إلا أن القائد بن عيسى و بأمر من الحاج أحمد باي نهى توزيعه على أعيان المدينة خوفا من أن تصبح هذه الأسلحة في أيدي أعدائه فينقلبوا ضده، و في هذه الحالة كان الجنود المتطوعين الذين لا يملكون البنادق قد لجأوا إلى استعمال الأسلحة التقليدية كالسيوف و الخناجر والعصي،

---

1 — BAUDERS, RELATION..., P. 26 .

2 — FLEURY, JOURNAL DE L'EXPEDITION, OP.CIT , P. 27 ;

لأن [illegible] الوحيد هو الفشل عن مدينتهم ، و مقاومة الكثير بأية وسيلة كانت (1) .

وفي 13 أكتوبر عام 1837 جددت المدفعية الفرنسية قصفها العاصمة قسنطينة و أسوارها ، حتى تتيح لقوات[illegible] فرصة الهجوم الشامل ، و بالفعل فقد بادرت أول مجموعة من عساكر العدو الفرنسي إلى الهجوم قصد تفجير الحواجز الملغمة و التوجه إلى إحدى الثغرات للتسلسل إلى الداخل ، و ذلك على مقربة من باب الوادي . (2)

كان على رأس المدافعين داخل المدينة الباي ابن عيسى ، حيث كانت مهمتهم منع الفرنسيين دخول المدينة بأي ثمن ، و هذا ما جعل الاشتباكات تحتدم بكل قوة حول الثغرات ، و على الأسوار مما اضطر الفرقة العسكرية الفرنسية إلى الانسحاب فاسحة المجال لفرقة عسكرية أخرى ، و ذلك في إطار التناوب الهجومي قصد زعزعة صفوف المدافعين الجزائريين ، و رغم المقاومة الشديدة التي أظهرها الجزائريون فإن سياسة التناوب هاته أفشلتهم ، و بالتالي كان الفرصة لجنود العدو من مهاجمة أول ثغرة و توصلوا إلى [illegible] اجتياز الأسوار و دخلوا المدينة بأعداد ضخمة أذهلت المدافعين الجزائريين (3) .

---

1 - FERAUD, [illegible], P. 27 .

2 - BAUDENS, [illegible], P. 57 .

3 - IBID, P. 58 .

لم يكن بوسع المدافعين الجزائريين البقاء بأسوار المدينة فقد إنسحبوا إلى خط دفاعهم الثاني ، و تأخروا اتجاه المرتفعات المدينة ، لم يجد الفرنسيون "التقدم في الاتجاه الأعلى للمدينة فكان تقدمهم عشوائيا ، حيث لم يخل أحد منهم من طلقات البنادق التي كانت موجهة من كل مكان ، سواء المنازل أو الشرفات و حتى المساجد و الدكاكين ، و هنا بدأت حرب الشوارع الضارية بين سكان المدينة و القوات الفرنسية التي وصلت متقدمة عن باب خشب سعيدة ، فحاولت إقتحامه مستعملة الفؤوس و العصي الثقيلة لكسره ، إلى جانب ضربات البنادق ، و ما أن وصلوا إلى الحداد [illegible] حتى بدأ رصاص المدافعين ينهال على العدو من كل جانب و صوب ، حيث سقط العديد من الجنود الفرنسيين أما البقية فقد واصلت المعركة أمام تراجع المدافعين الجزائريين من الخط الثاني إلى الخط الدفاعي الثالث (1) .

لكن التراجع كان خطة محكمة دبرها ابن عيسى ، فمحاولة الفرنسيين ملاحقة المدافعين ، لم تكن من باب التراجع الانهزامي إنما الهدف منه إستدراج العدو إلى كمين نصبوه له مسبقا ، فما أن أخذ المدافعون أماكنهم حتى وقع إنفجار بلغم صرع العديد من القوات الفرنسية فكانت مجزرة رهيبة أتت على أكثر من ثلاثمائة فتى (300) ، و على رأسهم القائد العقيد لا موريسيار LAMORCIERE ، أما الذين

---

1 - BAUDENS , RELATIONS..., P. 58 .

نجوا من الانفجار فإنهم لم ينجوا من طعنات السيوف و الخناجر فكانت الكارثة بالنسبة للعدو الفرنسي (1) . و ما خيّب آمال الحاج أحمد باي هو عدم إنفجار الألغام الأخرى المزروعة حول المدينة، و السبب في ذلك يعود إلى نقص خبرة الرجال الذين وضعوها في ميدان المتفجرات حيث أنه لو إنفجرت في وقتها لتحاقت القوات الفرنسية مرّ الهزيمة، خاصة و أن الحاج أحمد باي وضع آماله الأخيرة و بدرجة كبيرة في هذه الألغام، و في هذا الوقت بالذات علت وجه الحاج أحمد باي الحسرة، فتحسر بمرارة شديدة عن عدم تدريب هؤلاء الرجال بالمقدار الذي يجعله لا يخشى عليهم من تأدية واجبهم، و يلبقون كذلك لهذه التقنية الحربية (2) .

في هذه الأثناء إستمرت المعركة على أشدها داخل شوارع قسنطينة، خاصة بعد أن بادر العقيد كومب إلى الهجوم بفرقته لتعويض القوة التي كانت في مقدمة الجيش و التي سقطت من جراء إنفجار الألغام و ما كان مصير هذا القائد إلا أن أصيب هو الأخير برصاص المقاومين و إنسحب من المعركة ليلقى حتفه فيما بعد . (3)

---

1 -- DEVOISINS, EXPEDITION DE CONSTANTINE , PARIS 1840, 81 .

2 _ FLEURY, JOURNAL DE L'EXPEDITION, OP. CIT, P. 41 .

3 -- BAUDENS, RELATION..., P.37 .

رغم كثرة الأساليب التي إستخدمها الفرنسيون إلا أن قوة الحاج أحمد باي الداخلية، ثم إستراتيجية العاصمة قسنطينة بأزقتها الضيقة و مبانيها المرتفعة، صعبت من مهمة العدو الفرنسي، فهي جعلت من مقاومة المدافعين الجزائريين كيد لا و هم أدرى بشعابها، و لكن الأمر الذي فاق طاقة الحاج أحمد باي داخليا و لم يتمثل في ظروف حرب قاسية أن يعالجه بما ساعد إلى حد كبير في إنتصار سقوط قسنطينة، ألا و هو عنصر الوشاية و الخيانة، هذا العنصر الذي سرعان ما ظهر على الساحة ليمد المساعدة للعدو الآثم، و هذا ما قام به بعض المرتدين، الذين وضعوا أنفسهم عبيدا لأعدائهم و أعداء دينهم و أرضهم، و هكذا جعلوا أنفسهم في خدمة الجيش الفرنسي و إرشاده للقضاء على ما تبقى من جيوب المدافعين عبر أزقة المدينة، و بالتالي سهلوا له المهمة في الاستيلاء على كل المناطق الإستراتيجية (1)، هذا على وجه الخصوص الثكنات التي كانت مخصصة للجنود في رحبة الجمل (+)، و كذلك القصبة و قصر الحاج أحمد باي و منزل خليفته ابن عيسى.

على الرغم مما أحرزه الفرنسيون، فإن المقاومين واصلوا المعركة بكل ما يملكون من أسلحة، و من كل جهة تمكنهم من ضرب العدو فإنهم لا يتأخرون في إستخدامها، و بالتالي فإنه لم يكن من السهل على العدو الفرنسي ضبط الأمور داخل المدينة لأنه إذا أراد ذلك عليه أن يحتل

---

1 ـ لقد كان على رأس هؤلاء الوشاة و الخائنين جماعة اليهود القاطنين داخل المدينة إذ بمجرد ما دخلتها قوات الاحتلال حتى سارعوا فرحين بهم.
أنظر / ـ MATHIEU, EXPEDITION ET PRISE DE CONSTANTINE, P. 134

(+) ـ رحبة الجمل هي الآن موقع السوق بقسنطينة.

قسنطينة شارعا تلو الآخر، و زقاقا زقاقا ، و منزلا منزلا ، و دكانا دكانا . و كلما تقدمت الجيوش الفرنسية داخل المدينة إلا و تجد أمامها مقاومة شديدة و قوية ، فكانت الموت تحصد الطفل و الشيخ و المرأة و الرجل ، و تراكمت الجثث خلال أيام المعركة من الجانبين (1) .

و بينما معركة الشوارع و الأحياء على أشدها ، خاصة في منطقة رحبة الجمل و الجابية و سوق الغزل ، تحركت القوة الفرنسية الثالثة بقيادة كوربان CORBIN في اتجاه البارود ، و محاولة فتح باب الجابية بالقوة ، حيث أنه ليس من السهل فتحه ، فقد كان استقبالهم حارا من طرف المدافعين ، برصاص بنادقهم الذي انهال عليهم من كل جهة ، لكن كثرة عددهم جعلهم لا يبالون بقتلاهم ، و هم يتقدمون نحو باب الجابية ، و بالتالي توغلت الفرقة الثالثة ناحية السويقة ، حيث وقعت إشتباكات عنيفة في الأزقة إلى غاية البطحة و عرصان الشريف و بساب القنطرة ، و إثر ذلك أسرعت فرقة عسكرية أخرى نحو باب الآخر فتح لتمركز القوات الأخرى المتمركزة في المنصورة من دخول المدينة (2) .

بعد أن دخلت قوات الاحتلال الفرنسي العاصمة قسنطينة لم يعد هناك جدوى من المقاومة ، لذا أمر القائد ابن عيسى سكان المدينة من مغادرتها ، لكن البعض منهم فضلوا الاستشهاد ، و منهم القائد محمد بلبجاوي خليفة ابن عيسى (3) .

---

1 - WATBLED, EXPEDITION..., P. 138 .

2 - FLEURY, SUR L'EXPEDITION..., PP. 29-30..

3 - WATBLED, P. 157 .

و بالنسبة للذين نجوا من الحملات، فقد إلتحقوا بالحاج أحمد باي، و ما بقي داخل المدينة إلا العجزة من الشيوخ و النساء و الأطفال، و بالتالي حاول بعض الأعيان وضع حد للوحشية الإستعمارية الفرنسية، فطالبوا بوقف إطلاق النار، و قد تم ذلك في يوم الجمعة 13 أكتوبر 1837(1)

لقد فتح وقف النار شهية القوات الفرنسية فراحوا ينهبون و يسلبون ممتلكات الشعب القسنطيني، و البعض منهم ينتهكون الحرمات غير مبالين (2) .

و مع ذلك فإن هذه الحرب الضروس كبدت فرنسا النفس و النفيس، و وصلت الأرقام في الخسائر إلى درجة لا يمكن عدها، و قد حاول بعض الكتاب الفرنسيين التقليل من فداحة الخسائر الفرنسية، بوضع أرقام واهية بعيدة كل البعد عن الأرقام الحقيقية، منها الجدول الذي وضعه دوفوازان (3) .

رغم احتلال قسنطينة فإن الحاج أحمد باي بقي الأمل يراوده في إسترجاع ملكه الضائع، حيث أنه مباشرة جمع ما تبقى و ما لحق به من الرجال و توجه نحو الجنوب (4)، حيث الأمن و الاستقرار، و بالتالي سوف تكون له فرصة إعادة الكرة في تنظيم رد فعل يكون عنيفا، و ذلك بعد أن ألقى نظرة أخيرة على عاصمة ملكه و مسقط رأسه .

---

1 – .ATBLED, EXPEDITION..., P.138 .

2 – SEDILLOT, COMPAGNE DE CONSTANTINE, P. 250 .

3 – DEVOISINS , EXPEDITION DE CONSTANTINE, P. P. 88 .

4 – .ATBLED , EXPEDITION, P. 139 .

RESUME RECAPITULATIF

DESIGNATION DES CORPS	PROVENANT DU FEU DE L'ENNEMI						MORT DE MALADIE		
	OFFICIERS			SOUS OFFICIERS			OFFICIERS-S/OFFICIERS		
ETAT MAJOR	TUES	BLESSES	TOTAL	TUES	BLESSES	TOT.	TUES	BLESSES	TOTAL
ETAT MAJOR	1	9	10	0	0	0	0	0	0
GENIE	4	4	8	5	59	64	0	0	00
ARTILLERIE	0	2	2	5	7	12	0	1	1
ZOUAVES	2	7	9	16	117	133	0	1	1
2°LEGER	1	4	5	8	61	69	1	2	3
17° LEGER	1	1	2	9	28	37	1	4	5
2° BATAILLON D'AFRIQUE	1	1	2	19	53	72	0	0	0
TIR D'AFRIQUE	0	1	1	2	1	3	0	0	1
11° DE LIGNE	0	0	0	0	3	3	1	2	3
23° DE LIGNE	0	0	0	1	8	9	0	7	7
3° BATAILLON D'AFRIQUE	1	1	2	7	41	48	0	5	5
26° DE LIGNE	1	0	1	0	4	4	0	4	4
LEGION ETRANGERE	2	3	5	5	47	52	0	0	0
47° DE LIGNE	2	2	4	4	40	48	1	6	7
CAVALERIE	0	2	2	1	5	6	1	4	5
ADMINISTRATION	0	0	0	0	0	0	0	2	2

DEVOISINS, ESPEDITION DE CONSTANTINE, PARIS, ROZET, 1840, P. 88.

الـبـــاب الـثـــانـي

الـحـاج أحـمـد بـاي الـمـقـام

الـفـصـل الأول

مـرحـلـة 1837 ـ 1843

1 ـ الأوضاع الداخلية بعد سقوط عاصمة الإقليم الشرقي .

2 = سياسة فرنسا الاستراتيجية بالمنطقة .

3 ـ علاقة الحاج أحمد باي بالأمير عبد القادر .

4 ـ وجود الحاج أحمد باي في تعبئة قبائل الاقليم الشرقي .

العنصر الأول

الأوضاع الداخلية بعد سقوط عاصمة الإقليم الشرقي .

بعد إستيلاء الفرنسيين على عاصمة الإقليم الشرقي قسنطينة، و توجه الحاج أحمد باي مع من بقي معه من فرسان إلى بسكرة، ظنوا أنهم بهذا الاحتلال بإمكانهم إخضاع الإقليم الشرقي كافة، خاصة و أن المارشال فالي كان على عكس سابقه دامريمون لا يؤمن بالاحتلال الضيق، بل كان يحبذ الاحتلال الشامل، و يرى أن أفضل وسيلة للدفاع هي الهجوم (1)، لكن هذا الوضع المأساوي لم يثن من عزيمة أحمد باي و لم يقلل من قيمته على أنه رجل دولة، و وجه من وجوه المقاومة الجزائرية التي دوخت الاحتلال الفرنسي خلال القرن التاسع عشر .

و عند خروجه من قسنطينة، عاصمة إقليمه، إحتفظ بحوالي ألف فارس، و كان مشروعه هو إعطاء نفس جديد لمقاومة الاحتلال و استغلال كل الظروف المواتية، خاصة بقاء بعض القبائل القوية تحت لوائه و موالية له، و ليس كما ظن بعض الفرنسيين العسكريين على أن نفوذ الحاج أحمد باي على

---

1 ــ إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ش.و.ن.ت، الجزائر، بلا تأريخ، ص 202 .

الاقليم الشرقي إرتكز على العنف و القوّة بسبب جبروته.
و قد ذكر الماريشال فالي أن سقوط قسنطينة جعل من الباي أحمد رجلا دون نفوذ أمام أعين القبائل (1) .

و هذه الأقاويل في رأينا لا تمت بأي صلة للحقيقة التاريخية التي لمست بأقلام المؤرخين العسكريين ، و إلّا كيف نفسّر إستمرارية المقاومة بزعامة الحاج أحمد باي و ولاء القبائل العربية له، أمثال أولاد سلطان وأولاد عبدي و غيرها من القبائل التي أشهرت سلاحها غير مرّة في وجه العدو الفرنسي. و لولا خوف فرنسا من قوة و نفوذ الحاج أحمد باي لما طلبت منه غير مرّة ، و بإلحاح شديد ، أن يبقى قائدا على قسنطينة مقابل إعترافه بسيادة فرنسا .

و الظاهر أن الإعتقاد الذي ساد فترة الإحتلال ، هو أن بقاء العدو الفرنسي في قسنطينة هو عمل غير سياسي و غير عملي ، لأن المدينة قسنطينة في حدّ ذاتها بعيدة عن الشواطئ ، و كذلك المواصلات عسكريا مع الجزائر صعبة جدا (2) .

---

1 — LADIMIR(J) , LES GUERRES D'AFRIQUE DEPUIS LA CONQUETE D'ALGER PAR LES FRANCAIS , PARIS 1859 , P. 171
و ما يفند الأقاويل التي جاءت على لسان فالي ، الرسالة التي بعثها إلى وزير الحربية بتاريخ 29 ديسمبر 1837 ، و التي تشير إلى تحريض الحاج أحمد باي للقبائل ضد التواجد الفرنسي .
2 ــ اسماعيل العربي ، العلاقات الدبلوماسية ، المرجع السابق الذكر ، ص170 .

و يضاف إلى جانب العدو الفرنسي هذا، جانب الأمير عبد القادر الذي عبّر عن رغبته في القيام بحملة عسكرية على الشرق سالكا طريق الجنوب، حيث وصل إلى بسكرة لينتقل إلى سور الغزلان، ثم أقام معسكره بمنطقة ونوغة (1).

و مع ذلك، فإن الأمير عبد القادر كان يدرك تمام الإدراك، مثل فرنسا تماما، قوة الحاج أحمد باي على أنه سوف يشدّد الخناق على الفرنسيين في قسنطينة و بالتالي سوف يقطع عنهم التموين. و هذا ما دفع بالسلطات الفرنسية، و على رأسهم فالي الذي فكر في حكم قسنطينة عن طريق رؤساء محليين، خاصة فرحات بن سعيد الذي إقترحه فالي على رئيس الوزارة الفرنسية مولي (2).

و نظرا لتخوف فرنسا من ولاء هؤلاء الرؤساء المحليين لها، إقترح فالي المارشال فالي على رئيس الوزارة مرحلة أخرى أن يبادر إلى تعيين أحد أفراد الأسرة الحاكمة في تونس (3).

1- AZAN, paul, L'EMIR ABDELKADER, DU FANATISME MUSULMAN AU PATRIOTISME FRANCAIS, PARIS 1929, P.106 .

2- إسماعيل العربي، العلاقات...، ص. 170 .

3- A.M.G, LETTRE DE VALEE A M° MOULE, DATEE LE 8 NOVEMBRE 1837 .

غير أن محاولات فالي لم تنحصر على تعيين قوة عربية محلية، مثل فرحات بن سعيد، أو إستيراد قوة مجاورة مثل عائلة تونس الحاكمة، بل ذهبت لدى رئيس الوزارة الفرنسية إلى أبعد من ذلك، حيث طلب منه فالي السعي للحصول على موافقة السلطان العثماني على تعيين أحد الأتراك حاكما لإقليم قسنطينة، في فترة قويت فيها الدعاية التركية ضد الإحتلال الفرنسي (1) .

و مع ذلك، فإن هذه القضايا زادت من عزم الحاج أحمد باي على إسترجاع ما ضاع منه بالقوّة، في الوقت الذي رفض فيه وزير الحربية الفرنسي أن يدخل في أية ترتيبات ضد البطل الحاج أحمد باي أو معه (2) .

و في هذا الصدد قال فالي بأن الفرنسيين لا يريدون أن تخلو عن الأرض التي إحتلّوها، و بعد أن أصبحوا - حسب رأيه - سادة الموقف، فالآن يريدون القضاء على نفوذ الحاج أحمد باي داخل و خارج قسنطينة، قضاء تاما، و أن الفرنسيين لا يريدون الدخول في ترتيبات مع هذا البطل - بأي حال من الأحوال (3) .

---

1 - إسماعيل العربي، العلاقات الدبلوماسية، المرجع السابق، ص: 171 .

2 - نفسه .

3 - YVER, George, CORRESPONDANCES DU MARECHAL VALEE 1-81 .

و في هذه الأجواء تلقى فالي الأمر من حكومته باريس في تاريخ 10 ديسمبر 1837، بأن يحافظ على قسنطينة كجزء من الأراضي الفرنسية، و بالتالي يجب فرض سلطة فرنسا على المنطقة بالقوّة (1).

لم يختف الحاج أحمد باي عن ساحة المقاومة، و بالتالي لم يهدأ بال سكان قسنطينة الذين لم يستسلموا طواعية، إنما كانوا على اتصال دائم بحاكمهم الأسبق الذي كان يحثهم على خلق الفوضى ضد الفرنسيين داخل المدينة الذين بادروا إلى السلب و النهب و التخريب، حيث أثبتت صلة سكان قسنطينة بالحاج أحمد باي الأحداث الداخلية التي وصلت أذنه فزرعت في نفسه الأمل من جديد، لأن أعمال المواطنين هي خلق العراقيل في وجه التواجد الفرنسي (2).

و في غمرة الأحداث التي كانت تعيشها قسنطينة داخليا، تحالفت بعض الشخصيات الجزائرية و على رأسها فرحات بن سعيد مع العدو الفرنسي ضد هذا و ضد الحاج أحمد باي، حيث تتوج هذا التحالف بإتفاق

---

1 — YVER, g, CORRESPONDANCES...OP.CIT .

2 — M.DE MONTROND, CONQUETE DE L'ALGERIE DE 1830-1847, TOME 1 , IMPRIMERIE DE L.MARC-AUREL, PARIS 1847, PP. 352-353 .

ثنائي للاجهاز مرة واحدة و أخيرة على الحاج أحمد باي عدوهم الموحد (1) . و هذا ما يوحي أن فرنسا كانت تخشى وجود الحاج أحمد باي، ليس على أساس صلته الوثيقة بسكان قسنطينة و حثهم على الإنتفاضات فقط، إنما في كل ربوع الاقليم الشرقي، إذ أنه حاول تمويه الحملات الفرنسية التي كلفت بمراقبة تحركاته، و قد جاء في إحدى التقارير الفرنسية ما يلي ((لقد حاول الحاج أحمد باي الذي نجهل بالتحديد موقع تواجده، تأخير بعض الحملات التي قادها الجنرال قصد العودة إلى الحكم لكنه تقهقر...)) (2) .

هذا الخوف الذي دب في كيان الحامية الفرنسية المتمركزة داخل قسنطينة، دفع بقادة فرنسا بالجزائر الاعتماد على سياسة الإحتلال المرحلي للاقليم الشرقي، و هذا ما دفع بعض القبائل العربية المجاورة لقسنطينة، لتفكر في أن فرنسا سوف تفقد سيطرتها على المناطق التي إحتلتها أمام موجة السخط و الغضب المحلي . و هذا ما جعل

---

1 – أنظر الرسالة المؤرخة في 29 أكتوبر و التي تتضمن A.O.M. التعليمات المقدمة من طرف القائد العام فالي إلى قائد ساحة قسنطينة

2 – M.DE MONTROND, CONQUETE DE L'ALGERIE...,P.353 .

وجهاء قسنطينة و شخصياتها الساخطة على سياسة فرنسا تجاه السكان، أن تستغل الوضع بصورة عامة و تقوم بنشر الاعتقاد القائل بفقدان سيطرة فرنسا على المناطق بين السكان، مما دفعهم إلى خلق الفوضى و بؤر التوتّر ضد السلطات الفرنسية، و العمل على الاستمرارية في الاتصالات و تكثيفها مع زعيم المقاومة الحاج أحمد باي (1) .

هذه الرسالة تعكس بصدق مدى الثقة المتبادلة بين سكان قسنطينة و وجهائها من جهة، و الحاج أحمد باي من جهة أخرى. و لقد استمرت الاضطرابات الداخلية بعاصمة الإقليم الشرقي، بحمية من الحاج أحمد باي و بتوجيه من وجهاء و علماء هذه المدينة، لأنهم أدركوا مدى حقد الصليبيين للإسلام و المسلمين، و كرههم لبطل المقاومة الجزائرية الحاج أحمد باي، حيث رسّخ الفرنسيون بأعمالهم الوحشية هذا الأمر، إذ جهّز الجنرال نقريي حملة في 27 أفريل عام 1838، ضد سكان و وجهاء قسنطينة قصد إخماد

---

1 — M.DE MONTROND, CONQUETE DE L'ALGERIE...,P. 394 .

أنظر في الملحق الرسالة التي بعثها الكولونيل برنيل قائد ساحة قسنطينة إلى الماريشال فالي بتاريخ 4 نوفمبر 1837 .

الاضطرابات التي دامت مدة طويلة و استمرت إلى غاية 31 ماي 1838 (1).

إنه الدليل القاطع على ولاء أهالي قسنطينة لحاكمهم الأسبق، و بالتالي فإن فرض سلطة فرنسا المرفوضة، بحد السيف، هي إحدى الميزات التي طبعت سياستها الاحتلالية في الجزائر. غير أن أقلام المؤرخين الفرنسيين كعادتهم شوهوا الحقائق التاريخية، و جعلوا من الاحتلال عبارة عن رحلات إستكشافية، في إطار قطع المسافات بين مناطق الإقليم الشرقي، حيث أكدت إحدى التقارير العسكرية أن هذه الرحلات الجديدة ساعدت على قطع المسافات و المناطق الجنوبية للإقليم، و فرض سلطة فرنسا، بالقضاء على الاضطرابات و الأحداث التي إفتعلها أحمد باي، و المشاكل الموجودة بين القبائل دون إطلاق رصاصة واحدة (2).

و إن كانت الاضطرابات ميزت الأوضاع الداخلية للإقليم، فإنها لم تستمر طويلا حيث إنتهت على يد السفاح نقريي، و هذا ما أثر على نفس أحمد باي الذي لم يبق كتوف الأيدي، إنما بادر الى رد الفعل بعنفه، و تمثل ذلك في تحريض و تعبئة القبائل .

---

1 – L.DE MONTROND, CONQUETE DE L'ALG RIE, P. 394 .

2 – IBID .

العنصر الثاني

سياسة فرنسا الاستراتيجية بالمنطقة

لقد إعتمدت فرنسا سياسة محكمة بالمنطقة، قصد إستدراج الحاج أحمد باي إليها و ذلك عن طريق الإتصالات التي كانت قائمة في شكل مراسلات كتابية، إنحصرت على مستوى القمة بين المارشال فالي القائد العام للقوات الفرنسية و الحاج أحمد باي قائد المقاومة، و هي خطة تدخل في إطار إستراتيجية معينة تهدف إلى قطع رأس المقاومة بطرق سلمية لا تكلّف فرنسا جهودا كبيرة. و أكبر دليل على ذلك الرسائل العامة بين الطرفان منها رسالة موجودة تحت رقم 112 متبوعة بالرّد و ذلك بأرشيف ما وراء البحار، و رسالة أخرى تحت رقم 128 متبوعة هي الأخرى بالرّد. و قد تناولنا إستمالة الحاج أحمد باي إلى التسلم، و رغبته في تطبيع العلاقات بينه و بين فرنسا (1).

غير أن هذا الأمر يجعلنا نشكّ في مدى صحة هاتين الرسالتين، لأنه من غير المنطقي أن يعتبر الحاج أحمد باي، المارشال فالي سلطانا، و يعترف بسلطته، و هو الذي رفض كل ما عرض عليه من مناصب و أموال، و فضّل المقاومة المسلّحة عوض الاستسلام، و قساوة الصحراء عن دفئ القصور.

---

1 – A.O.M , 10 X 1 , 31 M I N° 16 .

و الظاهر أن سياسة المراحل أو ما عرف عنها بالإحتلال المحدود النطاق المتدرج الذي يتم بطرق سلمية تتمثل في إستمالة قادة المقاومة عن طريق المفاوضات.

و إن كان المارشال فالي يطلب السلم لتحقيق أطماع فرنسا، و يريد بذلك صداقة الحاج أحمد باي، فمتى كان العدو صديقا ؟ خاصة و أن الحاج أحمد باي كان على دراية كبيرة بخبث سياسة الفرنسيين، و يعلم أنهم لن ينسوا ما ألحقه بهم من عار و مرمد وجنودهم في التراب عام 1836، و قتل خيرة أبنائهم عام 1837.

إن تواجد الحاج أحمد باي بضواحي قسنطينة أقلق مضاجع الفرنسيين، فهو بالنسبة لهم الحربة التي لا بدّ من كسرها، فبادروا إلى المناورات السياسية قصد زعزعة عزيمته من جهة بعد أن إستبعدوا فكرة إستدراجه إليهم و ذلك عن طريق تحريض القبائل بطريقة غير مباشرة ضد تواجده، مستعملة أساليب الدعاية الجهنمية على أساس أن الحاج أحمد باي أصبح عميلا لفرنسا. هذه العبارة الاستفزازية تتجلّى بوضوح في عبارات المارشال فالي من خلال الرسائل التي وجهها في هذه الفترة إلى الحاج أحمد باي، و منها

أنه صديق حميم له و يريد أن يبني صداقة قائمة على السلم و أنه سوف يرى قمة الوفاء، و سوف يكون في خدمته مع فرنسا بأكملها (1).

و لكن المحاولات الفرنسية التي تدخل ضمن إستراتيجية معيّنة بالمنطقة هدفها ليس فقط تكسير شوكة مقاومة الحاج أحمد باي، إنما هزّ شخصيته من الداخل على أساس أنه بقي وحيدا و لا مخرج له إلّا عن طريق إستسلامه للسلطات الفرنسية. غير أن الثبات القوي و الروح الوطنية الصلبة لدى الحاج أحمد باي عرّقلت مفعول هذه السياسة، التي لم تنحصر كما أشرنا في تشويه سمعة الحاج أحمد باي لدى بعض القبائل، إنما دفع بعض الشخصيات العميلة لفرنسا و دعمها بقوّة عسكرية لتقف ضدّه، و على رأسها فرحات بن سعيد العميل لفرنسا و الذي كان يلهث وراء منصب شيخ العرب الذي حرم منه أيام حكم الحاج أحمد باي (2). و قد أدّت مواجهته للحاج أحمد باي إلى وقوع عدّة معارك

1- A.O.M., 10 X 1, P.S DU MARECHAL VALEE GOUVERNEUR GENERAL D' ALGERIE A EL-HADJ AHMED BEY.

2- FERAUD, charles, LE SAHARA CONSTANTINOIS, OP.CIT, PP. 292-293

ضارية، كان هدف فرنسا من ورائها إضعاف قوّة الحاج أحمد باي تدريجيا، و من أهمها معركة واحة "صحيرا" التي فقد فيها فرحات بن سعيد قرابة ستمائة (600) رجل. أما من جانب الحاج أحمد باي فكانت الخسائر مائة (100) رجل (1).

و بعد أن ذاق فرحات بن سعيد عميل الفرنسيين طعم الهزيمة، حاول الإتصال بالفرنسيين قصد مساعدته ضدّ عدوّهم اللدود، و الخطر الكبير في الجنوب الشرقي بالنسبة لهم (2). لكن هؤلاء أدركوا أن الحاج أحمد باي ما زال على قدرته القتالية و أنه قوة لا يستهان بها، لذا تماطلوا في تحقيق آمال فرحات بن سعيد فخيّبوا ظنّه، لأنهم في تلك الآونة لم يستطيعوا حتى إخماد نار المقاومة في الشمال (3). فكيف لهم أن يخمدوا تلك التي في الجنوب ؟.

و أمام هذه التطورات، و في ظلّ مرحلة صعبة، إنتقل الحاج أحمد باي من بسكرة إلى وادي سوف، و من

---

1 ـ بالنسبة لمعركة واحة صحيرا، فقد وقعت بالزاب الغربي و تعتبر من أهم المعارك نظرا لضراوتها بين الطرفان المتقاتلان. أنظر في ذلك/ FERAUT, ch, LE SAHARA..., P 292-293 .

2 ـ A.DE MONTROND, CONQUETE DE L'ALGERIE , P. 372 .

3 ـ FERAUT, OP.CIT , P. 293 .

هنا بادر إلى مراسلة السلطان العثماني بشأن الوعود السابقة و المتمثّلة في تقديم المساعدة له، و التي تأخرت في الوصول إليه، لأنّه كان بأمسّ الحاجة إليها، و بالتالي كانت الحدود الشرقية التونسية هي المخرج الوحيد لأتباعه قصد التزوّد بالمؤونة، فكاتب في هذا الشأن باي تونس و طلب منه السماح لهم بالدخول إلى التراب التونسي نظرا لتعرض ممتلكات القبائل الموالية للحاج أحمد باي لعمليات التخريب و السلب المتوالية من طرف العدوّ الفرنسي. غير أن تصرّفات بعضهم أثارت نوعا من الاستياء لدى حاكم تونس، و المتمثّلة في مهاجمة زاوية عبد الكريم أين تخزن الحبوب، مما جعل الحاج أحمد باي يطلب الاعتذار، و يدفع تعويضات التخريب من ماله الخاص، و ذلك بعد أن أقنع حاكم تونس بالأوضاع التي آلوا إليها من جراء سياسة فرنسا الخانقة (1).

و بعد أن فشلت فرنسا في اعتمادها على

---

1 - يحيى، بوعزيز، (معارك الحاج أحمد باي...)، مجلة الثقافة، العدد 90، نوفمبر - ديسمبر 1985، ص129.

فرحات بن سعيد ، بدأت تبحث لها عن شخصية تكون أقرب للحاج أحمد باي تستطيع بواسطتها طعنه في الخلف دون أن يتوقع ذلك. و قد نجحت في مساعيها باستدراجها خاله ، شيخ العرب بن قانة الذي كان في وقت قريب مستشاره و ساعده الأيمن و عونه وقت الشدة. و لكن فرنسا أفلحت في تقربه لها و ذلك في إطار سياسة التضييق التي حاولت ممارستها ضده، و هنا ما زاد من عزيمة الحاج أحمد باي على المقاومة، و بالتالي لم يعر له أدنى إهتمام خاصة و أنه كان السبب الرئيسي في كل المصائب التي لحقت بهذا الزعيم المقدام و بقوته (1) .

و قد تجلى ذلك التقرب في تعيين الفرنسيين لابن قانة شيخ العرب على المناطق الجنوبية الشرقية، و أصدرت في ذلك قرارا حكوميا بتاريخ 8 جانفي 1839 (2). لكن الحاج أحمد باي كان على علم بهذه السياسة التي إنتهجتها ضده بالمنطقة، و التي مست أقرب المقربين له و هم أخواله. و لم يكن يخفى عليه

---

1 - المذكرات ، ص. 84 .

2 - يحي ، بوعزيز ، (معارك الحاج أحمد باي..) ، ص. 129 .

ضعف خاله، و الطابع الغادر و الخيانة التي وصمته، لأنه كان يطمع في الجاه و المناصب، و قد أجبرته هذه الظروف أن يمكث عند قبائل الحراكتة قرابة شهرين[1].

و إثر حملة تام بها الجنرال نقريي على المنطقة حاول إستدراج الحاج أحمد باي مرّة أخرى، حيث عرض عليه الإستسلام، لكن هذا البطل رفض ذلك العرض الدنيئ، و فضل المقاومة، لأنه كان ينتظر في تلك الفترة بالذات ردّ الباب العالي، هذا الأخير كان يعاني من أزمات داخلية مثل قضية محمد علي الكبير الذي حاول الإنفصال عنها و أزمة اليونان كذلك. لذا لم يعط أدنى إهتمام بقضية الحاج أحمد باي، و هذا ما دفعه إلى الإنسحاب مع فرسانه إلى وادي ريغ متحاشيا الإصطدام بالفرنسيين الذين أصبحوا يفوقونه عتادا و عدّة، فهذه المنطقة التي إختارها كمأمن له حتى لا تباغته قوات العدو[2].

و بحلول عام 1839 زادت ثائرة العدو الفرنسي الذي لم يستطع بسياسته تغيير موقف الحاج أحمد باي المتصلّب، فجهّز العدو حملة عسكرية قصد ملاحقته،

---

1 - المذكرات، ص. 87.

2 - يحي، بوعزيز، (معرك الحاج أحمد باي)، ص. 129.

و لكن بدون جدوى لأنه كان لها بالمرصاد، و بالتالي حاول نصب المكائد له، لأن المحاولات العسكرية للعدو الفرنسي باءت بالفشل في أغلب الأحيان. و من تلك المكائد المحاولة الفاشلة التي كانت تستهدف إعتقاله على يد شخصية ولد يونس، و كذلك عن طريق أولاد سيدي يحي و بعض من الزرالة من رعايا تونس (1).

و قد شرح الحاج أحمد باي في مذكراته خطط الفرنسيين هاته التي كانت تهدف إلى إلقاء القبض عليه، مما يبرز جليا موقف الفرنسيين العدائي له. و قد تمادوا إلى إغراء المقربين له بالمال و قد تفطن الحاج أحمد باي لخداع ولد يونس و علم بما دبّره ضده قصد الإيقاع به في قبضة الفرنسيين، لذا بادر إلى إعتقاله مع إبنيه، و أمر بقطع رقبتهما جزاء لما إرتكبوه من خيانة (2).

و إتسعت هذه السياسة القذرة على نطاق كبير، فبوازع من العدو الفرنسي إستطاع إستدراج أحد أتباع الحاج أحمد باي إلى صفوفه و هو الشيخ أحمد بن الزين و الذي كان من أبرز المقربين له، حيث إستغل

---

1 – يحي، بوعزيز، (معارك الحاج أحمد باي ...)، ص. 129 .

2 – المذكرات، ص. 88 .

هذا الأخير فرصة وجود الشيخ مراد، شيخ الدرادة من تونس في ضيافته، و الذي جاء لمقابلة الحاج أحمد باي في منطقة وادي ريح، فسرق منه خاتمه، و بعث به الى باي تونس مرفوقا برسالة يوضح فيها زيارة الشيخ مراد على أنها كانت من أجل التآمر مع الحاج أحمد باي ضده. و ما أن علم الحاج أحمد باي بهذه الفعلة الشنعاء و التي كانت وراءها فرنسا لا محالة، بادر إلى التحقيق في القضية، حيث وصل إلى النتيجة و هي خيانة إبن الزين، فأمر بإعدامه فورا (1).

و هكذا تطول قائمة الخونة الذين إستدرجتهم فرنسا، قصد القضاء على مقاومة الحاج أحمد باي، ضمن إستراتيجية لا يمكن أن يتصورها الإنسان العادي.

لقد كان الحاج أحمد باي حازما في تسيير أمور حكومته المستقلة، حتى لا يترك مجالا للسلطات الفرنسية أن تزعزعها من الداخل، لذا كانت قساوته شديدة ضد من يبيع نفسه للعدو الفرنسي أو يحاول تسهيل مهمته، لأنه يعد ا

---

1 - المذكرات، ص. 89 - 90.

العميل يكون قد باع شرفه و دينه و وطنه و هذه الأمور يمقتها الزعيم البطل الحاج أحمد باي، و هذا ما حلّ بالشخصيات التي ذكرناها سابقا، إلى جانب بعض القبائل مثل الزرالمة و أولاد يونس، عندما حاولوا خيانته و الإنتقام منه، فأدرك مشاريعهم و ردّ لهم الصاع صاعين (1).

---

1 _ المذكرات، ص. 90 .

العنصر الثالث

علاقة الحاج أحمد باي بالأمير عبد القادر

لقد كانت هذه العلاقة تتأرجح ما بين العداء و التقارب، من فترة لأخرى بين الزعيمين، و لكن الأمر الذي أثر بقدر كبير على نفسية الحاج أحمد باي، تلك المأساة الحقيقية المتمثلة في التقارب الذي حصل بين الأمير عبد القادر و العدو الفرنسي، إبتداء من معاهدة دي ميشال التي أبرمت بين الطرفين في 26 فبراير 1834(1). ما جعل الحاج أحمد باي يشمئز من هذا التقارب الذي لا يخدم المصلحة الوطنية. و ما زاد في شرخ العلاقات بين الحاج أحمد باي و الأمير عبد القادر هي معاهدة التافنا التي أبرمها هذا الأخير مع فرنسا في 30 ماي 1837(2) والتي إعتبرها الحاج أحمد باي خيانة كبرى، ليس بالنسبة لمقاومة الشرق الجزائري بل بالنسبة للجزائر كلها، لأنها أتاحت الفرصة للفرنسيين من جمع قواتهم للقضاء على المقاومة الجزائرية مرحليا. لذا نظر إليها الحاج أحمد باي على أنها عمل عدائي ضده بالدرجة الأولى، و هذا ما توضحه الرسالة التي بعثها إلى كمال باي أحد أعيان الدولة

---

1 ـ للتعرف على مضمون المعاهدة أنظر في ذلك/

DESMICHELS (L.A), ORAN SOUS LE COMMANDEMENT DU GENERAL DESMICHELS, ANSIL, 1835, P. 112 .

2 ـ كذلك بالنسبة لمضمون معاهدة التافنة أنظر بالتفصيل /

CHURCHIL (CH.H), LA VIE D'ABDELKADER, TRADUCTION HABART, EDITION SNED, ALGER 1971, P. 130-131 .

العثمانية، و ذلك في شهر جوان من عام 1837، و التي جاء فيها أن العدو الفرنسي قد أبرم السلام مع الأمير عبد القادر، و قد قيّد بشروط قاسية - لا تخدم المصلحة العامة - و بالتالي فإن الأمير عبد القادر متفق تماما مع العدو للقضاء على كل أثر لسلطة الحاج أحمد باي في الإقليم الشرقي (1).

و في رسالة أخرى وجهها إلى الباب العالي يشرح فيها بالتحديد خيانة الأمير عبد القادر، و ما قام به من تآمر واضح مع العدو الفرنسي ضده بقوله أن الأمير عبد القادر إنضم إلى الفرنسيين آملا في الحصول على قسنطينة و مقاطعتها مقابل أن يأتيهم بالحاج أحمد باي حيا، و قد ردّ الفرنسيون على طلبه هذا بالقبول (2).

و هذا التقارب في نظر الحاج أحمد باي وجه خياني بالنسبة للأمير عبد القادر، لذا بادر هذا الأخير إلى تبرير مواقفه، خاصة تقاربه الدبلوماسي من العدو الفرنسي عن طريق تلك المعاهدات، و يتجلى ذلك في العديد من رسائله الموجهة إلى السلطان العثماني، حيث جاء في إحداها، على أنه لم يكن متفقا مع الفرنسيين و لم يقع ذلك البتة، و لكنه إستعمل الحيلة و المراوغة مع العدو،

---

1 - TEMIMI, abdeldjalil, LE BEYLIK DE CONSTANTINE, DOCUMENT N°10, P255.

2 - I.B.I.D

و هذه الأساليب لا ينفعها الاسلام (1).

و مهما تكن دواعي معاهدتي دي ميشال و التافنة في إعطاء فرصة للأمير عبد القادر لبناء دولة ذات كيان سياسي و عسكري ، فإنه أغفل من ناحية أخرى أن المعدنة لهما جوانب إيجابية كذلك بالنسبة للعدو الفرنسي ، و هذا ما مكّنه على ضوئها أن يجهّز حملتين عسكريتين ضد الحاج أحمد باي ، و أمام مرأى و مسمع من الأمير عبد القادر الذي لم يحرك ساكنا متناسيا أن سكان بايلك الشرق جزائريون مثله ، و في فترة حرجة كانوا بأمس الحاجة إلى معونته العسكرية ضد عدو الجزائر قاطبة . غير أن التفسير الوحيد لذلك السلوك هو إلحاق الهزيمة بالحاج أحمد باي ، و إخضاع بايلك الشرق كلّه عن طريق فسح المجال للعدو الفرنسي لكي يوجه كل قوته لضرب هذا الزعيم المقاوم .

و بالتالي ، فانه ليس من مصلحة فرنسا أن تقوم علاقة بين الأمير عبد القادر في الغرب و الحاج أحمد باي في الشرق ، لأنه من مصلحتها أن تتخذ كلا الطرفان

---

1 ــ عبد الجليل ، التميمي ، بحوث و وثائق في التاريخ المغربي من 1816 1871 ، تونس 1971 ، ص. 202 .

حاجزا في وجه بعضهما البعض. فبعد أن جرت الأمير إلى معاهدة التافنا ، بادرت إلى عقد معاهدة على غرارها مع الحاج أحمد باي ، وكان ذلك منذ منتصف جويلية عام 1837 ، حين بادر الحاكم العام دامرمون إلى الإتصال بالحاج أحمد باي عن طريق اليهودي بوشناق . وقد أبلغ هذا الحاكم بدوره وزير الخارجية الفرنسي بمحتوى المعاهدة التي وافقت السلطات الفرنسية التوقيع عليها[1] ، لأن حلفا بين الأمير و الحاج أحمد باي سوف يعكر عنهما الأجواء، و يؤدي بهما إلى ما يحمد عقباه .

و في غمرة هذه الأحداث، كانت وطنية الحاج أحمد باي و حبه لشعبه فوق كل إعتبار ، و الظاهر أنه كان ينتظر من الأمير عبد القادر أية مبادرة للتقارب لجمع الشمل و دحر العدو الفرنسي على أسوار مدينة قسنطينة ، و هذا ما دفعه إلى قطع دابر المفاوضات مع الفرنسيين ، خاصة بعد إتصاله بالأمير عبد القادر . فهذا التقارب الذي شهدته اللحظات الأخيرة من عمر عاصمة الشرق الجزائري قضى على آمال الفرنسيين[2] .

---

1 ــ إسماعيل ، العربي ، العلاقات الدبلوماسية ، ص 142 .

2 ــ نفسه .

و مما أكد هذا التقارب بين الزعيمين الرسالة التي بعثها الحاكم العام دامرمون إلى وزير الحربية و المؤرخة في 19 أوت 1837، و التي مفادها أن تقريرا مفصلا قدّم إلى وزير خارجية فرنسا يبيّن مدى ما وصلت إليه المفاوضات مع الحاج أحمد باي، و إنقطاعها المفاجئ بين الطرفين الذي يعود إلى الدور الذي لعبه الأمير عبد القادر بإرسال رسائل إلى بايلك الشرق كانت وراء تغيير رأي الحاج أحمد باي رأسا على عقب (1). لكن علاقة التقارب هاته لم تعمر طويلا و لم تأت بثمارها، حيث لم يبادر الأمير عبد القادر إلى مساعدة الحاج أحمد باي عسكريا و تركه وحيدا أمام جحافل العدو الفرنسي التي جاءت من وهران و الجزائر و فرنسا، و بالتالي قد سهّل بطريقة غير مباشرة إحتلال قسنطينة من طرف الفرنسيين.

و بعد فوات الأوان حاول الأمير عبد القادر أن يعطي لموقفه تجاه المصير الذي آل إليه الحاج أحمد باي و بايلك الشرق عموما، مبرّرا آخر، و هو إبان تطبيق معاهدة التافنة بقوله أنه ردّ على العدو الفرنسي الكافر أن المسلمين كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضا، و أنه لم يعمل البتة

---

1 _ إسماعيل العربي، العلاقات الدبلوماسية، ص 243.

قسنطينة، و لكن العدو الفرنسي هو الذي عجّل بقطع المبادرات السلمية و أعلن بدوره الحرب ضدّه [1].

وإذا كان الحال على هذا الشكل، فكان على الأمير عبد القادر أن يتدارك الموقف و يبادر إلى تقديم يد المساعدة للحاج أحمد باي، خاصة و أنه ضيّع الفرصة الأولى عندما انهزم الفرنسيون شرّ هزيمة على أسوار مدينة قسنطينة عام 1836، بل بقي يترقّب سير الأحداث و من سيكون المنتصر فكان سقوط عاصمة بايلك الشرق في معركة ثانية عام 1837 على يد العدو الفرنسي، و هنا فقط تحرك الأمير عبد القادر للمطالبة بقسنطينة من فرنسا التي رفضت طلبه، باعتبار أن المدينة أخذت من الحاج أحمد باي، و ليس منه، و ذلك بعد أن فقدت خيرة أبنائها، لذا لا يحق له المطالبة بها. و هذا ما جاء على لسانه أن العدو الفرنسي الكافر احتج بأخذ قسنطينة من غيره و قد كلّفه ذلك الكثير من المال و الرجال، و بالتالي فإنه يرفض تسليمه قسنطينة رغم حجة الأمير عبد القادر أنه أولى من فرنسا في تولية أمور المسلمين في قسنطينة و هم أبناء وطنه و هو منهم [2].

و الحقيقة أن مواقف الأمير عبد القادر تجاه الحاج

1- توفيق، المدني، أبطال المقاومة الجزائرية، 102 .

2 - نفسه ، ص. 113 .

أحمد باي و أحداث قسنطينة هي التي وسعت الهوة بينهما، و هذا ما كانت تصبو إليه السلطات الفرنسية، و من ناحية أخرى أضحت سياسة الأمير على نحو من الخيانة بالنسبة للحاج أحمد باي، خاصة طمع الأمير في بايلك الشرق حيث حاول توسيع سلطانه على حساب سلطة الحاج أحمد باي، و قد أثبتت حملة الأمير على الشرق نيته في السيطرة الفعلية على البايلك، هذه الحملة التي إنطلقت في 8 نوفمبر مباشرة من تاقدمت (1).

و تتجلى حقيقة سوء نية الأمير عبد القادر تجاه الحاج أحمد باي في تحريضه لبعض القبائل ضد هذا الأخير، الذي شرح الموقف في رسالة بعثها إلى السلطان العثماني يوضح فيها دور الأمير عبد القادر في تأليب بعض قبائل الشرق ضده، عوض أن يحثها على الجهاد ضد العدو الفرنسي المحتل (2).

و هذا لا يعني البتة أن الحاج أحمد باي سوف يترك المجال لقوات الأمير عبد القادر أن تعكر الأجواء، خاصة و أن زعيمها تحالف بطريقة أو بأخرى مع عدو الشعب

1- A.N.G., H 235, EXPEDITION D'EL-EMIR ABDELKADER SUR L'EST.

2- TEMIMI, LE BEYLIK DE CONSTANTINE, P. 255.

و الوطن و الدين. لهذا بادر إلى فضح سياسة الأمير عبد القادر، حيث أكد في مذكراته أن هذا الأخير كتب إلى كل القبائل العربية يخبرهم بأنه أبرم الصلح مع العدو الفرنسي الذي إعترف بدوره بسيادة الأمير على كامل أنحاء البلاد، و بالتالي فهو يطالب هذه القبائل أن تتخلص من سلطة الحاج أحمد باي و أن تدخل تحت طاعته، و إذا رفضت ذلك فإنه سوف يستنجد بحلفائه الفرنسيين و يثيرهم عليها، و هذا ما يجعلها لقمة سهلة المنال أمام قواته من جهة و الفرنسيين من جهة أخرى (1).

و الظاهر أن رسائل الأمير عبد القادر إلى قبائل الشرق لم يكن لها تأثير كبير حسب ظنه، و لم يستجب له إلا فرحات بن سعيد الذي كان يعمل على إستغلال جميع الفرص التي من شأنها أن تخدم مشاريعه ضد شيخ العرب بوعزيز بن قانة خال الحاج أحمد باي(2).

هذا التناحر العدواني بين الزعيمين، و الذي طبع العلاقة بينهما في غالب الفترات، لم يكن ليخدم المصلحة العامة، بل طغت عليه حب الزعامة الذي كان لدى الأمير

---

1 _ المذكرات، ص. 80.

2 _ نفسه.

عبد القادر أكثر من الحاج أحمد باي، و بالتالي فإذا كان البعض من المؤرخين لتاريخ الجزائر الحديث، يرون ضرورة توفير الامكانية لتوحيد جهود الزعيمين و جمع الصفوف ضد العدو الفرنسي، لكن مع نوع من التحيّز للأمير عبد القا د ر دون إنصاف الحاج أحمد باي، فإنهم يكونون بذلك قد أهملوا الجانب الوطني لهذا البطل .

إن الاجتماع العام الذي دعى إلى عقده الأمير عبد القادر بعد عودته من حصاره لعين ماضي، و الذي تم في منطقة بوخرشفة بضواحي منطقة مليانة، و حضره جمع غفير من شيوخ القبائل و القادة البارزين، فقد إنحصر فقط على بعض المناطق الغربية الخاضعة لنفوذ الأمير عبد القادر مثل تلمسان و مليانة و معسكر و مناطق أخرى مثل تاقدامت و المدية (1).

لنقف عند هذا الحدث التاريخي و نطرح السؤال التالي-لماذا تغيب الحاج أحمد باي عن إجتماع هام كهذا، يخص أمر الأمة الجزائرية، و بإمكانه أن يجمع شملها في صف واحد ؟

الظاهر أن حتمية الظروف بالنسبة للحاج أحمد باي كانت وراء عدم مشاركته، و بالتالي يمكن القول أن الأمير

---

1 – ROCHES, léon, TRENTE DEUX ANS A TRAVERS L'ISLAM (1832-1864), PARIS , 1884, TOME 1, P. 370 .

عبد القادر لم يفكر في توجيه الدعوة للحاج أحمد باي للمشاركة في الاجتماع، ربما خوفا من انتزاع الزعامة منه، علما أن الحاج أحمد باي كانت له علاقة وطيدة بسكان منطقة مليانة التي كان قد بعثه إليها حاكم الجزائر الداي حسين، كما أشرنا سابقا، و مكث بها مدة طويلة .

كما أن مشاركة الحاج أحمد باي في اجتماع كهذا من شأنه أن يعكر الأجواء و هناك احتمال وارد، و هو أن هذه المشاركة سوف تزعزع مكانة الأمير، و بالتالي يظهر الحاج أحمد باي كمنافس عنيد له. فمن هذا المنطلق يمكن القول أن الثقة لم تكن متوفرة من طرف الأمير عبد القادر صاحب المبادرة، و هذا ما جعلها منعدمة تماما، و بالتالي لم يعط هذا الاجتماع صفة الشمولية، و هذا ما يجعلنا نقرّ بحقيقة الأمر و هي أن الأمير عبد القادر لو أوفد مبعوثا إلى الحاج أحمد باي يطلب منه الحضور كقائد و زعيم له وزنه على الساحة الجزائرية آنذاك، خاصة ما عرف عنه من وطنية، أو حتى استشارته، فإن

هذا الأخير سوف يظهر موقفه إما بتلبية الدعوة و حضور الإجتماع، و إما بمقاطعته .

هذه الظروف القسرية هي التي عرقلت مسيرة الحاج أحمد باي في مقاومته ضد الإحتلال الفرنسي ، إبتداءا من خيانة أقرب الناس إليه الطامعين في المال و المناصب ألا و هو خاله بن قانة الذي رمى بنفسه في أحضان فرنسا إلى غاية الأمير عبد القادر الذي ساهم إلى حد كبير ، و بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، في تسهيل عملية الإحتلال الفرنسي لبايلك الشرق .

++

العنصر الرابع

جهود الحاج أحمد باي في تعبئة قبائل الاقليم الشرقي .

إن المناورات العسكرية الفرنسية لم تزعزع مقاومة الحاج أحمد باي مهما بلغ حجمها، و مهما تعددت أساليب إنتهاجها، حيث ما فتئ يحث القبائل علنا عن طريق إرسال وفوده إليهم على الصمود و المقاومة .

قبائل بني وجانة

لقد كانت من القبائل التي أشهرت السلاح في وجه العدو الفرنسي . و قد وصلتها هي الأخرى رسالة الحاج أحمد باي، والتي يحثهم فيها على الجهاد ضد الكفار الصليبيين، و يحذرهم فيها منه، و بالتالي لا بد عليهم من إتخاذ التدابير الضرورية و اللازمة لمواجهة قوة العدو بما أوتوا من إيمان، و أن يبقوا على إتصال به إذا ما كانوا بحاجة ماسة إليه، فهو خادمهم و رهن إشارتهم في أية لحظة (1).

و بهذا الثبات القوي و الروح الوطنية الصلبة و شدّ أزر القبائل كان الحاج أحمد باي و بقي على وطنيته و غيرته على أرضه و شعبه، ضاربا عرض الحائط كل المحاولات الفرنسية الإحتلالية، و بقي ثابتا على إيمانه يحرض القبائل و يساعدهم

---

1 - A.O.M., 10 X 2 LETTRES D'AHMED PACHA AUX BENI-OUDJANA N° 176 .

ليلا و نهارا، حتى لا يترك الفرصة سانحة للاحتلال الفرنسي لتقويض المجاهدين و إخضاعهم بالقوة، لذا كان سندهم وقت الشدّة .

قبائل أولاد داود

تكن قبائل بني وجانة الوحيدة المحظوظة بدعم الحاج أحمد باي ماديا و معنويا، فقبائل أولاد داود هي الأخرى وصلتها رسالة من زعيم المقاومة، تسلّمتها عن طريق موفده إليها . و قد تبيّن لنا من خلال مضمونها تشجيع الحاج أحمد باي لها على مقاومة العدو الفرنسي و أنه سوف يدعمها عند الحاجة. كما أنه يخبر شيوخها أنه على علم بتحرك العدو، و سوف يكون لتحركاته بالمرصاد، كما أنه أخبرهم بأن القبائل الموالية له قد بعث إليها رسائل يطلب منهم أن يسارعوا الى تعزيز قوّتهم و توحيد صفوفهم و أن يقفوا الى جانبهم الى حين حضوره (1).

و مرّة أخرى تبرز وطنية الحاج أحمد باي في شدّ أزر القبائل و رصّ صفوفهم . وما فتئ يناضل بالسلاح و القلم و يشجع القبيلة تلو الأخرى في الدفاع عن الدين و الوطن .

---

1 — A.O.M., 10 X 2, LETTRE D'AHMED PACHA AUX OULED DAOUD N° 176 .

قبائل صدراتة

لقد تسلّمت هذه القبائل هي الأخرى رسالة من الحاج أحمد باي، يعلمهم فيها أنه بعث برسائل إلى العديد من القبائل، منها الحراكتة و أولاد دايم و الخرارب، يطلب منهم أن يسارعوا إلى مساعدة إخوانهم سكان صدراتة في أقرب الآجال، و أنه على علم بكل ما يحدث في المنطقة و يتابع بكل حذر تحركات العدو الفرنسي الكافر (1).

ان الحاج أحمد باي يرى في مؤازرة القبائل لبعضها البعض قوة كبيرة تجعلهم يشعرون بأن الخطر واحد، و أن العدو مشترك، لذا لا بدّ من إستتباب السلم فيما بينها، بعد أن تعوّدت فيما مضى على النهب و السلب. لذا كانت نصيحته لهم نابعة من وعيه بالظروف القاسية التي تمرّ بها الجزائر، و أشعرهم أن العدو الفرنسي الكافر لا يفرّق في إحتلاله لأراضي الجزائر بين الشرق و الغرب و الشمال و الجنوب، و أنه يعتمد على سياسة فرّق تسد، رغم أنه يفرّق بين من هو حراكتي و من هو صدراتي و من هو نمامشي. و هكذا دواليك، و بالتالي فإن هدفه الوحيد هو قطع دابر القبائل التي تحاول عرقلة سياستها الاحتلالية .

---

1 - A.O.M,10 X 2, LETTRE D'AHMED PACHA AUX SEDRATAS .

و أمام تعبئة الحاج أحمد باي للقبائل و حثهم على الجهاد، قامت القوات الفرنسية بردّ الفعل على كل من يشتبه به. لهذا توجهت حملة عسكرية في 7 أفريل 1838، إلى نواحي قالمة لإخضاع بعض القبائل هناك، و ليس كما ادعى الفرنسيون على أنها حملات إستطلاعية. غير أن هذه الحملة تعرضت إلى هجومات غارية من طرف قبائل سطورة و ألحقت بها خسائر معتبرة (1).

أولاد عبد النور

و في هذه الفترة بالذات، و بالنسبة لعام 1838، فإن قضية التصدي لفرنسيين لم تنحصر على قبائل معينة و لا على منطقة واحدة فقط، إنما بدأت تحركات الحاج أحمد باي حتى في منطقة الجنوب الغربي لقسنطينة، إذ قامت قبائل أولاد عبد النور المتكوّنة من سبعة إلى ثمانمائة فارس تحت راية الجهاد، شن الهجومات تلو الأخرى على القوافل الفرنسية، خاصة بعد رفضها الإذعان للجنرال نقريي (2).

و بالتالي فإن الولاء للحاج أحمد باي و التفافه من طرف هذه القبائل لم يكن منحصرا فيها، بل مسّ بعض

---

1 — M.DE MONTROND, CONQUETE DE L'ALGERIE, P 394 .

2 — I . B . D .

الوجوه البارزة التي عملت تحت لواء الحاج أحمد باي، وأظهرت كفاءة كبيرة في تصديها للعدو الفرنسي، لكن الظروف القاسية دفعتها إلى الإستسلام. و مع ذلك فإنها بقيت على ولائها لزعيمها، مما أثار شكوك فرنسا و تخوفها منهم. ففي منطقة ميلة، عندما إستسلم خليفة الحاج أحمد باي، الشيخ بن الحملاوي إلى الجنرال نقريي، كان هذا الأخير يدرك تماما أن الصلة الوثيقة بين أحمد باي و بن الحملاوي لا يمكن أن تنقطع بمجرّد إستسلام هذا الأخير، لأنه في حقيقة الأمر كان مكرها على ذلك. و ما أظهره من ميول للتعامل مع فرنسا ما هو في حدّ ذاته إلا ملابساته، لذا لم تثق فيه فرنسا ثقة كاملة(1).

و نفس الحدث تكرّر مع خليفة الحاج أحمد باي الشيخ بن عيسى، الذي يعتبر ساعده الأيمن و الرجل الثاني بعده. فهو الآخر كانت فرنسا تخشاه كثيرا على الرغم من بقاءه داخل قسنطينة، حيث إتهم كذلك بتحريض سكان المدينة ضد التواجد الفرنسي، و بالتالي فإن الفرنسيين لم يخفوا قلقهم تجاه مصيرهم المجهول، وأنه من الصعب إخضاع الجزائريين لسلطة فرنسا لأن العرب

---

1 — M.DE MONTROND, CONQUETE DE L'ALGERIE , P. 388 .

حسب رأيهم يصعب إخضاعهم ، لهذا لا بدّ من قوة كبيرة جدّا لكي تتحقق سيطرتهم الفعلية، و هذا ما أكّده المارشال بيجو على لسانه، لهذا كان عليهم و من الضروري تدعيم تواجدهم بقوة تقدّر بمائة ألف رجل، تكون مستقلة عن جيش فرنسا الأم (1).

و لم يكن تصريح المارشال بيجو في شهر فبراير عام 1837 إلّا تعبيرا حيا عن سياسة فرنسا القمعية تجاه الجزائريين، و يعكس تخوّفاته الشخصية من القبائل العربية التي أصبحت تهتني أشجانه بقوله (أيها العرب لن تحرثوا الأراضي و لن تزرعوها، و لن يكون لهم حق الرعي بمواشيهم إلّا بإذن منّا نحن...) (2)

هذه التخوّفات الممزوجة بالكراهية للعنصر العربي الذي أثبت شجاعة نادرة في التصدي لكل محاولات العدو الفرنسي و التي من شأنها السطو و النهب المرفوقان بالاحتلال العسكري، تتجلى في طرح ليون بلوندال بقوله

---

1 — DESJOBERT (..), L'ALGERIE EN 1846, GUILLAUMIN, LIBRAIRIE & EDITEUR DU JOURNAL DES ECONOMISTES ET DE LA COLLECTION DES PRINCIPAUX ECONOMISTES, BORRANI, LIBRAIREE, PARIS 1846, P.12 .

2 — I.B.I.D, P. 25 .

((إن العربي هو عدو المسيحي، فهو يمقت حتى المسيحي، و بالتالي فإن العربي عدو الفرنسيين، لأن الشعور بالارتياب و عدم الرضى يظهر عند أي إنسان خاصة عند رؤيته لشخص دخيل عنه لأول مرّة (1) ..

إنه لمن طبيعة البشر أن يكره الإنسان الشخص الذي يسلب منه ممتلكاته، و يدوس عليه بأقدامه، مجرد أن يصبح لا يقوى على ردّ الخطر الخارجي، و يعتدي على حرماته و يتحدّى مشاعره، و في نهاية المطاف يملي عليه أوامره و قوانينه بعد أن كان الأمس سيدا ..

لم يأب الحاج أحمد باي بتوافد قوات العدو الفرنسي بأعداد كبيرة، و بدأ ينسق بين القبائل الموالية له في التصدي للعدو. ففي 27 جوان 1838، كان له المقام مع فرسانه بين الحنانشة قصد تنظيم الصفوف و الحث على مواصلة الجهاد. و قد مكنه مقامه هذا تعزيز قوته (2).

لقد كان الحاج أحمد باي يترقب كل تحركات العدو الفرنسي في المنطقة و في كل مرّة كان لهما بالمرصاد، لأنه كان في موقف ردّ الفعل بعد سقوط

BLONDEL(léon), NOUVEL APERCU SUR L'ALGERIE,PARIS, P.110-111 — 1

A.O.M.,10 X1,LETTRE DE BEN ZEKRI ET DE DERFLINGAT AU MARECHAL — 2
GOUVERNEUR GENERAL .

عاصمته قسنطينة، وكان الأمل يراوده من خلال تعبئته للقبائل في استردادها بأي ثمن، لذا وضع عيونا على كل المناطق التي كانت تابعة لحكمه في السابق، مما يدل على أن أي تحرك للعدو، وفي أي إتجاه، كان الحاج أحمد على علم به، وهذا ما تؤكده الرسالة التي بعثها الحاج أحمد باي إلى المارشال فالي والتي جاء فيها أن الأخبار تصله عن تنقلات الفرنسيين، ورجوع فالي من حملة قام بها إلى سكيكدة (1).

لقد أدركت القبائل الموالية للحاج أحمد باي مدى الخطر الذي أصبح يهدد كيانها ووجودها، ولا بد لها أن تواجهه بحكمة وتروي، وذلك بالإنصياع إلى أوامر شيخهم الذي أصبح الأب الروحي والذي زرع فيهم حب الوطن وكراهية الكفار الذين جاءوا لاستغلال أراضيهم ونهب خيراتهم، وأفهمهم أنهم سادة هذا البلد وسيبقون سادته.

وابتداءا من 25 ديسمبر 1837 إلى غاية 30 ماي 1838، لم يهدأ بال الحاج أحمد باي، الذي راح يهاجم

---

1 – A.G...,10 X1, LETTRE D'EL-HADJ AHMED BEY DE CONSTANTINE AU MARECHAL VALEE.

القوات الفرنسية بكل ضراوة، و يحرض القبائل ضدها •فكانت مناطق بومرزوق و زواغة و سطورة مسرحا لهجومات عديدة كان من ورائها الحاج أحمد باي، و انتقلت إلى مناطق أخرى كالقنطور و الحروش على الطريق الممتد ما بين قسنطينة و ميناء سطورة، و عندما حطّ رحاله عند قبائل الحنانشة(1) ، ليعطي بذلك نفسا جديدا لمرحلة جديدة من مقاومته للإحتلال الفرنسي •

إن طاعة القبائل لزعيم المقاومة لا تقبل النقاش و هذا عكس ما جاء في بعض الكتابات ان لم تكن أغلبيتها على أ ن القبائل كانت تكره الحاج أحمد باي، و أنها تخلت عن مؤازرته• لكن الحقيقة أمر آخر، فهذه القبائل بالنسبة له كانت كيانه و أهلها أبناؤه الحقيقيون •

قبائل التلاغمة

لقد أكدت رسائله في العديد من المرات أنه أب مثالي لسكان الاقليم الشرقي، مما أكد وجوده في جل المناطق• و في هذا الشأن إستلم وجهاء قبيلة التلاغمة رسالة من الحاج أحمد باي، والمؤرخة في 15 ماي عام 1838،

1 - CATE(E), HISTOIRE DE L'ALGERIE,T 2 , LIBRAIRIE JOURDAN, ALGER 1889, PP. 249-250 .

وكانت تحمل في طياتها تعابير صادقة عن حاكم مسؤول يحب وطنه و أهله، فجاءت لتعبر عمّا يجيش في خاطره من ودّ و محبّة لهذه القبيلة. فهم أبناؤه البررة، لأنهم حملوا لواء الجهاد، و بالتالي فإذا أرادوا دحر العدو الفرنسي و تحرير أراضيهم و نصرة دينهم الحنيف، فالساعة قد حانت لأنه جاء لنصرتهم. لقد جاء من صحراء قاحلة لهذا الواجب المقدس لا غير، فلا يطلب الشهرة و المال (1).

هكذا كان إيمان الحاج أحمد باي بالجهاد، و تلك هي مخاطبته للقبائل و شيوخها و حثهم على مواصلة المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي. و حتى بالنسبة للبعض من الذين راودهم الشك، فأرادوا الانحياز إلى فرنسا، لكن الحاج أحمد باي كان يبصّرلهم الحقيقة الغائبة عنهم لحظة اليأس حتى أصبحوا يدركون تمام الادراك أن فرنسا عدوّتهم الوحيدة و عدوة دينهم، و عليهم أن يحذروا ما تخططه فرنسا ضد وحدتهم، و في ضرب القبائل ببعضها البعض، و لا بدّ عليهم أن يناصروا إخوانهم المغلوبين على أمرهم أمام طغيان الكفار و جبروتهم.

---

1 – A.O.M , 10 X 1 LETTRE DU HADJ AHMED AUX TELEGHMA N°124 .

الشيخ صالح بن با أحمد و الشيخ بوعقال

لقد بعث الحاج أحمد باي إلى الشيخ صالح بن با أحمد رسالة مؤرخة في 18 ماي من عام 1838، تضمنت عفوه عن الأخطاء التي ارتكبها محمد الصالح بن بأحمد، حيث إعتبره إبنا له أخطأ، و كل بنو آدم خطاء. و أكد له أن خير الخطائين التوابون، و لا يوجد دين آخر إلا الإسلام دين رسول الله صلى الله و عليه و سلّم. و بيّن له كذلك أن الوقت قد حان لكي ينضم إلى إخوانه المخلصين الذين يجاهدون في سبيل الله و الوطن (1).

و على هذه الوتيرة من التسامح و ربط الجأش، بدأ عمل الحاج أحمد باي يأتي بثماره في تنظيم القبائل و لم شملها، حتى تكون من القوّة بمكان، لتصدي لجيوش العدو الفرنسي، ذلك لأنه كان بأمس الحاجة إلى كل الشيوخ و الوجهاء الذين برهنوا على مدى كراهيتهم للكفار الدخلاء، و هذا ما زاد من عزمه في التعبئة الشاملة حيث بعث برسالة أخرى إلى الشيخ بوعقال و المؤرخة في 23 ماي 1838، يطلب منه الحضور على جناح السرعة

---

1 — A.O.M.,10 X 1 LETTRE D'AHMED PACHA A MOHAMED SALAH BEN BO AHMED N° 124 . أنظر نص الرسالة في الملحق .

الى معسكره، لأنه بأمس الحاجة الى قوته ، و ليكون عونا قويا ضد العدو الفرنسي الكافر (1) لأن فرنسا في هذا الظرف ، و ما لها من وسائل حربية متطورة ، و ما تستعمله من أساليب خبيثة ، بإمكانها أن تقسم صفوف المقاومين الرافضين لسلطتها ، و تشتت شمل شيوخ القبائل و العلماء لتضعف قوتهم المتمحورة حول قوة الحاج أحمد باي الذي أصبح شبحا يطارد قادة فرنسا .

لم يتوان الحاج أحمد باي لحظة واحدة في كبح جماح العدو الفرنسي بتعبئة القبائل، و لم تغمض له عين في حثها على الجهاد .

بني تنفوت

في سياق حث القبائل و جمع شملها ، أرسل الحاج أحمد باي رسالة الى وجهاء و شيوخ بني تنفوت عام 1839 ، يحرضهم على الجهاد و المقاومة و التشبث بالدين الاسلامي الحنيف، و العمل بقوة على قطع الطرق على الغفارة و تخريب معسكراتهم ، و تأديب الموالين لهم بحزم (2).

---

1 — A.O.M,10 X 1 LETTRE D'EL HADJ AHMED BACHA DE CONSTANTINE AU CHEIKH BOU-OGAL N° 126 .

2 — A.O.M, 10 X 1 LETTRE D'EL HADJ AHMED BEY AUX BENI-TANFOUT N° 127 . أنظر نص الرسالة في الملحق .

في ربيع عام 1840 جهّزت فرنسا حملة عسكرية بقيادة الجنرال "قالبوا GALBOIS" في إتجاه مناطق تواجد الحاج أحمد باي، و يشاء الصدف أن يقع بعد ثلاث سنوات من المقاومة و المعاناة طريح الفراش في الوقت الذي تحركت فيه قوات العدو متوجّهة إلى قبائل الحراكتة، الموالين للحاج أحمد باي، فبعثوا إليه يستعجلونه الحضور لنجدتهم، في الوقت الذي كان يفكر فيه في اللجوء إلى الجبال للعلاج و لكن وطنيته و غيرته على أبناء وطنه منعته من ذلك، فزحف بقوته لنجدتهم، لكن الفرنسيين كانوا قد سبقوه إلى الحراكتة و قتلوا منهم ما قتلوا، و أسروا ما استطاعوا أسره، أما البقية المتبقية نجت بنفسها، مما إضطرّ الحاج أحمد باي إلى الإنسحاب (1).

غير أن هذا الإنسحاب لم يكن بالنسبة للحاج أحمد باي هروبا و تخوّفا من الجيوش الفرنسية، إنما كان عبارة عن إنسحاب تاكتيكي يسمح له على الأقل بتنظيم صفوفه للقيام بالهجوم في اليوم الموالي، و هذا ما أشار إليه في

1 ـ محمد العربي، الزبيري، المذكرات...، ص. 88 .

مذكراته، بأنه إضطرّ إلى الإنسحاب، و لكن الفرنسيين لم يلاحقوه، مما سمح له بالعودة إليهم مغيراً، في اليوم الموالي، حيث تمكن من إسترجاع ما سلب من مواشي ودواب لقبائل الحراكتة [1]، و بقي مع العدو جزء قليل منها، حينئذ قام بتوزيعها على الفرسان باعتبارها غنائم حرب، و قد أشارت إحدى الوثائق في هذا الشأن أن الفرسان الذين شاركوا في الحملة ضد الحراكتة، لهم السدسين من الغنائم و سدس يعطى للقبائل الموالية لفرنسا [2] .

على الرغم من إعتماد الحاج أحمد باي في مهاجمته للفرنسيين على عدد قليل من الفرسان، إلى جانب عدد آخر من الحراكتة الذين نجوا بأنفسهم من العدو الفرنسي،فانضموا إلى صفوفه عند مجيئه إليهم. أما الجانب الفرنسي فقد عزّز صفوفه بقوة كبيرة جداً، إنطلاقاً من تخوّفاته من هجمات الحاج أحمد المسددة من جهة و إعتماده على شجاعة فرسانه العرب، إذ إستطاع أن يضم إلى صفوفه بعض القياد العرب، أمثال القايد علي و حفيد شيخ العرب، و كل شيوخ

---

1 ـ محمد - العربي ، الزبيري ، المذكرات... ص89 .

A.O.M.,F 80/561, D'APRES LE RAPPORT DE M° LE LIEUTENANT G^le - 2
GALBOIS EN DATE DE 30 AVRIL 1840 .

القبائل التي رفضت الإستسلام للعدو و قبلت بالمقاومة تحت لواء الحاج أحمد باي (1).

لقد زعزعت هذه السنة إستقرار السلطنة الإستعمارية فلم يهدأ لها بال، ففي كل حطة تشنها ضد القبائل قصد إخضاعها، إلا و الحاج أحمد باي يكون لها بالمرصاد، و بالتالي أصبح مارشالات و قادة القوات الفرنسية يحسبون له ألف حساب، فأي تحرك تقوم به أية قبيلة في الإقليم الشرقي ضد فرنسا إلا و الحاج أحمد باي يقف وراءه، و لكي تطمئن فرنسا جيشها و بعض الموالين لها من الخونة لإخوانهم و وطنهم، بادرت إلى نشر تقارير واهية مفادها أن الأمن و الهدوء متوفرين في كافة أنحاء الإقليم القسنطيني، و أن الحاج أحمد باي يريد أن يقاوم، و لكنه لا يملك الوسائل و الإمكانات اللازمة (2).

---

1 A.O.M,F 80/561, EXTRAIT DE RAPPORT SUR L'EXPEDITION CONTRE LES HARACTAS,DATE A CONSTANTINE LE 30 AVRIL 1840,VU PAR LE LIEUT. GENERAL SIGNE THEZEL .

2 A.M.G,H 235,RAPPORT SU LA SITUATION DE L'ARMEE DEPUIS LE 1° NOVEMBRE 1839,DATE LE 24 JANVIER 1840 .

و حصرتها في عدد من التلى بسبب بعض المجموعات التي تقوم بها القبائل ضد القوافل (1) .

هذه القبائل و على رأسها الحراكتة في إقليم قسنطينة أرعبت الخونة و العملاء من القبائل التي تخلت عن وطنيتها و دينها، و باعت نفسها للعدو، مما جعلها عرضة للنهب و السلب، و ذلك بأمر من الحاج أحمد باي (2) .

و في 16 أبريل عام 1840 تحركت حملة كبيرة مكوّنة من ألفين و ستمائة رجل من قسنطينة و قالمة و سيدي مبروك، و تجمعت في عين البيوش، بعد أن حاولت متابعة الحراكتة مدة أربعة أيام حيث وقعت المعركة في 21 من نفس الشهر و السنة، بالقرب من وادي مسكيانة، و قد شارك الحاج أحمد باي كعادته مع فرسانه (3) .

و بحلول 24 سبتمبر 1840، بدأت أخبار الهجومات الكاسحة التي قامت بها القبائل الموالية للحاج أحمد باي في الذيوع و الإنتشار، ليس في قسنطينة فحسب بل في أغلبية مناطق الإقليم، مثل عنابة، فكان لها وقع سيئ

---

1 — A.M.G, H 255, RAPPORT DU 20 JUILLET 1840 .

2 — LADIMIR (J), LES GUERRES D'AFRIQUES, p. 231 .

3 — I.B.I.D .

على نفسية السلطات الفرنسية و اعتبرت مقاومة هذه القبائل أنها عصيان و تمرد [1]. تلك هي عادة فرنسا في تشويه الحقائق و تغطية خسائرها المادية و المعنوية حتى تظهر أمام الجميع أنها الأقوى.

أولاد دراج :

بعد عام من بقاء الحاج أحمد باي في منطقة الأوراس خرج مع أولاد دراج الذين طلبوا منه مصاحبتهم إلى منطقة الحضنة، قصد الهجوم على أحمد بن الحاج خليفة الأمير عبد القادر الذي كان في بسكرة، هذا الأخير الذي حاول إستمالة هذه القبائل في بداية الأمر ضد الحاج أحمد باي، لكن بدهاء و حكمته إستطاع ضمهم إلى صفوفه ضد أحمد بلحاج. و قد جاء في مذكراته على أنه موافق على عرض أولاد دراج في القيام بحملة على خليفة الأمير عبد القادر شريطة أن تضم الجميع إلى صفه [2].

و لقد إستطاع الحاج أحمد باي إقناعهم على السير ضد أحمد بلحاج، و وقعت المعركة بين الطرفين، إستولى فيها الزعيم الحاج أحمد باي على ثلاثين (30)

---

1 - A.M.G, H 235, RAPPORT D TE LE 24 SEPTEMBRE 1840 .

2 - محمد العربي، الزبيري، المذكرات.....، ص91.

بندقية، و تسرب في صفوف خصمه ثلاثة أربعين (40) قتيلا ، و بالتالي تراجع أحمد بلحاج إلى بسكرة ، و أحكم غلق أبوابها مما صعّب أمر دخولها من طرف جيش الحاج أحمد باي ، هذا الأخير الذي توجّه مباشرة إلى منطقة الحضنة مع أولاد دراج ، و استقر بها ليتيح فرصة الراحة لفرسانه و بالتالي يتمكن من تنظيم جيشه (1) ؛

قبائل ريغة

و أثناء إقامته في هذه المنطقة وصلت رسالة من أحد أتباعه ، و هو الشيخ مسعود ، شيخ ريغة ، يخبره فيها أن حملة فرنسية خرجت من سطيف لمهاجمته في منطقة الحضنة ، مقر اقامته . و ما إن علم بهذا التحرك حتى توجّه مباشرة إلى شيخ ريغة لدراسة الوضع ، و ما يمكن عمله لمواجهة الحملة . و ما إن التحم الطرفان حتى إندلعت المعركة بضراوة ، فقد فيها الحاج أحمد باي ستة (06) رجال و تسعة أحصنة (2) .

أما خسارة الجانب الفرنسي ، فلم يشر إليها ، سواء بالنسبة للمصادر الفرنسية أو بالنسبة لما جاء ذكره من أحداث تاريخية حول هذه المعركة في مذكرات الحاج أحمد باي،

---

1 - DR GUYON, VOYAGE D'ALGER, P. 39 .

2 - I.B.I.D .

و مما لا شك فيه، فإن الجانب الفرنسي يكون قد فقد عبر الآخر قتلى في صفوفه، ذلك لأن فرسان الحاج أحمد باي هم أيضا كانوا على دراية بالقتال، و هذا ما يدفعنا إلى القول بأن هناك قتلى يكونون قد سقطوا برصاص فرسان الحاج أحمد باي، مع تفاوت نوعي في عدد قتلى الطرفان .

و عند نهاية هذه المعركة عاد الحاج أحمد باي إلى الحضنة و بقي فيها مدة أربعة أشهر[1] كانت كافية لسراحة فرسانه من ناحية و من أخرى حتى يتمكن من رصد تحركات قوة العدو الفرنسي التي ما فتأت هي الأخرى تراقب تحركاته، و تتخوف في نفس الوقت من إثارته للقبائل خاصة الحنانشة و الحراكتة، و بالتالي يزيد من تأليب قبائل أخرى ضد التواجد الفرنسي في الإقليم الشرقي[2]

هذا العمل من طرف الحاج أحمد باي دفع الجنرال نقريي إلى تعزيز الحملات العسكرية بقوات كبيرة، و ذلك طبقا لتعليمات الحاكم العام بالجزائر، حيث كانت على النحو التالي :- /

1 — DR GUYON , VOYAGE D'ALGER, P. 35 ;

2 — A.O.M, 1 H4, RESUME HISTORIQUE DES FAITS QUI SE SONT PASSE EN 1841 .

(2400) ألفان و أربع مائة رجل في سطيف تحت قيادة الجنرال غسفيلر ،وقرابة (1700) ألف و سبعمائة رجل في سكيكدة ، و أكثر من (1200) ألف و مائتان في عنابة، و حوالي (1400) ألف و ربعمائة جندي آخر في قالمة والقالة، و أكثر من (2700) ألفين و سبعمائة عسكري في قسنطينة (1).

تلك هي القوة التي كانت تتحرك بين آونة وأخرى قصد تقويض مقاومة القبائل العربية و على رأسها البطل الحاج أحمد باي. فرغم عددها الضخم، إلا أنها كانت في كل مرّة تصاب بخيبة أمل ، و ذلك في عدم تحقيق غرضها المتمثّل في القضاء على مقاومة الحاج أحمد باي .

قبائل أولاد عيسى

و في 28 سبتمبر عام 1841، تحركت حملة عسكرية من معسكر الحروش ضد قبائل أولاد عيسى ، المتواجدين شرق المعسكر، و في هذه الأثناء تحرك الحاج أحمد باي عند سماعه الخبر، و اتصل ببعض القبائل المجاورة أمثال الساتية و الزمول و أولاد عبد النور، و بدأ يحثهم على الجهاد ، و ينظم أمورهم، إذ تمكن من تعزيز صفوفه بقوة من الفرسان العرب تقدر

1 — A.O.M., 1 H4, RAPPORT DE L'ETAT MAJOR CHEF DE LA 1e DIVISION BERNAUT, PARIS LE 19 DECEMBRE 1841 .

بحوالي ألف (1000) فارس و المئات من المشاة، مما دفع بقائد الإقليم إلى التحرك بسرعة لتعزيز حملته [1]. و في هذا الصدد نجد دائما التقارير الفرنسية تعمد إلى تزييف الحقيقة. فالمعركة التي قامت بين رجال المقاومة، والمد و الفرنسي لم يكشف عنها لا من بعيد أو من قريب. و حتى بالنسبة لمذكرات الحاج أحمد باي لم نعثر على أدلة تاريخية لمعرفة سير هذه المعركة، حيث إكتفى القائد " براسو" في تقريره إلى القائد العام، أن المقاومون لم يصمدوا أمام الحملة و لاذوا بالفرار [2].

و قد جاء ذكر العديد من أسماء القادة الفرنسيين، نظرا لعناد و قوة خصمهم الحاج أحمد باي، أمثال اليوطنان كولونيل بوطفوكو ، و الرائد ترامبلي ، و الكابتن توماس ، و كذلك اليوطنان كلونيل بيرونجار و الجنرال نقريي باعتباره القائد العام لهذه الحملة. و قد دامت هذه المواجهة منذ أن خرج القائد نقريي من قسنطينة، في 2 أكتوبر إلى غاية 13 منه، و كان إحصاء القتلى و الجرحى في صفوفهم لا يقبله

1 – A.O.M, 1 H4 PRECIS DE 1841 .

2 – A.O.M, IBID .

ميادين المعارك. ففي ثلاث حملات حسب القائد براهو كانت حصيلة الخسائر في صفوف الفرنسيين لا تتعدى تسعة (9) قتلى و (28) ثمان وعشرون جريح منهم خمسة (5) ضابط (1)

و على هذه الوتيرة من المقاومة الشرسة، لم يتوان الحاج أحمد باي لحظة عن المقاومة بل ظل عند ظننا القوي، و لم يقبل مرة المساومة رغم كبر سنه، مما زاد في جنون فرنسا. فالمعارك التي خاضها ضد الفرنسيين أثبتت لهم مدى تمسكه بوطنه و دينه و إيمانه القوي بحتمية المصير، و على الرغم من كون الحملات العسكرية لعام 1842 كانت منظمة من طرف الإستعمار الفرنسي، كما كانت تميز بين فترة و أخرى بالعتاد و العدد لكن البطل الحاج أحمد باي كان لهم بالمرصاد دائما، حسب مقدرته، و برهن على شجاعته و كفاءته الحربية، و هذا ما جاء على لسان القائد كلوزيل بقوله أن أحمد باي الحاكم القديم لبايلك الشرق أراد أن يستعرض قوته ضد معسكر عين الرمل، و قد كان مدعما من طرف أولاد قاسم (2).

---

1 - A.O.M., 1H4, RAPPORT DU COLONEL D'ETAT MAJOR, CHEF DE LA 1° DIVISION FERHAUT, LE 28 JANVIER 1842 .

2 - M.M. LEMANDIER ET CLAUZEL, HISTOIRE DE L'ALGERIE FRANCAISE, TOME II, PARIS 1846, P. 127 ;

لقد كان الحاج أحمد باي على دراية بقوة العدو التي كانت تتزايد من حملة إلى أخرى، و مدربة على الفنون الحربية المتطورة، و أن قوته المتمثلة في نفر من الفرسان لا يمكن لها أن تخوض حرب مواجهة فالهجومات الخاطفة بالنسبة له هي أنجع خطة، و عليه تحرك الجنرال سيلاق بقوه عسكرية لمواجهة أحمد باي الذي إنسحب دون أن يغامر بفرسانه (1)، و ذلك قصد مراجعة خططه العسكرية، حتى لا يقع في نصاب العدو الفرنسي .

الشيخ الحسناوي

حتى و إن إستتب الأمر لفرنسا في وسط الإقليم الشرقي، فإن العمل بالنسبة لها ما زال طويلا و شاقا، لأنها على يقين أن بقاء أحمد باي على قيد الحياة، و تواجده هناك، هو العائق الوحيد أمامها، نظرا لنفوذه القوي بين العديد من القبائل، إلى جانب بعض الشيوخ الأقوياء، لذا فإن حملات شتاء عام 1842، واجهت مقاومة عنيفة جدا، إذ ظهر الشيخ الحسناوي مع أتباعه بقوة، إلى جانب الحاج أحمد باي (2) و هو أخطر عنصر بالنسبة لها، لهذا

---

1 - LEYMARDIER ET CLAUZEL, HISTOIRE DE L'ALGERIE, P. 127 .

2 - cat (E), HISTOIRE DE L'ALGERIE, TII, H.P. JOURDAN, ALGER 1889, P. 21 .

فإن مهمة الفرنسيين في تثبيت سيطرتهم ليس بالأمر الهين، إنما يتطلب منها الدعم المادي و المعنوي أكثر فأكثر.

إن حملة نقريي على قبائل النمامشة و أولاد زاهية بن طالب و تبسة، لم تأت ثمارها بل تعرضت إلى خسائر كبيرة، خاصة عند عودة الحملة الفرنسية، حيث تعرضت إلى هجومات القبائل لقطع الطريق عنها (1).

و حتى و إن حققت هذه الحملات بعض الإنتصارات على الأهالي العزل من الشيوخ و النساء و الأطفال، فإنها لم تستطع قهر مقاومة القبائل التي تزعمها الحاج أحمد باي بطريق مباشر أو غير مباشر، حيث عجز الجنرال نقريي و من قبله الجنرال قالبوه من تقويض هذه المقاومة، فهذا الأخير قام هو الآخر بعدة عمليات صغيرة القصد منها ترهيب القبائل، و لكن عجزه و ضعفه تجلى في حملاته على منطقة الأوراس حيث كان مقر الحاج أحمد باي (2).

مع نهاية عام 1842، تم تعيين الجنرال برقاي دوميلي   ، مكان الجنرال نقريي، و بادر هذا الجنرال إلى تطبيق الأوامر فقام بحملات عسكرية ضد الحاج

---

1 — LEYMANDIER ET CLAUZEL, HISTOIRE DE L'ALGERIE, P. 127 .

2 — MAZE (J), LA CONQUETE DE L'ALGERIE, MAISON ALFRED MAME ET FILS, P. 274 .

أحمد باي و أتباعه، منها الحملة العسكرية التي وجهها ضد سي زغدود الذي زعزع إستقرار العدو الفرنسي في المنطقة الممتدة ما بين القل و عنابة، لكن العدو بقيادة برقاي هاجم على حين غرة بني صالح، و حرق المنازل و نهب خيرات القبيلة و سلب مواشيها، و لكنه لم يفلح أمام قوة قبائل الحراكتة و النمامشة المدعمة بقوة أحمد باي (1).

الشيخ سي زغدود

لقد كان سي زغدود قوة تخيف و ترهب العدو الفرنسي، فثورته ضد فرنسا كانت قائمة على الجهاد في سبيل الله لتحرير الوطن من الكفرة و عز الشعار الذي نشره الحاج أحمد باي بين القبائل، و بالتالي كان لزاما على العدو أن يدبر أمر القضاء عليه قبل أن يستفحل أمره و ما كان على الجنرال برقاي إلا متابعته و القضاء عليه بعد معركة حامية وقعت بين الطرفين قرب زاوية سيدي عكاشة، حيث إستشهد البطل سي زغدود (2).

هذا الشهيد لم يكن إلا احد أتباع الحاج أحمد باي المخلصين له، أحمد باي الذي أوضح للقبائل الصورة

1 — ..AZE(J), LA CONQUETE...,P. 274

2 — FALLET(C), CONQUETE DE L'ALGERIE,LIBRAIRIE IMP. MEGARD, ROUEN 1856, P. 140

الحقيقية للفرنسيين، فهم العدو الذي سلب منهم أرضهم و حريتهم و كرامتهم، لذا لا بد من محاربته أينما وجد، و ما كان عليه إلا مكاتبة هذه القبائل يحرضهم ضد المسيحيين الكفرة، و الإنتقام من الخونة الذين باعوا أنفسهم لفرنسا (1).

و مع إشتداد المقاومة، أصبحت تشكل خطرا دائما على إستقرار السيادة الفرنسية في الإقليم، و أصبح الحاج أحمد باي الرأس المدبر لها، مما دخل فرنسا في تقوية جيوشها، و ذلك بتكوين الميليشيات الإفريقية لضمان الأمن داخل المدن و خارجها، و هذا نوع من السياسة القمعية التي عرفت بها الجزائر، حيث تم في هذا الشأن تعيين السيد شاليت على رأس الميليشيات في عنابة، هذا الأخير كان في النهاية برتبة كابتن على رأس الميليشيات التي كانت موجودة من قبل في مدينة القبة بالجزائر، و عندما نقل إلى عنابة إرتقى إلى رتبة رقيب أركان (2).

و في هذا المجال تم تعيين السيد كابيل برتبة رقيب أركان كذلك على رأس الميليشيات في سكيكدة (3)،

---

1 — FALLET(C), CONQUETE DE L'ALGERIE ,P. 128 .

2 — A.O.M,F80/1459,DIRECTION DE L'INTERIEUR N°134,DOCUM.N° 1696

3 — A.O.M,F80/1459,DIRECTION DE L'INTERIEUR N°134,DOCUM.N° 53

غير أن هذه الميليشيات لم تثبت نجاعتها في تطويق الإنتفاضات الداخلية التي كان يحركها الوطنيون، مثلما حدث في قسنطينة من أحداث كنا قد أشرنا إليها سابقا، ثم تم كذلك، في نفس الفترة، تعيين السيد إستر قائدا للميليشيات في قسنطينة (1).

في 5 ديسمبر 1843م، وصل الدوق دومال إبن ملك فرنسا إلى قسنطينه لاستلام منصب حاكم الاقليم قصد تنظيمه. هذا ما ذكرته التقارير الفرنسية، غير أن الحقيقة عكس ذلك، لأن الذين سبقوه من جنرالات و مارشالات عجزوا عن فرض سيطرتهم على الإقليم الشرقي. ففي أي مجال جاء الدوق دومال لينظم الإقليم؟.

إن القصد من ذلك هو محاولة إخضاع زعيم المقاومة الحاج أحمد باي بقوة جديدة تضاف إلى القديمة، لذا كان من الضروري تأسيس مركز تموين في باتنة، و وضع مخطط يسمح له مراقبة تحركات الحاج أحمد باي (2)، عدوهم الشرس في هذه المناطق. و عليه بدأ الدوق دومال حملاته العسكرية في إتجاه الجنوب

---

1 A.O.M.;F80/1439,DIRECTION DE L'INTERIEUR, N°134,DOCUM. N°953. لقد جاء تأسيس الميليشيات الافريقية طبقا للقرارين الصادرين بتاريخ 28 أكتوبر 1836 و 17 ديسمبر 1841، من طرف الحاكم العام للجزائر انظر A.O.M., F80/1439 ;

2 - HEYNALDIER ET CHAUZEL, HISTOIRE DE L'ALGERIE , P. 10

الشرقي، فمن سيدي عقبة إلى تبسة ثم بوسعادة، و في كل مرة يواجه مقاومة القبائل التي لم تسهل له عملية التنقل، إذ كانت نية العدو محاصرة الحاج أحمد باي، و القضاء على مقاومته، فاتجهت القوات الفرنسية إلى جبل أولاد سلطان، المنطقة التي يعتبرها الفرنسيون عبارة عن ملجئ لقطاع الطرق، نظرا لحصانتها. و ما كان من الحاج أحمد باي إلا أن إعتمد على الكر و الفر نظرا لعدم توازن قوته مع قوة العدو. كما أن هذه الخطة خير وسيلة لإحداث الفوضى بين صفوف الفرنسيين، و عليه كان لزاما أن يترك منطقة "البير" في أول ماي 1843، مخلفا وراءه بقايا من أطلاله للقوات الفرنسية التي حلت محله هناك (1).

قبائل أولاد سلطان

و في سنة 1843 بالذات، تحركت حملة أخرى من سطيف ضد القبائل الموالية للحاج أحمد باي، الذي وصله خبر الحملة، فجمع قوته للهجوم على الحملة، لكنه أصيب بمرض منعه من مشاركة أنصاره من قبائل أولاد سلطان في المعركة ضد العدو الفرنسي. و قد دامت يومين كاملين، و كانت

1 — LEYNARDIER ET CLAUZEL, HISTOIRE DE L'ALGERIE ; T. 451

عبارة عن مناوشات بين الطرفين لهذا لم تأت هذه المعركة بأية نتيجة تذكر (1).

بعد ثمانية أيام مضت عن هذه المعركة، حاول الفرنسيون مرة ثانية مهاجمة أولاد سلطان، وكان الحاج أحمد باي قد شفي من مرضه، فكان له شرف الهجوم على قوات العدو، و أجبرهم على التراجع و العودة من حيث أتوا (2)، و هذا لا يعود بالدرجة الأولى إلى الخطة العسكرية المطبقة من طرف الحاج أحمد باي و هي الكر و الفر، و إنما هناك عامل أساسي آخر ساعده على دحر العدو و النيل منه، و هو طبيعة المنطقة، فهي جبلية و تضاريسها صعبة لا تسمح للجيش الفرنسي بالتحرك إلا بصعوبة، لأنه لم يألفها بعد، و هذا عكس ما هو بالنسبة لقوة الحاج أحمد باي. فهم أبناء المنطقة و أدرى بشعابها من غيرهم. .

---

1 — MR GUYON, VOYAGE D'ALGER, P. 55 .

2 — محمد العربي، الزبيري، المذكرات...، ص. 92 .

وعلى الرغم من كل التعزيزات الفرنسية لنقاط تمركزها، مثل معسكرات العلم وقالمة والنمشية وذريان، فإنها لم تؤمن طرق تنقل قواتها، وهذا عكس ما هو سائد في باريس من آراء لا تمت بأية صلة لما يحدث بالإقليم الشرقي، حيث يظن الأغلبية الباريسية أن المواصلات مؤمنة، وهذا حسب ما جاء في التقارير، لكن الحقيقة هي أن الطرق معرضة للخطر من طرف المقاومة، رغم الحراسة الشديدة، فالعديد من الجنود قتلوا، وحتى القبائل التي إستسلمت لفرنسا تعرضت هي الأخرى لهجومات المقاومين (1).

---

1 – ANONYME, LA PROVINCE DE CONSTANTINE EN 1839 ET 1840, LIBRAIRIE FELIX LOCQUIN, PARIS 1843, P. 20.

الباب الثاني

"الحاج أحمد باي المقاوم"

الفصل الثاني

مرحلة عام 1844

1- إستراتيجية فرنسا العسكرية الجديدة في الاقليم الشرقي .

2- رد فعل الحاج أحمد باي على هذه السياسة .

3- حملة الدوق "دومال" على بسكرة ، و رد فعل المقاومة .

4- المقاومة في جبال أولاد سلطان .

5- فشل الحملات الفرنسية في تقويض مقاومة الحاج أحمد باي

العنصر الأول

استراتيجية فرنسا العسكرية الجديدة في الاقليم الشرقي

مع بداية عام 1844 برزت تغيرات عسكرية و سياسية على الساحة الفرنسية ، الهدف منها إعطاء نفس جديد للتواجد الفرنسي في الجزائر، و لكي تعزز فرنسا وجودها داخل التراب الجزائري في الناحية الشرقية على وجه التحديد إذ تم تعيين الجنرال بوجو BUGEAUD مارشال فرنسا الذي عرف بسياسة الأرض المحروقة ، و الدوق دومال قائدا أعلى لاقليم قسنطينة،إلى جانب الضابطان لاموريسيار LAMORCIERE ، و شونغارني CHANGARNIER ، اللذان عينا برتبة ليوتنو جينرال LIEUTENANT -GENERAL .(1)

ان مجيئ الدوق دومال ابن ملك فرنسا لويس فليب إلى قسنطينة كحاكم عسكري عليها ،زاد في عدد قوات الفرنسيين ،كيف لا و هو ابن ملك فرنسا ، في الوقت نفسه لم تتعدى قوات الحاج أحمد باي سبعمائة فرد ما بين فارس و راجل.(2) كما أن تعيين الدوق دومال قائدا على الاقليم الشرقي لم يكن محض الصدفة أو الرغبة الشخصية لحاكم

1- J.J.E, ROY: Histoire de l'Algerie depuis les temps reculés jusqu'à nos jours, 2° édition, Alfred Mame et compagnie, P. 32 .

2- الزبيري ، محمد العربي ،المذكرات.. المرجع السابق،ص92

فرنسا أو إبنه ، و إنما لاشتداد المقاومة، و الخسائر التي منيت بها فرنسا . و انطلاقا من هذه الحقيقة ، فإن الدوق دومال من ناحية أخرى كان يطمح إلى تحقيق ما عجز عنه سابقوه ، و هو إخضاع الاقليم الشرقي كله و ذلك بالقضاء النهائي على مقاومة الحاج أحمد باي . إثر ذلك خرج الدوق دومال من قسنطينة متوجها إلى باتنة حيث بدأ في تطبيق مخططه بإنشاء مراكز للتموين و الاستعلامات .(1)

و بحلول شهر جانفي عام 1844 ،لم يكن في وسع فرنسا إلا زيادة تعداد قواتها نظرا لضراوة المعارك و عدم تمكنها من إلقاء القبض على المقاوم البطل الحاج أحمد باي الذي أصبح في نظر فرنسا العدو الأول في المنطقة ، و العائق الكبير الذي يقف في وجه طموحاتها التوسعية شرقا ، لما له من نفوذ على رؤساء القبائل و دوره الهام في تحريضهم على الجهاد في سبيل الله و الحفاظ على الوطن .

و لقد جاء في إحدى التقارير التي بعثها المارشال بيجو إلى السلطات الفرنسية ، حول

1 - Ferraut, charles, le sahara..., op.cit, pp.346-347 .

تثبيت السيطرة الفرنسية في الجزائر و كيفية إنجاحها ، و على وجه التحديد إلى ليوتنو جنرال LIEUTENANT GENERAL الكونت شرام SHRAM بتاريخ 15 جانفي 1844 ، ما يلي " بقي علينا أن نجد حلا لأكبر مشكل ، و هو تخفيف عبء فرنسا عن طريق تخفيض عدد الجيش الافريقي تدريجيا دون أن نعرض سياستنا الاستعمارية إلى الخطر ، و دون أن نعرقل تطوره – و يضيف – إن انتصارات عام 1843 لم تغير وجهة نظري ، إنني أرى دائما أن العرب قوم لهم كبرياؤهم ، و متعصبين لدينهم ، و مهيئين جيدا للحرب ، و هم سريعي الثوران باسم الدين و الوطن ... " (1)

هذا الجانب الذي تنبه له الفرنسيون – أي تشبث الجزائري بدينه و وطنه – لم يكن يخفى على الحاج أحمد باي لحظة واحدة منذ أن أعلن الجهاد ضد الكفار الصليبيين . فكل الرسائل التي أشرنا إليها سابقا ، و التي بعثها إلى القبائل ، يحثهم فيها على الجهاد في سبيل عزة دينهم و الحفاظ على وطنهم .

A.M.G,H229/I <u>Rapport de M° le marechal Bugeaud sur</u> – 1 <u>les moyens d'affermir et d'utiliser la conquête de l'Algerie</u>, p.6 .

لقد كان رد القائد الفرنسي الفريق شرام متطابقا لوجهة نظر قائده العام بيجو بقوله " سيدي المارشال ، إن اعتقادي راسخ حول مستقبل إحتلالنا ، و وطنيتي تحتم عليّ استخدام كل الوسائل التي أمتلكها خدمة لحكومتي و البرلمان و الوطن ..." (1)

إن اشتداد قوة مقاومة الحاج أحمد باي و أنصاره من القبائل الموالية له ، دفعت فرنسا إلى حشد قوات كبيرة ، للقيام بعمليات مكثفة فكانت التقارير الفرنسية تتوافد على الحاكم العام حول الأوضاع العامة للإقليم الشرقي خلال الأشهر الأولى من عام 1844 ، حيث جاء في إحداها و المؤرخة بقسنطينة في 25 جانفي 1844 ما يلي " سيدي المارشال ، لقد طلبتم مني في رسالتكم المؤرخة في 10 جانفي بعض التفاصيل الجديدة عن العمليات العسكرية التي كلفت بها جنوب المقاطعة ، و لا أملك إلا شيئا قليلا حول المشروع العام . و على كل فإنه شرف لي أن أضع بين يديكم هذه التفاصيل التي تتضمن تنظيم فرق للحملات العسكرية ، و مجموع الهيئات التي

---

1 - A.M.G ,H 229/I Réponse du lieutenant general [illegible] Ichramm , pp.25-26 .

سوف تشارك في هذه العمليات.(1)

و في إطار التجهيزات العسكرية الجديدة، فإنه كان بإمكان النواحي الأخرى لقسنطينة تزويد الحملات العسكرية في الفترة ما بين 10 و 15 فبراير، بألف رجل من المشاة و مائة (100) فرس و فيلق من الرجال المتخصصين في تسلق الجبال.(2)

و الهدف من هذه السياسة الجديدة المتعلقة بالتعزيزات العسكرية ليس تقويض المقاومة فحسب، إنما حتمية توفير الظروف الملائمة لإنجاح هذه الحملات، من ذلك الاعتماد على وسائل النقل كالجمال و البغال لحمل العتاد الحربي، والزاد من أكل و شرب، إلى جانب التعرف على الأماكن للاقامة، و إنشاء أبراج مؤقتة للتموين،(3) لأن الفرنسيين كانوا يرون أن الأمر ضروري لضمان استمرارية العمليات العسكرية في الجنوب الشرقي و إنجاحها .كذلك كان لزاما على الجيوش الفرنسية تأمين المواصلات خاصة الطريق بين قسنطينة و باتنة إذ عينت

---

1 – A.M.G , 1 H94, Division de Constantine , le 25 Janvier 1844 .

2 – A.M.G , 1 H94 , Ibid .

3 – A.M.G , Ibid .

قوة عسكرية من الفرسان لحمايتها . فهذه الحملات الآتية من بسكرة و باتنة و سطيف، في اتجاه الجنوب الشرقي ،ما هي في حد ذاتها إلا عملية جس النبض، من جهة ، و التعرف على المناطق و المسالك من جهة أخرى .و بالتالي فإن هذه القوة العسكرية كانت بمثابة ناقل للأخبار عن المنطقة عن طريق تقاريرها العسكرية . غير أن الحاج أحمد باي ، رغم سنه المتقدم ، فإنه كان يراقب تحركات العدو الفرنسي ، و يتنقل في نفس الوقت من مكان لآخر ، مع القيام بهجومات من آونة إلى أخرى على تمركزات العدو. ففي الوقت الذي تحركت فيه القوة الفرنسية من باتنة، داخل الأحراش قصد معاينة المناطق ، فإن القوة المرابطة في سطيف هي الأخرى تحركت في اتجاه منطقة بلزمة ، لأنها علمت عن طريق التقارير بوجود الحاج أحمد باي بالمنطقة .(1)

---

1 - A.M.G , 1 H94, Division de Constantine...op.cit .

العنصر الثاني

رد فعل الحاج أحمد باي على هذه السياسة

نظرا لارتباط قبائل المنطقة خاصة الأوراس بالحاج أحمد باي و ولائهم له ، فإنهم رفضوا رفضا قاطعا الخضوع للسلطات الفرنسية باعتبارها قوة دخيلة عنهم ، و امتنعوا عن دفع الضرائب التي فرضها عليهم الجنرال برقاوديليا ، مما دفع بالقادة الفرنسيين إلى التفكير في تجهيز حملة عسكرية كبيرة على هذه المناطق ، شريطة أن تسبق الحملة التي تم إعدادها ضد بسكرة. و بالتالي ، فإن الظرف المناسب بالنسبة لهم للتوجه إلى منطقة الزاب هو شهر مارس لعام 1844 ، ذلك لأن الثلوج و الأمطار و البرد هذه العوامل الطبيعية سوف تضيق طريق الفرنسيين في الهجوم على منطقة الأوراس.(1)

كما أن هذه الحملات التي ينظمها الفرنسيون باكتشاف المسالك و الطرق ، فإن القصد منها هو معرفة مناطق تواجد الحاج أحمد باي و الطرق التي تؤدي إليه. و مع ذلك فإنها لم تسلم من هجومات المقاومين الذين كانوا رهن إشارة البطل الحاج أحمد باي ، رغم

---

1 - A.M.G , 1H 94 , OP-cit .

أن جل المصادر الأجنبية من تقارير و مراسلات لم تكشف عن الخسائر التي أصابت هذه الحملات في كل مرة، إنما أوجزت ذلك في عبارات إستصاف المرضى و الجرحى.[1]

و إن كانت فرنسا تسعى إلى بسط نفوذها و تأمين الطرقات لتنقل جيوشها، فإن الحدود الشرقية مع تونس كانت المنفذ الأساسي لتزويد المقاومة الجزائرية بزعامة الحاج أحمد باي بالمواد الغذائية، و الأسلحة. و قد تأكد ذلك من خلال رسائل الدون دورليان إلى المارشال بيجو الحاكم العام، حيث جاء في إحدى رسائله بأنه سوف يكون له الشرف في رسالة قادمة أن يجيب على كل أسئلة المارشال بيجو حول جو الإتصالات بين قسنطينة و تونس، و سوف يشرح له الإجراءات المتخذة لمنع استيراد المواد الأجنبية عبر الحدود الشرقية.[2]

A.M.G , 1H 94 ,op.cit . —1

A.M.G ,1H 94 ,Lettre du lieutenant Glecommandant de la province de Constantine à M° le marechal gouverneur gle de l'Algerie . —2

و ليس هذا فحسب،إذ امتدت يد المقاومين الجزائريين داخل صفوف العدو الفرنسي ، إذ أن الحراسة المشتددة و المضروبة على الحدود الشرقية ، لم تثن عن عزيمة المقاومة ، بل دفعتها إلى استعمال كل السبل و الوسائل من خطط محكمة، من شأنها زيادة قوتها.
و قد كشف الدوق دومال في رسالة بعثها إلى الحاكم العام بالجزائر ، فقدان الأسلحة من مخازن الجيش الفرنسي .و قد جاء فيها بأن بني صالح حملوا إليه حصانا و ثلاث بنادق، عن طريق خادم القايد أحمد . و قد تمت السرقة منذ عدة أشهر من مقر الكتيبة الثانية و العشرون (22) ، التي كانت موجودة بمنطقة سمندو، و قد رأى بأن عملية استعادة الأسلحة ما هي إلا عملية مستحسنة و سوف تؤدي إلى تحسين الأحوال مستقبلا (1)
لم يستطع الدوق دومال أن يحقق ماكان يصبو إليه من خلال الحملات العسكرية التي قام بها على مناطق الإقليم الشرقي و هو إلقاء القبض على الحاج أحمد باي و خنق المقاومة

---

1 - A...G ,1H94 , Lettre du duc D'AUMALE au gouverneur gle de l'Algerie .

هناك . هذه الأخيرة التي استفحل أمرها أكثر من ذي قبل ، و وصل صيتها إلى وزير الحربية الفرنسي بباريس، الذي لم يكن في وسعه إلا إشعار الحاكم العام بتعزيز قوات ابن الملك . و هذا ما يوضحه محتوى الرسالة المؤرخة في 9 فبراير عام 1844 ، و التي بعثها وزير الحربية إلى الحاكم العام بالجزائر . و قد جاء فيها بأن السيد الدوق مومبانسي MONTPENSIER قد رحل ليلتحق بالسيد الدوق دومال D'AUMALE في قسنطينة .(1)

---

1 - A.N.G ,1 H94, : Depêche télégraphique, Ministre Secretaire d'Etat de la guerre , pour le Ministre et par son ordre, Lieutenant le Directeur DOROCHARS. Parvenue le11 , à 6h 12 mn .

العنصر الثالث

حملة الدوق "دومال" على بسكرة ، ورد فعل المقاومة

إن التحاق الدوق دوموبانسي بالدوق دومال كان من أجل تعزيز القوات الفرنسية الموجهة إلى بسكرة ، و بالتالي كان الدوق دومال في انتظار أخيه الدوق دوموبانسي ، و عليه فإن بنزوله بالجزائر أو سكيكدة حسب وجهة نظر السلطة المركزية بباريس أن الشرق الجزائري سوف يعود إليه ، و بالتالي أعطيت الأوامر لحراسته حتى وصوله إلى قسنطينة .(1)

و لإنجاح الحملة ، فإنه ترتب على حاكم الإقليم الشرقي الدوق دوولمان أن يأمر الملازم أول لوبروتان LEBRETON بالاستعداد المكثف و اللازم للتحرك ضد القبائل التي مازالت على ولائها للحاج أحمد باي . و عليه تم تقسيم الحملة إلى فرقتين و ذلك على النحو التالي الفرقة الأولى عبر بلاد التلاغمة ، و الثانية عبر طريق الرمول . حيث أن الأولى تتكون من القناصين و الصبايحية ، و قد أوكلت قيادتها إلى عقيد الفيلق الثالث ، و يكون مرفوقا بالقيادة العامة التي يشرف على حراستها عشرة رجال من الدرك . أما الفرقة الثانية فتتكون

1- A.M.G , Ibid .

من الكتيبة الثانية و العشرون (22) للفيف الأجنبي ، و فرقة من الفوج العسكري ، و أخرى من المختصين بتسلق الجبال ، إلى جانب إحتياطي المدفعية و إثنان من رجال الدرك لحماية العقيد قائد الكتيبة (22). (1)

و لقد تم تحديد الإتجاه الذي تسلكه هذه الحملة مع وضع برنامج لها حسب الزمن على النحو التالي /

بالنسبة للفرقة العسكرية الأولى -

يوم 15 تصل إلى منطقة العثمانية.

يوم 16 تكون في عين سقان.

يوم 17 تصل إلى بشارة.

يوم 18 تكون في أم الأصناب.

يوم 19 تصل إلى باتنة.

أما بالنسبة للفرقة العسكرية الثانية -

يوم 15 تحل بعقبة الجمالة.

يوم 16 تصل إلى الغنشي.

يوم 17 تحل بمنطقة الياقوت.

يوم 18 تصل إلى أم الأصناب.

A.M.G , 1 H94 , Ordre N°3 Succ on Lieutenant Lebreton , datée à constantine le 13 Fevrier 1844 . — 1

يوم 19 تحل بباتنة .

إلى جانب هذه القوة الكبيرة ، تم استدعاء اللفيف الأجنبي و قوة إضافية من صف الصبايحية المتمركزة في عنابة ، كما أن قوة المشاة الفرنسية تم تعزيزها بالخراطيش، طبقا للأمر الصادر بتاريخ 30 جانفي ، و الذي يمنع القوات الفرنسية من تناول المشروبات الكحولية (1)

و مع تحرك هذه القوة العسكرية من قسنطينة في اتجاه باتنة لم يكن الأمر سهلا بالنسبة لها . فبعد سفر دام خمسة أيام، وصلت هذه الفرقة إلى باتنة في 19 من نفس الشهر . و في طريقها إلى باتنة ، كانت قد تعرضت إلى العديد من الهجومات التي قام بها المقاومون ، و على رأسهم الحاج أحمد باي ، مما دفع بالفرنسيين إلى إنشاء مراكز للتموين . و لقد حاول في هذا الصدد الكولونيل بارتيلمي عبثا ، مع فرقته دحر المقاومة عند توجهه إلى نواحي سكيكدة ، و كذلك بالنسبة للضباط الثلاثة قورو و دي نوفو و مرسلي على أحد الخونة الذين كانوا على رأس فرقة الصبايحية ، فهم

1- A.M.G , 1 H 94 , ordre N°3, op.cit .

بدورهم اتجهوا نحو قبائل الزرادزة و أولاد جبارة و أولاد زناتي و أولاد عامر ، و أولاد موية و بني تليلان ، قصد معرفة جيوب المقاومة هناك .(1)

لكن رد الفعل كان قويا و سريعا من طرف قبيلة أولاد محبوب ضد حملة القائد طلوماسع و لكن نظرا لعدم تكافئ القوتين عتادا و عددا استطاع الفرنسيون لامكاناتهم المتفوقة من سلب أملاكهم و قد اشترطوا على الأطفال و العجزة من نساء و شيوخ أن يدلوهم على أسماء الذين شاركوا في المقاومة مقابل إعادة أملاكهم .(2)

إنها أخلاقيات الجنود و القادة الفرنسيين التي فاقت ظلما و جورا . فكانت المساومة عن الشرف و الكرامة ، و الأملاك . فهل هاته سمات أصحاب الحضارة ؟

و في 20 مارس عام 1844 ، تحركت القواة الفرنسية بقيادة ولدي الملك ، و هما الدوق دومال و الدوق مومبانسي ، في اتجاه بسكرة ، التي كان بها

1- A.M.G , 1 H94 , Voir lettre du Lieutenant Gle Commandant de la province de Constantine, le Duc d'Orleans au Marechal Gouverneur Gle de l'Algerie .

2- A.M.G , 1 H94 ,Lettre du Lieutenant...op.cit .

محمد الصغير بلحاج أحد أنصار الأمير عبد القادر. في الوقت نفسه ، خرجت قوة أخرى من سطيف في اتجاه غرب باتنة حيث يتمركز الحاج أحمد باي و أتباعه. و لكن الحملة على بسكرة كانت سهلة بالنسبة للعدو ، نظرا(1) لكشافة قوته و تنظيمها . فكانت عبارة عن ابراز عضلات فرنسا أمام مقاومة محتشمة. كما أن احتلال منطقة بسكرة سوف يسهل في نظر فرنسا عملية التغلغل داخل الصحراء ، خاصة المنطقة الممتدة ما بين أولاد سلطان و جبل الأوراس التي أصبحت معقلا للمقاومين ، كما تمت الإشارة إليه .

و إن كانت بسكرة سهلة المنال ، فإن قوة المقاومة التي تركزت على الكر و الفر ، قامت بالهجوم و بقوة على معسكر باتنة و بتدبير محكم من طرف قائدها الحاج أحمد

1- A.M.G ,H 261 / 5 , Lettre adressée à Monsieur le Marechal Bugeaud Gouverneur gle de l'Algerie, correspondance du Ministre de la guerre relative à l'Algerie .

باي الذي كانت خيمته منصوبة غير بعيد عن المعسكر.(1)

هذه الخيمة التي كانت عبارة قيادة عليا لمدرسة عسكرية لممارسة فنون الحرب، قد أثارت مخاوف الفرنسيين و أقلقتهم، فأطلقوا عليها إسم نادي المؤامرات و الدسائس و العصيان.(2)

لقد كان رد فعل الحاج أحمد باي على معسكر باتنة قويا و خاطفا، مما زاد في تخوف الفرنسيين منه. فالحاكم العام للجزائر كان متيقنا من قوة و نفوذ الحاج أحمد باي، مما دفعه إلى تجهيز حملة عسكرية من سبعة فرق إلى الجنوب، قصد تطويق المقاومة و بسط نفوذهم في منطقة الزيبان و الأوراس و الحضنة و جبل عمور،(3) و غيرها من المناطق الحرة.

و لقد ضخم الفرنسيون من حملة الدوق دومال على بسكرة، على الرغم من أنه وجدها خاوية على عروشها، فالملك الفرنسي إجتمع شخصيا مع مجلس النواب حول هذه الحملة

1- LADIMIR ,J, op.cit , P. 298 .

2- LADIMIR ,J, Ibid , P.29_ .

3- ROY , J.J.E, Histoire de l'Algerie,op.cit,P.321

إلى جانب الصحف التي اطنبت في ذكر الحدث
وتكلمت بافتخار عن الحملة [1]. ولكن الأمر في
حقيقته لا يعدو أن يكون مجرد حملة على
منطقة تركها رجالها خوفا من بطش العدو.

1- A.M.G , H 261 ,Correspondance du Ministre de la Guerre relative à l'Algerie datée du 20 Mars 1844 .

لم تدم نزهة الدوق دومال طويلا في بسكرة . فبمجرد أن دخلها ، حتى تناقلت الأخبار هجوم الحاج أحمد باي على معسكر باتنة ، مما اضطر الدوق إلى العودة بسرعة إلى باتنة في 21 مارس عام 1844 ، و خيبة الأمن تملؤه ، رغم اقتحامه بسكرة . و قد حاولت التقارير الفرنسية كعادتها تشويه حقيقة هجوم المقاومة على باتنة ، على أساس أن بعض شيوخ القبائل من أتباع الحاج أحمد باي ، بمنطقة الأوراس ، طلبوا إلتماس العذر و العفو عما صدر منهم ، من الدوق دومال و هو بدوره رفض عذرهم هذا . (1)

و لم يكن في وسع الدوق دومال إلا العودة من حيث أتى ، فحملاته لم تأت أكلها و لم تنجح ، حيث غادر باتنة في 25 مارس عائدا إلى قسنطينة التي وصلها في 28 من نفس الشهر و السنة ، (2) تحت وابل من الثلوج و البرد القارس من ناحية ، و الخوف من هجومات المقاومة الخاطفة ، التي اعتادها العدو ، من ناحية أخرى .

1- A.M.G , H229 , Rapport du Lieutenant de Gendarmerie M° Laporte datée à Constantine le 29 Mars 1844 .

2- A.M.G , H229 , Ibid..

٣

الفصل الرابع

المقاومة في جبال أولاد سلطان

في 20 أفريل عام 1844 قامت السلطات الفرنسية ، بالإقليم الشرقي ، بتجهيز حملة كبيرة تتكون من ستة (6) ألوية عسكرية ، انطلقت بعد إتمام تجهيزها مباشرة في اتجاه جبل أولاد سلطان ، حيث أقام هناك الحاج أحمد باي معسكره . و عند وصول القوات الفرنسية إلى المنطقة ، توقفت عند سفح الجبل لتجميع صفوفها ، و أخذ قسطا من الراحة ، و حتى يتمكن الأمير الفرنسي - حسب ظنه - مباغتة المقاومة.(1)

لكن هل هذه الأمور كانت خافية على الحاج أحمد باي ؟ و هل يعقل أن يترك للفرنسيين المجال مفتوحا لكي يهاجمونه على حين غرة و بالتالي يقضون على فرسانه ؟

ما عرف عن الحاج أحمد باي من خصال جعلته يقظا ، يرصد كل تحركات العدو الذي لا يستطيع مباغتته .

لقد احتدم الجمعان في حرب ضروس رغم أن المعركة كانت غير متكافئة . فقوات الحاج أحمد باي رغم شجاعة فرسانها واستبسالهم

---

1 - A.M.G , H261 , Rapport adressé à M° le Marechal Bugeaud Gouverneur gle de l'Algerie le 20 Mars 1844 .

فهم قوة غير منظمة و ليس لها دراية كافية بتكتيك حرب المواجهة. أما القوات الفرنسية، فقد كانت مدربة كما يجب على فنون الحرب و منظمة بكيفية تسمح لها بربح المعركة.

و مع ذلك، فقد كانت معركة حامية الوطيس، لم تتمكن القوات الفرنسية من إحراز أي تقدم، حيث خسرت العديد من رجالها، و استشهد من رجال الحاج أحمد باي عدد من المقاومين مما دفع البقية من الرجال إلى التراجع في خطة مضبوطة لدراسة الموقف. أما الفرنسيون، فقد استعملوا أسلوب الأرض المحروقة لإرهاب السكان المتعاونين مع المقاومة (1).

من ذلك أنهم عسكروا في الأراضي المزروعة و عاثوا فيها فسادا. و لقد أدرك الفرنسيون شجاعة الفرسان العرب و على رأسهم الحاج أحمد باي، مما دفعهم إلى طلب النجدة الفورية لتعزيز مراكز تجمعاتهم العسكرية، خاصة أنهم بدأوا يشعرون برياح الهزيمة تهب عليهم من كل حدب و صوب. و هكذا بدأت التعزيزات العسكرية تصلهم من عمالة سطيف تحت

---

1 - PERRAUD , charles, Le Sahara...,op.cit, p.360.

قيادة الجنرال سليق SYLLEGUE ، الذي غادر المدينة يوم 26 أبريل عام 1844 (1)

كيف لشيخ كبير و مسن مثل الحاج أحمد باي أن يحدث الغزع في صفوف القوات الفرنسية المدججة بالسلاح ؟ هذه شهادة تاريخية جاءت في إحدى التقارير الرسمية الفرنسية مفادها أن هذا الزعيم ليس بمقدوره تجميع قوة باستطاعتها مواجهة فرقة واحدة من الجيوش الفرنسية ، علما أن الفرقة مكونة من ألفين من المشاة و ستمائة حصان بفرسانها ، و ما بين ألفين و ثلاثة آلاف فارس متطوع (2)

و مع ذلك ، فإن مقاومة الحاج أحمد باي أثبتت قوتها ميدانيا رغم قلة عتادها العسكري إلى جانب ضآلة عدد فرسانها ، و رغم الأحوال الجوية التي صعبت تحرك القوات الفرنسية ، فإن طبيعة المنطقة الجبلية لأولاد سلطان هي الأخرى زادت من صعوبة مهمة الفرنسيين ، و بالتالي كانوا هدفا لبنادق المجاهدين ، من كل جهة ، مما جعل قتلى الفرنسيين من

1- FERRAUD, ch, Le Sahara..., op.cit, pp.363-364 .

2- A.M.G, 1 H94 , Service des opérations militaires, Alger le 24'Fervrier 1844 .

حيث العدد يفوق ما كانوا يتصورونه ، و لكن تقاريرهم لم تكن موضوعية في ذكر حقيقة وقائع المعركة على الرغم من الاشارة إلى تراجعهم أمام ضربات المجاهدين • و قد نسبوا هزيمتهم في هذه المعركة إلى سوء رؤية عدوهم بسبب تقلب الأحوال الجوية • فقد جاء في إحدى التقارير أن عدد القتلى و الجرحى لا يمكن إعطاؤه في تلك المرحلة بدقة ، و لكنهم ذكروا عددا تقريبيا وصل إلى تسعة و عشرين (29) ما بين قتيل و مفقود ، يضاف إلى ذلك سبعون (70) جريحا • كما أنه قتل القائد الفرنسي قالياس GALLIAS في هذه المعركة ، و هو القائد للكتيبة الثالثة للقناصين • كما ذكر التقرير أنه الضابط الوحيد الذي لقي حتفه ، و أصيب الكابتن ديرون DURON بدوره ، و هو الضابط الذي كان يرافق الدوق دومال ، إلى جانب ستة (6) ضباط آخرين أصيبوا هم أيضا (1)

A.M.G , H229, Camps de M'gaous le 21 Avril 1844-1 rapport du Lieutenant commandant du détachement de Gendarmerie faisant partie de l'expédition , M° RUSSE .

وبحلول 30 أبريل عام 1844، عسكر الفرنسيون في منطقة القرزي، وذلك بعد فشلهم في إخضاع مقاومة قبائل أولاد سلطان التي دبر لها الحاج أحمد باي. لذا لم يكن في وسعهم هذه المرة إلا التراجع عن معسكر مقاوس، وبالتالي تمركزوا على بعد خمسة كيلومترات (5كلم)، في منطقة تسمى طبغازة، التي غادروها ليعودوا مرة ثانية إلى منطقة القرزي. وخلال هذه التنقلات، لم ينجح الفرنسيون من رشقات بارود المقاومة.(1)

لقد كانت الفرصة سانحة للفرنسيين لأخذ قسط من الراحة إلى جانب إنتظار الإمدادات التي وصلتهم يوم 30 أبريل، عن طريق بعض الخونة وعلى رأسهم شيخ العرب بن قانة، الذي كان يطمح إلى المناصب، حيث عزز قوتهم بحوالي ألفين وخمسمائة رجل (2500)، منهم ما بين 800 إلى 1000 فارس إلى جانب القوة القادمة من سطيف.(2)

1- A.M.G , H229 ,Ibid .

2- A.M.G , H229 ,op.cit.

كان الهدف من تجميع هذه القوة الكبيرة ، و تعزيزها ، هو إعادة الكرة ثانية في القيام بهجوم كاسح لكسر شوكة المقاومة في هذه المنطقة الوعرة المسالك، هذه المقاومة التي استنفدت أمرها على الفرنسيين ، و بالتالي كانوا مضطرين لانتظار الوقت المناسب لخنق المقاومة مرة واحدة، و لكن رجال المقاومة بادروا إلى إشعال النار دون إطلاق البارود ليشعروا العدو الفرنسي بأنهم مازالوا على توقدهم (1) و أنهم مستعدون للجهاد في سبيل الدين و الوطن .

و في 31 ماي عام 1844 ، بدأت الحشود العسكرية تتواصل لتتمركز في المنطقة، و في الوقت نفسه، مرض الحاج أحمد باي مرضا شديدا جعله طريح الفراش لا يقوى على قيادة المقاومة و كانت الاستعدادات الفرنسية مكثفة و مركزة للقيام بهجوم على قبائل أولاد سلطان حلفاء الحاج أحمد باي. و قد بدأ الهجوم هذا في ماي عام 1844 ، إذ تحركت على إثره الفرقة الأولى في طليعة الجيش الفرنسي ، تحت القيادة

1- A.M.G , H225, op.cit .

على المقاومين في الوادي ، لكنهم تفطنوا لهذه العملية و بدأوا بإطلاق النار على العدو الفرنسي حتى يفسحوا المجال لباقي المقاومين من الانسحاب دون أن تصيبهم نيران العدو.(1)

أما بالنسبة لفرقة العدو الثانية،فإنها تمكنت من الوصول إلى قمة الجبل من الناحية اليمنى ، و التي تعرف بإسم "البير"،لأن الناحية اليسرى كانت بيد المقاومين و منفذا لهم ، و بالتالي دفع بالفرقة الثانية و فيلقين من الفرقة الأولى المكونة بقمة البير.(2)

و أمام خطورة الوضع ، من حيث تزايد عدد قوات العدو من جهة ، و ضمان وصول المؤونة له بأسرع وقت ، من جهة أخرى إلى جانب مرض الحاج أحمد باي ، و فقدانه للعديد من رجاله دون أن تكون هناك قوة إحتياطية بإمكانها شدّ أزره ، و تعزيز قوته التي تفتقر إلى العدّة و العدد بالمقابل مع قوات الاحتلال و بالتالي لم يكن في

1- A.O.M ,2H22,Rapport sur l'expédition des Ouled-Soultan au Bivouac de Ras-El-Aîoun le 31 Mai 1844, le chef du bataillon GAUBERT .

2- A..O.M , Ibid .

وسعه إلا الإنسحاب لترتيب أمور المقاومة من جديد ،

و على هذا الأساس تم نقل البطل الحاج أحمد باي لاشتداد مرضه ، على نعش لمكان آخر أكثر أمنا ، و بعيدا عن مناطق تواجد العدو (1)

لقد تمكنت المقاومة في هذه المعركة من قتل العديد من الجنود الفرنسيين و الضباط، و لم ينجو الخونة من الجزائريين ، من نار المقاومة كذلك ، و منهم مصطفى بن زكري و علي بن الزواوي اللذان كانا ينتميان إلى فرقة القناصة، و ماتا في الحين ،كما جرح كل من الطاهر بن أحمد و مسعود بن المدادحي و السعيد بن فرحات و السعيد العمراوي (2)

و في صبيحة 8 ماي 1844 ، بدأت المعركة للمرة الثالثة على التوالي في منطقة جبال أولاد سلطان ، و لم يكن من السهل على القوات الفرنسية إخماد المقاومة و الإستيلاء على المنطقة

1- FERRAUD, CHARLES, Le Sahhra..., op.cit, P. 364 .

2- A.O.M, 2H22, Rapport sur les opérations contre les Ouled Soultan par la 6° compagne du bataillon de tirailleurs indigènes de Constantine , G/6, N°8.

إذ كان رجال المقاومة، و رغم انسحاب الحاج أحمد باي نظرا لشدة مرضه، بقوا رابضين في النقاط الإستراتيجية التي لم يصل إليها العدو بقيادة الرائد طوماس THOMAS، الذي وكلت إليه هذه المهمة، على رأس فيلق القناصة الذي جاء من قسنطينة، و في هذه المرة لم ينجو العدو أيضا من نار المقاومين، الذين تمكنوا من إصابة عدد من القناصين منهم بلقاسم بن سي سليمان، و الديسي بن الجودي و كذلك لخضر بن محمد و الدراجي بن سماشي (1).

لكن قائمة العدو تبقى مفتوحة ما بين قتلى و مفقودين، مما يعكس ضراوة المعركة بين الطرفان، غير أن عدم التكافؤ بين القوتان، مكن الفرنسيين من الوصول إلى معسكر أولاد سلطان حيث استولوا على بعض الخيام و الأمتعة التي تركها ورائه الحاج أحمد باي، إلى جانب بعض قطعان المواشي، و البغال، و الحمير و الأحصنة (2).

و إذا كان الزعيم البطل الحاج أحمد باي خلال معاركه ضد العدو الفرنسي في أولاد سلطان

1- A.O.M, OP.CIT .

2- A.O.M, Ibid .

قد اعتمد على قوة لا تتجاوز السبعمائة فارس (700) ، ناهيك عن العدة العسكرية التي لا تتجاوز بعض البنادق ، و عدد قليل من الأحصنة ، فإن قوة العدو الفرنسي فاقت كل تصور ، ليس على أساس أن إبن ملك فرنسا هو الذي قاد هذه المعارك من الجانب الفرنسي ، إنما الحقيقة تكمن في قوة شخصية منافسهم الذي حسبوا له ألف حساب، إذ يمكن حصر أسماء بعض الضباط الفرنسيين الذين كانوا يوجهون جيش المحتلة ، منهم الملازم أول شوبان و الملازم أول لوستي و الكابتن ميرومو و الكابتن ميترسي ،[1] بالإضافة إلى الضباط الصغار و القناصة و رجال المدفعية و المشاة، و ما إلى ذلك من رتب عسكرية تمكن تنظيم الجيش.

و قد عز على البطل الحاج أحمد باي ، و هو على فراش المرض، هذه الحملة التي لازمته وقت الشدة ، أن لا يشارك إخوانه في وقت هم في أمس الحاجة إليه ، و لسان حاله يقول: " و لكن آلمني أنني لم أكن قادرا على المساهمة في المعركة ... و عز علي أن أبقى بعيدا عن الميدان"[2]

1- A.O.E , OP.CIT .

2- محمد العربي ، الزبيري ، المذكرات ... ، ص 94.

و بالتالي لم يكن بوسع الحاج أحمد باي المكوث بأولاد سلطان حيث نقل إلى إحدى الجبال المجاورة المسمى بجبل متليلي و قضى الليلة بهذا الجبل ، و في الصباح توجه مع رجاله إلى منطقة الدّبّية ، و هو في أسوء حال. و أثناء هذه الفترة كلها كان المرض قد اشتد به ، إلى درجة أنه لم يكن قادرا على السير و لا على ركوب الخيل ، بل قطع المسافة في نعش يحمله أعوانه على أكتافهم بالتناوب.[1] و كان قد ترك وراءه أمتعته و أوراقه و خيامه التي استولى عليها العدو و ذلك لأن خوف أنصاره عليه جعلهم يعجّلون بالاسراع في إبعاده عن أنظار العدو،[2] لأنهم مازالوا بأمس الحاجة إلى آرائه و نصائحه . ففي تلك اللحظات لم يكن بوسعه إتخاذ أي إجراء و هو في أسوء حال .

لقد وقع أنصاره في حيرة و حسرة ، حيث لجؤوا به إلى منطقة المنعة عند أحد أنصاره و هو الشيخ إبن العباس الذي ترك عنده بقية أمتعته و أفراد أسرته ، إلى أن شفي من مرضه.

1- محمد العربي ، الزبيري ، المذكرات... ، 94 .

2- نفسه ، ص 95

و لكن حب الوطن و عزّة النفس أبت فيه إلا أن تدفعه إلى إشهار سلاحه مرة ثانية في وجه الفرنسيين، و ما أن سمع بخروج قائد منطقة القالة بحملة قوامها مائة (100) رجل، حتى استنفر القبائل ضدها. و كان متعمد هذه الحملة المنطقة المسماة بوادي الحوت، و قد اعتبرها قائد الحملة عبارة عن نزهة عسكرية، لكنه عند عودته فوجئ بهجوم القبائل على عساكره على حين غرّة، و احتدم القتال بين الطرفان في معركة دامت مدة من الزمن (1). و كعادة التقارير الفرنسية جحدت في ذكر الحقيقة، و تعمدت في رفع معنويات جيوشها، رغم الهزائم التي منيت بها و الخسائر التي تكبدتها. ففي هذه المعركة يذكر الكابتن بريان ، أن العرب فقدوا ثمانية رجال و خمسة عشر جريح، أما بالنسبة للفرنسيين فقدوا ثلاثة قتلى و ثلاثة جرحى (2)

1— A.M.G ,H261 , Registre B, correspondance du general de la subdivision de BÔNE RANDON , avec le general commandant de la province de Constantine du 29 Mars 1844 au 07 Juillet 1845 , lettre N°28 .

2— A.M.G , H261 , Ibid .

إنه لمحمري المنطلق الفرنسي الذي شوه تاريخ مقاومة الشعب الجزائري على مرّ العصور و الأزمنة ، و لم يترك فجوة إلا و نفذ منها ليجعل من فرنسا القوة الغالبة التي لا تعرف الهزيمة. و من ناحية أخرى ، فإن فقدان المصدر الجزائري بالنسبة لتاريخنا ، زاد في عمق الهوة ، و صعّب من ايجاد مقارنة لمعرفة مدى صحة الأخبار .

العنصر الخامس

فشل الحملات الفرنسية في تقويض مقاومة الحاج أحمد باي

بعد كل ما قام به الدون دومال ، فهل نجحت حملاته في إخضاع الإقليم الشرقي خضوعا كليا ؟ أم أن تضخيمها من طرف السلطات الفرنسية فاق حجمها الحقيقي ؟ .

إن هذه الحملات ألتي قادها ابن ملك فرنسا لم تأت أكلها ، لأن زعيم المقاومة هنا زال على قيد الحياة . فهو المحرك الأساسي لها ، و العقبة الصعبة التي تقف في وجه فرنسا و محاولاتها بسط نفوذها شرقا .

كما جاء في إحدى التقارير ، أن فرنسا في نهاية المطاف لم تلق أمامها أية صعوبة ما عدى بعض العوائق البسيطة جدا ، و حتى الآن تتوجه بسرعة لاحتلال الجنوب.(1) ولكن ما نوع هذه العوائق البسيطة حسب ظن الفرنسيين ، ومن يقف وراءها ؟ .

حتى و إن كانت بسيطة ، فإن هناك ثمة إعتراف ضمني فرنسي بمقاومة جزائرية رفضت

1 - A.M.G , H229, Mémoires datées du 15 Juin 1844, sur la marche des grandes caravanes de l'Afrique centrale et sur les moyens employés pour les faire arriver à Constantine .

الإحتلال الفرنسي من أساسه. إنها المقاومة التي وقف وراءها الحاج أحمد باي من باتنة إلى تبسة و بسكرة و الأوراس ، فكل مناطق الشرق الجزائري كان الحاج أحمد باي يتفقدها بفرسانه ، و يكون عند الحاجة إذا دعته قبيلة لحمايتها و دحر العدو الفرنسي .فلم يتوان مرة في تقديم المساعدة للقبائل الرافضة للاستعمار، عدا الفترة التي عانى منها الأمرين ، المرض الشديد الذي أصابه من جهة و تقدم السن من جهة أخرى .

و مع ذلك ، فإن الفرنسيين كانوا يخشونه إلى درجة رهيبة ، فهو الذي دب فيهم الرعب، مما دفعهم إلى تقصي أخباره و تحركاته التي كانت تفاجؤهم بين آونة وأخرى ، و أدى بهم الشك أن معارك أولاد سلطان كانت المطاف الأخير بالنسبة له ، لأن فرنسا فقدت خيرة أبنائها في هذه المعارك. فقد كانت هزيمة تضاف إلى هزائمها ، و من أبنائها الرائد قاليانس GALLIAS ، الذي اقترن فيما سبق ترشيحه إلى رتبة مقدم للملك (1) ، قبل أن

1- A.M.G, H261 ,Rapport daté du 20 Juin 1844 à S.A.R Magt le duc d'Aumale commandant de la province de Constantine .

تتعلق به مناطق المقاومة .

و نظرا لفشل فرنسا في حملاتها على أغلبية المناطق الشرقية ، قصد محاصرة المقاومة ، و تحقيق الحلم الذي راود قادتها في إلقاء القبض على زعيم المقاومة الحاج أحمد باي ، و ذلك للتمكن من بسط نفوذها ، فإنها قد عمدت إلى طريقة أكثر خبثا و احتقارا ، تمثلت في محاولتها جر بعض قبائل الأوراس ، القوة الفعالة التي يستند عليها الحاج أحمد باي إلى المحادثات معها ، متجنبة في ذلك أسلوب إخضاع هذه القبائل بالقوة .(1)

إنها ميزة الفرنسيين في حرب الصحراء الجزائري و إحداث الشقاق فيه ، و ذلك تمهيد تسهيل عملية احتلال آخر معقل للمقاومة نظرا لحصانته الشديدة ، و من ثم يمكنها بسط نفوذها على الإقليم الشرقي كله بما في ذلك المناطق الصحراوية و شبه الصحراوية .

و في كل مرة ، كان القادة الفرنسيون يركزون على النقاط الإستراتيجية الهامة التي تعتبر بوابات على المناطق المتبقية مثل باتنة

---

1 – A.M.G ,H261 , OP.CIT .

وبسكرة وتبسة وقالمة والقالة وعنابة وسطيف كلها مناطق استوجب على الفرنسيين حراستها حراسة مشددة، ذلك أن كل ضربات المقاومة كانت مدققة وعنيفة في هذه المناطق. (1)

ومع نهاية عام 1844، كان الفشل يخيم على الحملات الفرنسية، لأنها لم تصل إلى ضرب المقاومة بل اكتفت بسلب أملاك السكان العزل. كما أن المقاومة في حد ذاتها سادها نوع من الركود يعود أساسه إلى عوامل عدة، منها أنه لا بد لها أن تسترجع أنفاسها لمواصلة الكفاح المسلح لمراحل جديدة تكون أكثر أهمية عن ذي قبل، إذ أن قوة المقاومة كانت بحاجة ماسة إلى ترميم نفسها وتعميقها، وإلى دراسة تكون أكثر عمقا تتماشى ومتطلبات الواقع العسكري الذي فرضته عليها الظروف وبالتالي يكون لزاما عليها تغيير خططها.

وقد كانت الفرصة سانحة للمقاومة لتعود من جديد وبقوة، خاصة بعد تلقي الدوق دومال قائد الاقليم الشرقي أمر ملك فرنسا بالتوقف عن كل الحملات، وعلى الأخص الحملات المتوجهة إلى جبال الأوراس، وذلك عن طريق المارشال

---

1 — A.M.G , H261 , OP.CIT .

بيجو الحاكم العام للجزائر الذي رد هذا الأمر بسبب دخول فرنسا الحرب مع المغرب الأقصى (1).

و بالتالي ، فإن القوات الفرنسية قامت بعدة أعمال في معسكر باتنة و باقي المعسكرات الأخرى قصد تأمين مراكز تجمعها من الهجمات المباغتة و المتوقعة من طرف المقاومين حيث أن العقيد هربيون الذي كان يشرف على تلك الأعمال لم يستطع أن يحقق أي تقدم في جلب قبائل الأوراس إلى صفه ضد الحاج أحمد باي ، خاصة و أن قواته بدأ يظهر عليها نوع من الإرهاق و التعب (2).

---

1 _ A.M.G,15/H261, Rapport daté le 24 Juillet 1844 à M° le Marechal Bugeaud gouverneur gle de l'Algérie .

2 _

الباب الثاني

الحاج أحمد باي المقاوم

الفصل الثالث

1ـ الحاج أحمد باي يعتصم بجبال الأوراس.

2ـ دعم الحاج أحمد باي لقبائل وادي عبدي.

3ـ فرنسا تطبق سياسة الأرض المحروقة لإخضاع القبائل.

4ـ الحاج أحمد باي يذكي نار المقاومة بين قبائل الأوراس.

5ـ الحاج أحمد باي يذكي نار المقاومة بين قبائل الجنوب الشرقي.

6ـ بداية نهاية مقاومة الحاج أحمد باي.

العنصر الأول

الحاج أحمد باي يعتصم بجبال الأوراس

لقد بقيت الحدود الشرقية الممول الأساسي للمقاومة في الشرق الجزائري، بما تحتاجه من عتاد و مأونة. و قد أدركت فرنسا هذه الأهمية البالغة، فسارعت إلى مراقبتها و تشديد الخناق على الحدود مع تونس، و هذا ما أكدته إحدى التقارير الفرنسية التي عكست هذه الأهمية بما يلي ((إذا أردنا التقليل من طبيعة المشاكل، يجب أن نعمل على عزل هذه الاتصالات على الحدود و صد كل الأعمال التخريبية التي واجهناها في حملاتنا ضد سكان الأوراس، و بذلك سوف نعطي لحدودنا في الشرق وجها مشرفا)) (1).

غير أن هذه المراقبة الشديدة لم تكن تثني من عزيمة رجال المقاومة في مواجهة الاحتلال الفرنسي، و تحدي قوته باجتياز الحدود الشرقية للتموين، مما زاد تخوف

---

1 — A.N.G ,1H94,DIRECTION DES AFFAIRES DE L'ALGERIE, bureau des affaires politiques et civiles et du PERSONNEL,PARIS LE 7 FEVRIER 1945.NOTE POUR LE MINISTRE,DOCUMENT N°32,SIGNE LE CONSEILLER D'ETAT .

الفرنسيين خاصة و أن منطقتي الحضنة، وعلى الأخص منطقة جبال الأوراس، التي أصبحت معقلا حصينا لرجال المقاومة، وعلى رأسهم الشيخ البطل الحاج أحمد باي. ومع هذه المنطقة بالذات، تم على يد أحمد باي توجيه القبائل في هجوماتها ضد العدو الفرنسي.

وبحلول شهر أبريل، بدأت التجهيزات العسكرية المكثفة للقيام بحملة على منطقة الأوراس التي أصبحت تشكل خطرا كبيرا ليس على أمن فرنسا في الإقليم الشرقي فحسب، إنما على القبائل التي خضعت عنوة لها كذلك. وقد تولى الفريق بيدو BEDEAU قيادة هذه الحملة العسكرية. (1)

ولقد اجتمعت قوات هذه الحملة الموجهة ضد جبال الأوراس بمعسكر لها بمنطقة باتنة، لوضع الترتيبات النهائية قبل التحرك، كما كانت تتكون من الأعداد التالية / المدفعية، حيث أوكلت مهمتها

A.M.G ,H212 , DOCUMENT N° 32 . - 1

إلى الرائد باريزات PARIZET ، و تشتمل على بطارية من ستة قطع خاصة بالجبال ، و كانت تحت قيادة الكابتن أوحيير OHIER ، و فوج يتكون من ثلاثين (30) جندي مختص في بنادق المواجهة بقيادة الملازم أول ماريون MARION . أما فرقة المشاة ، فقد أوكلت مهمتها إلى الجنرال ليفاسور LEVASSEUR ، و الكولونيل هربيون ، حيث عين الأول على رأس الفرقة الأولى التي تتكون من فوج يشمل كتيبتين ، إلى جانب الكتيبتين التاسعة عشر و الثانية و العشرون اللتان أوكلت مهمتهما إلى العقيد شاسلوب CHASSELOUP ، بالإضافة إلى كتيبتين أخرتين تحت قيادة العقيد ريغو REGEAU ، و كتيبة أخرى بقيادة الرائد توماس THOMAS ، و نصف كتيبة للمدفعية الخفيفة بقيادة الكابتن هامبان HOLBIN . أما العقيد هربيون فقد أوكلت له مهمة الفرقة الثانية التي كانت تتكون مما يلي /

فوجان تحت قيادة العقيد بوطافوكو BUTTAFEUCO ،

و فوجان آخران بقيادة المقدم بايسار PEYSSARD ،

و فوج من اللفيف الأجنبي بقيادة المقدم

ماكماهون MAC - MAHON ، كما أنه تم تعزيز صفوف الحملة الفرنسية إلى جانب المدفعية والمشاة ، فرقة الخيالة التي أوكلت مهمتها إلى العقيد نوال NOËL . وكانت تتكون من كوكبتين من القناصة بقيادة الرائد دوسيغني DE SIGNY ، وكوكبتين من الصبايحية بقيادة الرائد كاسينول CASSAIGNOLES ، يضاف إلى ذلك المصالح الإدارية المتكونة مما يلي /

قسم الإسعاف بقيادة المساعد نقيب شرامبتون SCHRIMPTON ، إلى جانب قوة خاصة للإشراف على الأحمال ، وهي مكونة من ستين (60) بغلا بقيادة الرائد شارونيت CHARONNET ، وكذلك المقتصد العسكري دوبري DUPRE الذي بقي بعد رحيل الحملة مؤقتا في باتنة لضمان احتياجات المعسكر (1) .

في أول ماي 1845 ، أعطيت إشارة الإنطلاقة للحملة الفرنسية في اتجاه جبال الأوراس ، حيث أن هذه المهمة بالنسبة للفرنسيين لم تكن سهلة ، مثلما كانوا يتصورون . فمنذ أن تحركت

1- A.N.G,H212 , RAPPORT DU LIEUTENANT GENERAL,COMMANDANT DE LA DIVISION , SIGNE PAR BEDEAU .

هذه الحملة و رجال المقاومة و على رأسهم الحاج أحمد باي يراقبون تنقلاتها إلى غاية دخولها وادي "مرجة ياقوت"، حيث تفطن العدو لوجود المقاومين على قمم جبال المنطقة (1).

و في 3 ماي من عام 1845، و على الساعة السادسة و نصف، حاولت ثلاث كتائب للعدو الفرنسي تسلق الجبل في منطقتين الأولى تسمى (قم قسنطينة) شمالا، و الثانية تسمى قم الطوب من ناحية أخرى. و بالتالي أصبحت المقاومة أمام العدو في المنطقة المسماة بـ "الفرطاس"، و أصبح العدو الفرنسي في متناول نيرانها، حيث أسقطت العديد من القتلى في صفوفه (2)، لأنه ليس من المنطق في شيء أن يترك رجال المقاومة فرصة كهاته تفوتهم، دون أن يعرقلوا سير هذه الحملة الكبيرة و الثقيلة عددا و عدة. هذه الحملة التي استطاعت الوصول إلى الكدية المسماة بـ "النتن"

1- A.M.G,H212 ,JOURNAL DES MARCHES ET OPERATIONS DE LA COLONNE OPERANT DANS L'AURES, EN MAI ET JUIN 1845 .

2- IBID .

و منها مباشرة تمركزت في نقطة أخرى إسمها (ثنية الخرشف) الموجودة بأولاد داود ، غير أن هذا التنقل أغاد قائمة أخرى إلى قتلاهم وجرحاهم من دون شك، حتى وإن كانت هناك إعترافات بسيطة من طرف الفرنسيين أنفسهم . فالجنرال بيدو نفسه اعترف بأن هناك عدد من الجرحى في صفوف قواته التي لم تفقد نفسا واحدة (1) .

و بحلول 8 ماي من نفس العام، وقعت معركة بين المقاومة و العدو الفرنسي بالمنطقة المسماة "الحمام" ، حيث حشد فيها هذا الأخير قوات كبيرة بقيادة الجنرال لوفاسور LEVASSEUR ، وكانت مكونة من المدفعية و المشاة و الخيالة. أما المقاومة، فكانت تتكون من عدد بسيط من الفرسان، ومع ذلك فإن عددهم لم يفق العشرون (2) .

لم يكن بوسع المقاومة في هذه المعركة غير المتكافئة من حيث القوة، إلا الانسحاب إلى أعالي الجبال لاسترجاع الأنفاس، و تنظيم

---

1 - A.M.G, H 212 , JOURNAL DES MARCHES... OP. CIT .

2 - IBID .

هجوماتها،لأن الفرنسيين كانوا يستعملون سلاح المدفعية بكثرة، مما أعاق هجوماتهم من حين لآخر. وعند عودة الفرقة الثانية بقيادة "هربيون" إلى معسكرها في منطقة "مدينة" بالقرب من وادي "الغبار"، اصطدمت بقوة المقاومة في المنطقة المسماة "تامزة"، حيث سقط عدد من القتلى و الجرحى من كلا الطرفين (1).

و بحلول 15 ماي 1845، لم يستطع القائد الفرنسي "هربيون" مواصلة المعارك، نظرا لما أصاب فرقته من خسائر مادية و معنوية، مما اضطره إلى الانسحاب إلى باتنة حاملا جرحاه و مرضاه، و حتى يزود قوته من ناحية أخرى بالعدد و العتاد عند عودته ثانية (2).

و في نفس الوقت، توجه القائد الفرنسي بيدو BEDEAU بقواته من منطقة "مدينة" إلى

---

1 - A.M.G , H 210 , JOURNAL DES MARCHES ET OPERATIONS DE LA COLONNE EXPEDITIONNAIRE DE L' AURES, MAI 1845 , SITUATION N° 4 .

2 - IBID , SITUATION N° 5 .

وادي عبدي ، و لكن المسالك في هذه المنطقة صعبة جدا ، مما أعاق سير العدو الفرنسي ، و بالأخص المدفعية الثقيلة. كما أن مرور هذه القوة ببعض المناطق ، مثل أولاد موسى بن عبد الله ، و أولاد داود و العجاجة ، دفعها الى سلب و نهب خيراتها و بهائمها ، لتصل الى منطقة " ثنية زروالة " في 18 ماي ، و التي تشرف على قبائل أولاد عبدي ، بعد قيامها باستطلاعات مكثفة للطريق المؤدي لهذه القبائل خشية أن تباغتهم مجموعات المقاومة (1) .

A.M.G , H 210 , JOURNAL DES MARCHES...SITUATION N° 5 . — 1

العنصر الثاني

دعم الحاج أحمد باي لقبائل وادي عبدي .

لقد أدركت قبائل أولاد عبدي فخامة القوة الفرنسية الموجهة ضدهم، و أنه ليس بمقدورهم مواجهتها إلا إذا كانت هناك شخصية محنكة باستطاعتها أخذ يدهم و تنظيم صفوفهم، على الرغم من قلة عددهم، إذا ما قورنوا بعدد قوات العدو الفرنسي. و بالتالي، كان لزاما عليهم في تلك الظروف الصعبة الاستنجاد بالبطل الحاج أحمد باي، فبعثوا له على الفور يطلبون مساندته لهم ضد عدوهم. و لم يكن بوسع الحاج أحمد باي رفض طلب كهذا، فهم أبناء وطنه، لذلك لبى الدعوة و تحرك بسرعة بفرسانه. و عند وصوله، وجدهم مختلفون في الرأي، فحذرهم من خطورة الموقف، و حاول جمع شملهم آخذا بعين الاعتبار أن هذا الإنقسام سوف يجعلهم لقمة سائغة في متناول العدو، خاصة و أنهم رفضوا رفضا قاطعا فكرة الاستسلام التي دعاهم إليها قائد القوات الفرنسية. و هذا ما دفع الحاج أحمد باي لشرح موقفه على أنه لا يستطيع أن يحارب معهم في هذا الجو المفعم بالتشتت و بالتالي لا يريد أن يعرض فرسانه إلى هزيمة

تكون بمثابة صفعة قوية له بسببهم ،إلا أنه لم يتوان في تقديم النصيحة لهم (1) .

إن تمسك أولاد عبدي بفكرة المقاومة خاصة و أن الحاج أحمد باي بجانبهم ،زاده هذا الموقف البطولي عزيمة قوية، و رأى من جانبه أن في ذلك خيرا لدحر العدو الكافر. و وقعت المعركة في مناطق هامة منها عيدوسة، حيث تمركز قناصة المقاومة في المناطق الكثيفة الأشجار لقطع الطريق على العدو و مهاجمته (2) .

و نظرا للوضع غير المتكافئ بين قوة المقاومة و قوة العدو الفرنسي، فإن المعركة لم تكن متوازنة. و ما إن احتدم الطرفان في المعركة، حتى اشتدت نارها مما أجبر المقاومة على الانسحاب أمام قوة العدو الفرنسي المنظمة، إثرها تقهقر الفرسان إلى الخلف تاركين المجال للعدو الذي لم يترك لا الأخضر و لا اليابس وراءه، و لم تسلم القرى من الخراب و الدمار و إضرام النار في محاصيلها مثل نارة و المنعة و عيدوسة و حدمة (3) .

1- محمد العربي الزبيري، المذكرات... ،ص. 95 .

2- A.N.G ,H 212 , OP.CIT ,DATE DU 20 MAI 1845 .

3- يحي بوعزيز، معارك الحاج أحمد باي...ص. 139 .

إن ما حققه العدو الفرنسي في هذه المعركة من انتصار يعود بالدرجة الأولى إلى استعماله لسلاح المدفعية ، الذي كان يصيب مواقع المقاومة من بعيد ، و بالتالي سمح لقوات العدو من المشاة بالتحرك من ناحية أخرى ، صوب القرى ، مما استلزم على المقاومين اللجوء إلى أعالي الجبال لتحصين أنفسهم ، و ليكونوا بعيدين عن مدافع العدو. هذا الأخير الذي وجد نفسه طليقا ، فبدأ بحرق ثلاثة قرى بأكملها ليستعرض عضلاته ، قصد تخويف القبائل الأخرى ، حتى لا تثور مثلما فعلت قبائل أولاد عبدي (1) .

غير أن وضعية هذه المعارك التي آل مصيرها إلى انتصار العدو الفرنسي ، فإنها لم تنعكس بالسلب على المقاومة التي تزعمها أولاد عبدي فقط ، و إنما تسببت من جهة أخرى في إعطاء درس للقوات الفرنسية من طرف قوة المقاومة التي تقل عنها عددا و عدة ،

---

1 – A.M.G ,H 212 , OP.CIT .

مما أدى إلى سقوط العديد من القتلى في صفوفه (1).

و بحلول 21 ماي عام 1845، لاذت قوات العدو الفرنسي إلى الراحة، لتستأنف سيرها، في احتلال المدن و القرى، و بالتالي تتمكن من ملاحقة الحاج أحمد باي، الذي ما زال يشكل خطرا على أمن الفرنسيين في الإقليم الشرقي، مما دفع بالعدو إلى إقتفاء أثر هذا البطل، إذ حل يوم 22 من نفس الشهر بوادي عبدي في اتجاه "المنعة"، المنطقة التي كان قد وصلها الحاج أحمد باي بفرسانه، عند عودته من المعارك (2).

و بالتالي، فإنه لم يكن من السهل على قواة الإحتلال الفرنسي وصول هذه المنطقة الصعبة المسالك و الصخرية التكوين إلا بعد جهد جهيد.

لقد كان العدو الفرنسي يخرب كل قرية وطئت فيها أقدامه القذرة، فكان يحرق محاصيلها

1- A.M.G , H 212 , OP.CIT .

2- A.M.G , H 210 , OP.CIT .

و يستولي على مواشيها، لتزويد جيوشه بما يحتاجه من مؤن، و إجبار السكان العزل بالقوة على تقديم كل ما يملكونه من قوت و علف و تبن، و بالتالي كان مصير الذي يرفض ذلك الإمتثال هو القتل الشنيع، و هذا ما جاء على لسان قائد الحملة نفسه بقوله ((هناك قبيلة رفضت دفع المال، و بالتالي ما كان أن حلّت الساعة الرابعة، حتى جعلنا حقولها مراعي لنا، و جمّعنا الحطب في حدائقها، و ما أن حلّ المساء حتى سارعت إلى إحضار المال، و تعهدت بإحضار ما تملكه من الأبقار في يوم الغد[1])).

و هكذا اتسمت سياسة فرنسا الإحتلالية بأبشع الصور، حيث يضيف نفس القائد بأنه على الساعة الحادية عشر من يوم 26 ماي عام 1845، أصبحت ممتلكات السكان خاصة الحقول، بالنسبة للذين رفضوا دفع الضرائب، كلها مراعي لحيونات العدو من بغال و خيول و حمير. و لم يكتف العدو عند هذا الحد، بل جعل من

1- A.M.G , H 212 , OP.CIT .

هذه الحقول ميدانا للرقص للتخفيف عن أنفسهم من عناء المعارك و مشقات المسالك (1) .

في الوقت نفسه كان الحاج أحمد باي يراقب تحركات العدو الفرنسي الذي غادر وادي بريار المسمى بواد فضل الله، و الذي بدوره ينتهي عند وادي القنطرة، و يمر بمرجة القصور في السهول المفتوحة على التل بمنطقة الزيبان. و عليه لم تكن هذه القوة أية مقاومة تذكر من طرف أتباع الحاج أحمد باي. هذا الأخير الذي انسحب إلى قرية الكباش بجبل أحمر خدو، حيث نزل عند أولاد عبد الرحمن، و احتمى بهم (2) .

أما القوة الفرنسية من جهتها، فقد واصلت حملتها الجهنمية متوجهة إلى أولاد داوود بمحاذات جبل زواق، و ذلك بتاريخ 2 جوان 1845، لتصل قبلها إلى وادي نوغيس، و منه إلى المنطقة المسماة ب "الماء الأبيض" (+)

1- A.M.G , H 212 , OP.CIT .

2- CHARLES , FERRAUD , LE SAHARA... , OP.CIT , P. 391 .

(+) الماء الأبيض، نسبة إلى منبع ماء بجبل زواق بالأوراس.

بجبل زواق، حيث انتشرت قوات العدو في كل المناطق التي تم احتلالها لتنتقل إلى مناطق أخرى (1).

و مرورا بالقرب من الممر المسمى بـ "خنقة الدير"، اقتربت القوات الفرنسية من مدينة "شمورة" التابعة لأولاد سليمان، حيث وقعت معركة اعتمد فيها المقاومون على الكر و الفر، إذ تعرضت مؤخرة الجيش الفرنسي لضربات المقاومة التي تضمنت بني سليمان و التوابة، الذين رفضوا الإذعان لأوامر الفرنسيين في دفع الضرائب و الإستسلام لهم (2).

و بالتالي كان لزاما على القوات الفرنسية أن تعسكر ليلا لجمع جرحاهم الذين لم يأت إحصاؤهم منطقيا، إذ كانت تقاريرهم كعادتها مغايرة لمنطق الحقيقة التاريخية، بحيث ذكرت إحداها أنه جرح واحد فقط كان قد أصيب إصابة خطيرة، و ينتمي إلى الفوج الواحد و الستين (61) للحملة (3).

1- A.M.G , H 212 , OP.CIT .

2- محمد العربي، الزبيري، المذكرات...، ص 96 .

3- A.M.G , H 212 , OP.CIT .

العنصر الثالث

فرنسا تطبق سياسة الأرض المحروقة لإخضاع القبائل .

إن ممارسات الفرنسيين القمعية ضد السكان العزل فاقت كل تصور، فقد أصبح كل جزائري يرفض السلطة الفرنسية متمرد و خارج عن القانون، و بالتالي لا بد من معاقبته أشد العقاب.

ففي 6 جوان عام 1845، تحركت القوات الفرنسية و ذلك على الساعة السادسة لتصل إلى وادي بني سليمان، و منه إلى مدينة "خيوط"، التي احتلها الفرنسيون بالقوة، و عاثوا فيها فسادا و خرابا، و منها إلى مدينة "كسير" التي شهدت نفس المصير الذي آلت إليه المدن السابقة الذكر، لأنها قاومت العدو الأجنبي بضراوة، حيث ذكرتها بعض المصادر الفرنسية و قالت أن الأوامر أعطيت للفيلق الثاني لاشعال النار في المدينة، و القيام بالأعمال التخريبية، مع ضرورة حماية بقية الجيش الفرنسي من الهجومات التي انهالت عليه من طرف المقاومة، و التي قدر عدد رجالها ما بين أربعين إلى خمسين مقاوم فقط [(1)]

1 – A.N.G , H 212 , OP.CIT .

غير أن هذه القوة الفرنسية عندما تحركت من مدينة "خيوط" في اتجاه مناطق أخرى واجهت عدة عوائق طبيعية تعود إلى طبيعة و مناخ المناطق شبه الصحراوية، و بالتالي استلزم عليها الأمر للتوقف بواد "الأريان"، و هي عبارة عن مستنقع للمياه لا تصلح إلا للسقي، تقرب منطقة إسمها " جار الله"، و هنا باغت المقاومون العدو على حين غرّة، و انهالوا عليه بوابل من الرصاص، كان وراء سقوط العديد من العساكر الفرنسية، مما أحدث الإضطراب في صفوفهم، غير أن ردّ فعل العدو الفرنسي ، نظرا لضخامة قوته، كان سريعا و تمثل كعادة فرنسا في إحراق مخزن للحبوب لبني سليمان الذين نجوا بأنفسهم و اعتصموا بمغارة" جار الله"، و بالتالي أضرمت النار في المدينة كلها من طرف قوات الإحتلال (1).

و بحلول 9 جوان عام 1845، توجهت الحملة الفرنسية إلى خنقة سيدي ناجي مرورا بمدينة "البل"، فأحدثت فيها الخراب، و من هذه الأخيرة إلى جبل "برجة" ثم حوض وادي القبلة (2)، حيث كان القصد من وراء ذلك هو إخضاع القبائل التي بقيت على ولائها للحاج أحمد باي، بحد السيف.

1- A.M.G , H 212 , OP.CIT .

2- A.M.G , IBID .

العنصر الرابع

الحاج أحمد باي يذكي نار المقاومة بين قبائل الأوراس.

غير أن هذه القوة الفرنسية عندما تحركت من مدينة "خيوط" في اتجاه مناطق أخرى واجهت عدة عوائق طبيعية تعود إلى طبيعة و مناخ المناطق شبه الصحراوية، و بالتالي استلزم عليها الأمر للتوقف بواد "الأريان"، و هي عبارة عن مستنقع للمياه، لا تصلح إلا للسقي، قرب منطقة إسمها " جار الله"، و هنا باغت المقاومون العدو على حين غرّة، و انهالوا عليه بوابل من الرصاص، كان وراء سقوط العديد من العساكر الفرنسية، مما أحدث الإضطراب في صفوفهم،غير أن ردّ فعل العدو الفرنسي ، نظرا لضخامة قوته،كان سريعا و تمثل كعادة فرنسا في إحراق مخزن للحبوب لبني سليمان الذين نجوا بأنفسهم و اعتصموا بمغارة" جارالله"،و بالتالي أضرمت النار في المدينة كلها من طرف قوات الإحتلال (1).

و بحلول 9 جوان عام 1845، توجهت الحملة الفرنسية إلى خنقة سيدي ناجي مرورا بمدينة "البل"، فأحدثت فيها الخراب، و من هذه الأخيرة إلى جبل "برجة" ثم حوض وادي القبلة (2)، حيث كان القصد من وراء ذلك هو إخضاع القبائل التي بقيت على ولائها للحاج أحمد باي، بحد السيف.

1- A.M.G , H 212 , OP.CIT .

2- A.M.G , IBID .

إن لجوء الحاج أحمد باي إلى أولاد عبد الرحمن زاد قوة و عزما على مواجهة العدو الفرنسي الذي جهّز حمله عسكرية ما بين جوان و جويلية عام 1845، حيث كان مقر إنطلاقتها مدينة سطيف في اتجاه الحضنة و أحوازها. و كانت هذه القوة تتكون من تسعة و أربعين ضابطا (49)، و ألف و أربع مائة و ستة و تسعين (1496) عسكري، وحوالي ثلاثمائة و خمسة عشر (315) حصانا و سبعة و خمسون بغلا (57) لحمل الذخيرة و التموين.
و من ضباطها العقيد شاسلوب·لوباز و الكابتن مسمر LESMER، و الكبتن لوباف leBOEUF و الكابتن بروييات BRUILLET، و الطبيب داكجي DACGE. و في هذه الأثناء كانت التي يشرف عليها العقيد رقان REGEAN متمركزة في منطقه وادي مقرة، حيث بعث برسالة إلى القائد العام للحملة يوضح له فيها ما آل إليه الوضع في أولاد عبد الرحمن، خاصة بعد إلتحاق الحاج أحمد باي بهم، إذ لم يرضخ -1

-1 A.N.G , H 212 , SUBDIVISION DE SETIF , COLONNE EXPEDITIONNAIRE DE SETIF , LE 6 JUIN 1845 , ENTREE LE 21 JUILLET .

قائدهم لأوامر الفرنسيين ، و هو الشيخ علي بوزيد ، و المتعلقة بجباية الضرائب عن طريق جمع الأموال و المحاصيل الزراعية من القبائل ، إلى جانب تقديم يد المساعدة للرافضين للحكم الأجنبي . و هذا ما دفعه إلى تحريك قواته لاخضاع هذه القبائل . اثرها قام بحملة كبيرة جاءت على الأخضر و اليابس غير أنه في هذه الفترة بالذات فوجئت بقوة أولاد عبد الرحمن التي هاجمتها من كل جهة و استولت على العديد من المواشي التي كانت بحوزة الفرنسيين ، الذين كانوا قد سلبوها من قبل من الأهالي .

غير أن الأمر المبالغ فيه من طرف الوثائق الفرنسية ، المتعلقة بمعركة أولاد عبد الرحمن ، هو أن قوات المقاومة بلغت ستة مائة فارس (600) كاملة . أما قواتهم ، فإنها كانت عبارة عن مجموعة من فرسان الصبايحية ، لا يتجاوز عددهم المائة و العشرون رجلا (120) . و مع ذلك فقد استمرت المعركة قرابة خمس ساعات كاملة ، أسفرت عن مقتل أربعة فقط من صفوف العدو الفرنسي و جرح سبعة عشر آخرين.(1)

1- A.M.G , H 212 , OP.CIT , DOCUMENT N° 33 .

و نظرا لانعدام المصادر العربية حول هذه المعارك و ما سبقها ضد الفرنسيين، دفعنا إلى الإعتماد على ما جاءت به المصادر الفرنسية، و بالتالي أصبحت المعلومات التاريخية حولها مرتبطة بما ذكرته هذه المصادر. و عليه تحتم علينا استنباط الحقائق التاريخية طبقا لمعطيات الوضع و مجريات الأحداث فالفرنسيون سواء انتصروا أو انهزموا، فإن ذكرهم لقتلاهم و جرحاهم و مفقوديهم يبقى دائما عددا قليلا. أما المقاومة في نظرهم، فهي دائما المنهزمة، و عدد قتلاها دائما أكثر بكثير من قتلى الفرنسيين. كيف لا و هم الذين عاثوا في الأرض فسادا، و دوّنوا الأحداث حسب ما تمليه مصالحهم ؟

و مع ذلك، فإن شبه اعترافات العدو بهزائمه على يد المقاومة تعكس قوة هجومات المقاومة، و أنها حقيقة لا مفر منها بالنسبة له.

و لقد اعترف العدو الفرنسي بهزيمته أمام قبيلة أولاد عبد الرحمن، على أنها عمل خطير جدا، قامت به هذه القبيلة ضد سلطة فرنسا الشرعية، و بالتالي رأى وجوب معاقبتها،

و ذلك في أقرب الآجال حتى لا يكون المجال مفتوحا لقبائل أخرى في التمرد على سلطته• و نظرا لخطورة الوضع، فقد اتصل العقيد ريقو REGEAU على جناح السرعة بالمقدم بيدو BEDEAU شارحا له الوضعية المأساوية التي آلت إليها أوضاعهم (1).

تحت ضغط المقاومة التي كان يدعمها الحاج أحمد باي، دفع بالقوات الفرنسية إلى الانسحاب في تاريخ 19 جويلية عام 1845، عائدة إلى سطيف، مما سمح لأولاد عبد الرحمن بالرجوع إلى أراضيهم، و بالتالي وصلت الحملة المنكسرة إلى سطيف بتاريخ 21 جويلية عام 1845، على الساعة السابعة و النصف (2).

لم تتوقف السلطات الفرنسية عند هذا الحدّ من التعنت في إيفاد حملاتها العسكرية ضد الجزائريين قصد إخضاعهم لسيطرتها بقوة السلاح و أعمال النهب و الحرق و السلب، إنما سارعت مرة أخرى إلى تجهيز حملة مشابهة

1– A.M.G , H 212 , COLONNE EXPEDITIONNAIRE DE SETIF,RAPPORT DATE LE 28 JUIN 1845 .

2– A.M.G , H 212 , OP.CIT .

للأولى على منطقة الحضنة، و بالتحديد على القبائل التي رفضت قبلها الاستسلام، و التي أثبتت عيونها، على أن لها علاقة مع البطل الحاج أحمد باي، حيث كانت هذه القبائل متمركزة في جبل بوطالب و المناطق المجاورة له من الناحية الجنوبية.

و قد عيّن على رأس هذه الحملة الجنرال لوفاسور LEVASSEUR بمساعدة عدد من الضباط منهم العقيد هربيون و الضابط دوفيليار DEVILLIERS، و كذلك الملازم أول شميتز SCHEMITHZ و الكابتن لورد LOURDES، و المقتصد العسكري أيرولس AYROLLES، و قد الامداد الملازم أول ميو MILLOT، و قائد المدفعية الكابتن أوهيير OHIER، إلى جانب العقيد كورني CORNILLE، و قائد الخيالة جولي، يضاف الى ذلك القائد هاجي HAGY، الذي أوكلت له مهمة قيادة شرطة الحملة (1).

1- A.M.G, H 211 , JOURNAL DE MARCHE DE LA COLONNE EXPEDITIONNAIRE SOUS LES ORDRES DE M° LE GENERAL LEVASSEUR DEPUIS LE 9 DECEMBRE 1845 JUSQU'AU 5 JANVIER 1846 .

و بوصول هذه الحملة إلى المناطق التي تمركز فيها المقاومون ، اشتعلت نار المعارك بضراوة بين الطرفان ، حيث لم يجد تبائض بوطالب أنفسهم معزولين عن بقية القبائل الأخرى إذ انضمت إلى صفوفهم العديد من القبائل منها على الأخص أولاد سلطان الذين تأثروا بالشيخ سي ساعد من أولاد التبن ، فسارعوا إلى تقديم يد المساعدة له ضد الفرنسيين ، إلى جانب قبائل العواسة التي رفضت الإذعان لأوامر العدو و أعلنت الجهاد مع القبائل الأخرى (1).

و في هذا الصدد ، وصل الأمر إلى القائد هربيون أن يتوجه في 28 من نفس الشهر بقوة عسكرية من باتنة ، قوامها 1500 ألف و خمسمائة عسكري ، مرفوقة بمائة (100) حصان إضافية و قطعتان من المدفعية في اتجاه الجنوب الغربي من منطقة القنطرة ، و بالتحديد إلى منطقة امدوكال .كما أن هناك قوة احتياطية أخرى سوف تنظم إليه خلال خمسة أيام ، قوامها ثلاثة فيالق و قطعتان للمدفعية و مائة

A.M.G , H 211 , OP.CIT . -1

العنصر الخامس

الحاج أحمد باي يذكي نار المقاومة بين قبائل الجنوب الشرقي

حصان لتدعيم قوته في باتنة قبل انطلاقها ، قصد القضاء مرة واحدة على جيوب المقاومة في المناطق الجبلية (1).

وقد أوكلت ، في هذه الفترة ، مهمة حماية بسكرة من هجومات المقاومين ، من طرف القائد سان جرمان . كما أوكلت للعقيد هربيون مهمة إدارة الشؤون السياسية و العسكرية لكل من منطقة باتنة و بسكرة (2).

1- A.M.G, H 235, LETTRE DU LIEUTENANT GENERAL COMMANDANT DE LA DIVISION BEDEAU, DATEE A CONSTANTINE LE 23 MARS 1846 VIII AL.

2- A.M.G , IBID .

لقد بقيت منطقة الجنوب الشرقي معزولة عن باقي الإقليم الشرقي، لما أحدثته من تذمر في نفوس الفرنسيين الذين فشلوا غير مرة في إخماد نار المقاومة هناك. فما من مرة إلا و تظهر هجومات كاسحة على جنود الحملات الفرنسية، و في كل مرة تبعث تقارير المكاتب العربية إلى القيادة العامة، لإعلامها بما يحصل داخل المناطق، خاصة منطقة الجنوب الشرقي و على وجه التحديد منطقة الأوراس التي أصبحت معقلا حقيقيا للوطنيين أمثال الحاج أحمد باي، حيث أكد تقرير المكتب العربي بباتنة أن القائد الأعلى قد وصل في 10 أوت عام 1486، بعد جولة في الأوراس لزيادة نسبة الضرائب، إلى جانب تدعيم الفرقة العسكرية المتواجدة بمنطقة " متوسة "، أين تقطن قبائل الحراكتة حلفاء الحاج أحمد باي (1)

و في الزاب الشرقي، بنواحي الخنقة،

---

1 - A.M.G , DIRECTION DES AFFAIRES DE L'ALGERIE,BUREAU DE L' H 216 ADMINISTRATION GENERALE,ET DES AFFAIRES ARABES,RAPPORT FAIT AU MINISTRE,LE 15SEPTEMBRE 1846 .

قام النمامشة بتحريض من الشيخ شريف الشرق الذي كان على علاقة مع قايدها الشيخ الحسناوي، بعمليات هجومية على القبائل التي باعت نفسها للعدو الفرنسي، و كذلك عرقلة عملية الحرث في منطقة وادي العرب. كما قاموا بأعمال بطولية بالغة الخطورة في حدائق " الخنقة"، التي كانت تمول العدو الفرنسي بخيراتها من محاصيل زراعية متنوعة. و قد فشل الرائد سان جرمان في مواجهة هذه الهجومات مما دفعه إلى طلب النجدة من قسنطينة، و التي قدرت بأربعمائة رجل (400) (1).

و لقد لعبت المكاتب العربية في المنطقة الشرقية دورا كبيرا في تقصي الحقائق و نقل الأخبار المتعلقة بالمقاومة و التي أطلقت عليها إسم القبائل المتمردة أو العاصية على حد تعبيرها، بحيث بقي الحاج أحمد باي بالنسبة لها رأس الحربة في خلق أي نوع من التوتر و عدم الإستقرار

1- A.M.G, H 116 , RAPPORT DU LIEUTENANT GENERAL BEDEAU A M° LE GOUV.GEN.DATE A CONSTANTINE LE 24 SEPT.1846 ,COPIE N° 48 .

بالنسبة لأمنها في جل المناطق الشرقية، لما له من تأثير بارز على القبائل، حيث جاء في إحدى التقارير بأن قبائل النمامشة و على رأسهم الشيخ الحسناوي، و شريف الشرق قاموا بغارة ضد أولاد سيوان، و هم فرع من فروع قبائل الحراكتة، كان قد استسلم لفرنسا و أعلن ولاءه لها، حيث تمكنوا من الاستيلاء على قطعان من الماشية، و بعد هذه العملية انسحبوا على الفور حتى لا يتركوا المجال للقوات الفرنسية لملاحقتهم. و قد كان الحاج أحمد باي على دراية بالأحداث، مما استلزمه الأمر إيفاد مبعوث للشيخ الحسناوي و شريف الشرق، يطلب منهما مساعدة قبائل النمامشة في القيام بهجومات مكثفة على العدو الفرنسي من الجنوب للإقليم، و منطقة الزيبان، و على كل القبائل التي أعلنت ولاءها لفرنسا (1).

1- A.M.G , H 116 , DIRECTION DES AFFAIRES DE L4ALGERIE , BUREAU DE L'ADMINISTRATION GENERALE ET DES AFFAIRES ARABES , RAPPORT FAIT AU MINISTRE LE 28 SEPTEMBRE 1846 .

ان تشجيع الحاج أحمد باي لقبيلة النمامشة و مساندته لها ماديا و معنويا ، زاد من قوتها ، خاصة و أنها تضم في صفوفها أبطالا معروفين أمثال الشيخ الحسناوي والشريف أحمد بلقاسم . و الظاهر أن هذا الأخير هو الذي لقّب بشريف الشرق . بالإضافة إلى ذلك ، فإن هاتين الشخصيتين كانتا على اتصال دائم بقائد مقاومة الشرق الجزائري الحاج أحمد باي .

لقد استفحل أمر حماته القبيلة ، التي بادرت إلى الهجوم على منطقة الخنقة ، مما دفع بالعدو الفرنسي إلى تجهيز حملة كبيرة ضدها انطلاقا من بسكرة . وكانت تتكون من مائة و ستين رجلا من المشاة ، و عشرون فارسا من فرقة الصبايحية ، و مائة و عشرون إلى مائة و خمسون فارسا من القوم ، إلى جانب التعزيزات التي تم طلبها من حاكم باتنة السيد هربيون ، و المتمثلة في (200) عسكري من المشاة . و كان معسكر قوات العدو الفرنسي في رأس العيون الواقعة بواد " بيراز " ، و منها إلى سيدي عقبة

حيث تجمعت كل قوات العدو (1).

و عند وصول هذه الحملة إلى معسكر " زريبة الوادي " الكائنة بوادي العرب، تفطن المقاومون لتحركات العدو، فانسحبوا في خطة تاكتيكية من المنطقة. و حل الفرنسيون بعدها بمعسكر" ليانة" الكائن كذلك بوادي العرب، قصد ملاحقة المقاومين من النمامشة، مستعملين في ذلك بعض عملائهم من أولاد ساولة و أهل بن علي. و كانت عودة العدو إلى بسكرة دون أن يحقق مبتغاه في إصابة المقاومين من النمامشة (2).

و في نفس الوقت سنحت الفرصة لقبائل النمامشة المقاومة، عند عودة الفرنسيين إلى بسكرة، أن تنضم إلى الشيخ الشريف أحمد بلقاسم و نظموا هجوما كبيرا على معسكر "ليانة" حيث تتواجد حامية من قوة العدو. و قد قدر عدد المقاومين بمائتين و خمسين

1- A.M.G , H 229 , JOURNAL DE MARCHE DE LA COLONNE QUI A OPERE DANS L'EST DU SAHARA DANS LES MOIS D'OCTOBRE , NOVEMBRE ET DECEMBRE 1846 .

2- A.M.G , IBID .

و(250) فارسا، و ما بين 1000 و 1200 رجلا من المشاة، مما دفع بالقوات التابعة للفرنسيين هناك إلى الهروب و الاعتصام بالجبال المجاورة خوفا من الموت المحتم (1).

لقد أثار هجوم المقاومين على معسكر العدو في منطقة ليانة غضب قائد بسكرة، مما دفعه إلى إعطاء الأوامر إلى قواته بالتحرك و بسرعة في اتجاه ليانة، حيث كانت قواته هاته تقدر بخمسمائة و خمسين 550 جندي، ما بين فارس و راجل و كذلك رجال المدفعية، إذ عسكرت هذه القوة في منطقة "فارطة" على واد " بيراز" ، و منها إلى معسكر وادي "منصف"، و كان ذلك في 8 نوفمبر حيث تزودت بالمياه و باشرت سيرها إلى منطقة " زريبة الوادي" في اتجاه ليانة التي وصلتها في يوم 9 نوفمبر، و مكثت بها خمسة أيام (2).

و أمام هذه التطورات لم يكن بوسع النمامشة إلا الانسحاب إلى جبل الشرق، غير أن فرنسا

1- A.M.G , H 229 , OP.CIT .

2- A.M.G , H 229 , OP.CIT .

وجهت أصابع الإتهام إلى بعض الشخصيات التي انضمت إليها ، و منها شيخ العرب بن قانة الذي اتهمته بضعفه في حماية العديد من المناطق التي كانت تحت نفوذها ، لأنها أصبحت حسب رأيها معرضة في كل وقت للخطر من طرف المقاومة ، و منها على الأخص المناطق الجنوبية مثل ليانة و زريبة الواد و الفيض و القصر . (1)

لم تكتف السلطات الفرنسية بالجانب العسكري الذي لم تحقق من ورائه إلا انتصارات ضئيلة ، و لم تصل إلى قلب المقاومة . فكان مآلها الفشل الذريع ، و هذا ما استلزم عليها أن تعتمد على أسلوب آخر ، و هو الجوسسة ، و ذلك لمعرفة تحركات النمامشة . و قد استطاعت إلى حدّ ما كشف هذه التحركات و التعرف على تمركزاتهم في منطقة " فم الأخنسان " بين وادي " بيجر " و وادي " الجديدة " جنوب جبل " الشرق " (2) .

كما توجهت قوة عسكرية أخرى من باتنة إلى " سيدي عبيد " حيث مخازن قبائل النمامشة

---

1 - A.M.G , H 229 , OP.CIT .

2 - A.M.G , IBID .

من المحاصيل الزراعية لحرقها و إتلاف ما بقي منها . أما القوة المتمركزة في منطقة " ليانة" فإنها تحركت جنوبا الى غاية وادي "وازران" (1) حيث كان الهدف الأساسي هو خنق المقاومة في جبل الشرق . و لكن نظرا لاتساع الصحراء ، فقد أدرك النمامشة أهميتها كمنفذ لهم يستطيعون من خلاله الابتعاد عن الخطر دون أن يتركوا خسائر في صفوفهم .

و من جهة أخرى ، لم تكن عودة أولاد عبدي إلى مقاومة الاحتلال الفرنسي عفوية ، إنما طبقا لخطة محكمة ، كان للحاج أحمد باي ضلع فيها ، إذ كان على اتصال بالعديد من وجوه المقاومة الوطنيين ، أمثال الشيخ عبد الحفيظ في الخنقة و أولاد سيدي ناجي و الشيخ بوزيان ، الذي بواسطته تحركت قبائل أولاد عبدي في قيامها بثورة أخرى خلال عام 1847 ، و التي كانت قد بدأت بحمل السلاح ضد القايد سيدي بلعباس الذي كان مواليا لفرنسا (2).

1- A.M.G , H 229 , OP.CIT .

2- A.O.M , 1H6 , DOCUMENT N° 151,SITUATION POLITIQUE DE L' ALGERIE .

لقد واكب قيام هذه الثورة تواجد الكابتن دوسان جرمان بمنطقة بسكرة باعتباره حاكما عليها، و بالتالي أوكلت له مهمة مواجهة المقاومة و إخمادها، خاصة و أن هذه القبيلة ظهرت بقوة كبيرة في منطقة الأوراس. و قد ذكرت المصادر الفرنسية أن هذه القبيلة دخلت في مفاوضات مع فرنسا قصد إطلاق سراح بعض رجالها الذين قبض قبض عليهم من طرف العدو الفرنسي أثناء المعارك (1).

بقي الحاج أحمد باي يدعم كل قبيلة تشهر سلاحها في وجه العدو الفرنسي، و كل شيخ يرفض الذل و الهوان، و كل مرابط يعمل على إعلاء كلمة الحق، فكانت الصلة بينه و بينهم وثيقة و قوية. و بقي العديد منهم في صفه، و هذا ما زاد من تخوف الفرنسيين من نفوذه هذا، رغم كبر سنه (2).

1- A.M.G , 1H99 , DOCUMENT N° 11, DATE A CONSTANTINE LE 3 DECEMBRE 1848, COURRIER DU 26 DECEMBRE .

2- JACQUELINE, BAYLE, QUAND L'ALGERIE DEVENAIT FRANCAISE , LIBRAIRIE FAYARD,PARIS 1891, PP.28.29 .

في هذه الأثناء ، عندما تحرت القائد الفرنسي هربيون بقواته ضد أولاد جلال حيث كان الشريف بزمزة ، قام العقيد كانروبير بتجهيز حملة على منطقة الأوراس حيث واكب ذلك تعيينه قائدا على منطقة باتنة بالنيابة و ذلك خلال شهري ماي و جوان عام 1848 (1).

إن الاهتمام بهذه المنطقة من طرف السلطات الفرنسية أصبح بالنسبة لها ضروريا و الزاميا ، باعتبارها معقلا للثوار من رجال المقاومة ، وعلى الأخص الحاج أحمد باي ، و هذا ما أكده التقرير الفرنسي المؤرخ بقسنطينة في 7 ديسمبر من عام 1847 ، و الذي جاء فيه بأن الفرنسيين يظنون أن الاضطرابات في الأوراس أصبحت بالغة الأهمية ، و لكونها منطقة جبلية شاسعة فإنها سمحت للعديد من القبائل أن يتمردوا على فرنسا ، و يعلنوا ثوراتهم ضدها (2).

1- A.M.G,H211,COLONNE EXPEDITIONNAIRE DANS L'AURES 1848 .

2- A.M.G,1H226,RAPPORT DATE A CONSTANTINE LE 7 DECEMBRE 1847 COURRIER DU 24 DECEMBRE,N°1 .

على الرغم من هذه الحملات العسكرية المتكررة على المنطقة قصد تقويض المقاومة وخنقها هناك خلال هذه الفترة من طرف العدو الفرنسي، إلا أنه لم يستطع إقتحامها بسهولة قصد فرض ضرائبه على السكان الضعفاء. ومن ناحية أخرى فشل القياد الذين تم تعيينهم من طرف فرنسا في فرض سيطرتهم الفعلية على القبائل (1)

1ـ جاء ذكر بعض القياد الذين عينوا على رأس القبائل التي أخضعتها فرنسا بالقوة، ومنها من ثارت ضدها تحت تأثير العديد من الشيوخ وخاصة الحاج أحمد باي، فقامت بقتل العديد من أولئك القياد الموالين للعدو. أنظر ذلك في A.M.G,H211 OP.CIT .

العشر السادس

بداية نهاية مقاومة الحاج أحمد باي .

نظرا للدور البطولي الذي قام به الحاج أحمد باي في اثارة القبائل ضد التواجد الفرنسي في المنطقة، و دعمه لها ماديا و معنويا ، فان الفرنسيين رأوا وجوب القيام بهذه الحملات العسكرية لاخماد لهيب المقاومة، ذلك أن السلطات الفرنسية كانت توهم بتقاريرها و مراسلاتها أن ما قام به الجزائريون في مناطق الاقليم الشرقي لا يتعدو أن يكون سوى تمردات متناثرة في مناطق معينة، و بالتالي لا تمثل بالنسبة لها أي نوع من المقاومة الحقيقية. و بذلك تمكن غطرستها و جبروتها في حكمها لأرض الجزائر بالحديد و النار، و ما أوتيت من قوة لفرض سيطرتها .

لقد توجهت حملة عسكرية أخرى من باتنة تحت قيادة العقيد كانروبير CANROBERT ، الذي كان قائدا للفيلق الثاني للفيف الأجنبي ، و من ناحية أخرى حاكم مقاطعة باتنة بالنيابة حيث شملت قواته بعض الضباط أمثال الكابتن " رونو " REGNAULT ، و الملازم قائد المشاة "ديلور" DELORT ، و الملازم أول "كايو" CAILLOT المختص في

علم الطوبوغرافية العربية، إلى جانب قائد المشاة "جوانيي" JOUANNY بالنسبة للخط الحدود الثالث و الأربعون (43)، و كذلك القائد "غيو" GUILLOT، إلى جانب مجموعة أخرى منهما دوماسان و بورياكي و بوجات و دولارمينات و داتونوه و الطبيب الجراح ماسينه، و الضابط المحاسب ميشون.

و قد وصل عدد ضباط الحملة أكثر من 89 ضابطا، إلى جانب 2868 عسكري مزودين بـ 328 حصانا و 150 بغلا، لحمل الذخيرة و العتاد [1].

لقد كانت الحيوانات من البغال والاحصنة تجدد من قبيلة إلى أخرى حتى تساعد الحملة على مواصلة الزحف، و بالتالي تخفف من التعب و الارهاق، لأن مسالك المنطقة صعبة جدا على جنود العدو الفرنسي، الذين واجهوا في حملتهم هاته، قبائل "بني وجانة" الذين رفضوا الاستسلام، و دفع الضرائب، و بالتالي راحوا يقاومون في الجبال، مما صعب مهمتهم في اجتياز المناطق مما اضطرهم إلى التمركز في معسكر "واد فارس" و ذلك في 21 ماي 1848. و بحلول 31 ماي عادت الحملة أدراجها إلى باتنة [2].

1- A.M.G,H211,JOURNAL DE MARCHE DE LA COLONNE EXPEDITIONNAIRE DE L'AURES 1848.

2- IBID .

وعند المقارنة بين الجدول الذي خصص لإحصاء المرحلة الأولى إلى غاية 10 ماي، تاريخ انطلاق الحملة، و الجدول الذي خصص للفترة الثانية الممتدة إلى غاية 31 ماي، فإننا نلاحظ بأن الفرنسيين فقدوا ضباطان و 218 جندي فقط (1).

و مع المتغيرات التي طرأت على المنطقة الشرقية آنذاك، و عدم تحكم فرنسا فيها كما كانت تشتهي، غير أنها كانت ملزمة على تشديد الرقابة على الحاج أحمد باي و تحركاته خاصة في عهد كانروبير الحاكم الجديد لمنطقة باتنة، حيث أنه منذ احتلال عاصمة الإقليم الشرقي، إلى غاية عام 1847، و الحاج أحمد باي على إتصال دائم برجالات العاصمة قسنطينة، رغم تنقلاته العديدة بين جبال الأوراس و مناطقها، إلى أن عصا الترحال بمدينة الكبتين بأولاد عبد الرحمن، إذ مكث بها قرابة ثلاث سنوات.

و قد اعترف المصادر العسكرية الفرنسية آنذاك، أنه كان أهم عقبة واجهتها فرنسا بالمنطقة

1- أنظر في ذلك [illegible]

و الشخصية البارزة التي كانت وراء كل الإنتفاضات التي قامت ضدها خاصة في جبال الأوراس ((لقد كان دعمها أساسيا لأعدائنا، مستعد في كل لحظة للقيام بالثورة ضدنا، لذلك فإنه من الضروري القضاء على مركز هذا الداء، و ذلك لا يأتي إلا بالقضاء على شخص الباي (1).

و خلال هذه الحملة التي قادها كانروبير قصد محاصرة الحاج أحمد باي، أبلغه الوشاة خبرا مفاده أن مجموعة من أولاد عبد الرحمن يودون التخلص من الحاج أحمد باي، و يرغبون في تسليمه لقائد الحملة في حالة ما وصلت الحملة المنطقة، لذا كلف قائد مقاطعة بسكرة دو سان جرمان بالبحث عن مكان تواجد الحاج أحمد باي . و نظرا للأهمية التي كانت توليها السلطات الفرنسية لشخصية الحاج أحمد باي، فإن القائد سان جرمان بادر إلى غلق المنافذ المؤدية إلى الصحراء، كما أعطيت له الأوامر بالرحيل بقوة عسكرية إلى الزاب الشرقي لمراقبة كل المنافذ الموجودة بجبل أحمر خدو (2)

1- A.M.G, H 211 , OP.CIT .

2- A.M.G,IBID.,

هذه المهمة بالنسبة للسلطات الفرنسية لم تكن سهلة، إنما كانت مجبرة على أخذ كل الاحتياطات الواجب إتخاذها نظرا لقوة خصمها، و مدى تأثيره على القبائل، حيث أمر سان جرمان عساكره بترك أمتعتهم في منطقة "المنعة" مع عدد من البغال لتسهل عليهم العمليات العسكرية، و بالتالي تم اختيار منطقة منخفضة لتجميع قواته و تحصينها بسور من الطوب المجفف. (1)

و قد شملت القوات التي كانت تحت قيادة سان جرمان كل فرق النخبة، و فيلق القناصة المتكون من الأهالي، و كوكبة من الفوج الثالث، و فوج آخر من فرسان الصبايحية، الى جانب ذلك نجد بطارية للمدفعية مرفوقة باحتياطي من الرصاص يقدر بألف خرطوش، الى جانب البغال لحمل الذخيرة. (2)

1- A.M.G , H 211 , OP.CIT .

2- A . M.G. IBID .

و بعد إتمام العدة توجهت القوة العسكرية الفرنسية إلى الناحية الجنوبية تاركة وراءها مدينة "المنعة"، وعند وصولها منطقة "نارا"، تمركزت هذه القوات بوادي "عبد الله" بنفس المنطقة وقد حاول دو سان جرمان الهجوم على منطقة "الكبين" لمباغتة الحاج أحمد باي هناك مع أنصاره (1). لكن هذا الأخير كان يقظا، فتفطن لذلك، و انسحب من "الكبين" متوجها نحو الشرق لكن "بنو ملكم" اعترضوا سبيله و حاولوا إقناعه بضرورة العودة إلى الكبين ليس حبا فيه، إنما كان ذلك طبقا لأوامر القايد "بن ناصر" شقيق أحمد باي بن شنوف، و بتنسيق من الفرنسي سان جرمان (2).

و في 5 جوان 1848 تمكنت قوات العدو الفرنسي إجتياز المسالك الجبلية الوعرة، لتصل على الساعة العاشرة صباحا إلى مشارف جبل أحمر خدو شمالا، لتدق أبواب منطقة الكبين على الساعة الخامسة، حيث مقر الحاج أحمد باي الذي وجد كل الطرق قد سدت في وجهه (3).

1- A.M.G , H 211 , OP.CIT

2- يحي، بوعزيز، ثلاث رسائل للحاج أحمد... ص. 140 .

3- A.M.G , H 211 , OP.CIT .

و ذلك لعدة إعتبارات منها خيانة بعض القبائل له، كما أن سنه المتقدم جعله مطمعا لأعدائه، قصد إلقاء القبض عليه عن طريق المكائد للحصول على المال من فرنسا . و مما زاد في متاعبه هو الحصار الذي ضرب عليه من جميع النواحي . فكان لزاما عليه أن يستسلم للعدو .

لقد سيطر الخوف على السلطة الفرنسية مدة من الزمن من شخصية الحاج أحمد باي، لذا بادرت مرات عديدة إلى فتح حوار معه، و ذلك في إطار مفاوضات ثنائية، حيث أننا نلاحظ مكاتبة الحاكم الفرنسي لبسكرة للحاج أحمد باي . و كان المقصد من ذلك وضع حد للحروب التي كانت قائمة بين الطرفان، و نظرا للوضع الذي وصل إليه الحاج أحمد باي فإنه كان يفضل السلم عن الحرب في آخر مرحلة من نضاله المسلح (1)

و قد تواصلت هذه المكاتبات مع قائد باتنة الذي كان قد وعده باستقبال مشرف و أن

1- PIERRE, GOINARD, ALGERIE L'OEUVRE FRANCAISE . EDITION ROBERT LAFFONT, PARIS 1984, PP 70-71 .

يضمن له الأمان، و بالتالي سوف يقرب صورته لدى سلطان فرنسا لاسترجاع أملاكه و ماله (1).

وكم كانت فرحة الفرنسيين شديدة، عند السماع باستسلام عدوهم اللدود، الذي أثار النوم من أجفانهم لسنوات عديدة. فقد توالت الرسائل تلو الأخرى لتعم الفرحة و تزال الكآبة التي ارتسمت على وجوه الفرنسيين لفترة من الزمن، عسكرا كانوا أم ضباطا. فقد وصل في البريد رقم 2 بتاريخ 29 جوان رسالة تحت رقم 9912 بالختم الأحمر، موجهة الى الحاكم العام للجزائر بتاريخ 23 جوان من طرف وزير الحربية، جاء فيها ما يلي ((سيدي الجنرال، لقد وصلتنا الأخبار حول استسلام أحمد باي طبقا لما ورد في رسالتكم المؤرخة في 19 جوان تحت رقم 19، فهذا الحدث الهام جدا، يكون له تأثير معنوي على الأحداث التي يحاول العرب إشعالها، و هنا أصفق بكل حرارة للعمل الذي قام به العقيد كانروبير و الرائد دو سان جرمان في هذا الظرف و سوف أتسلم كل التفاصيل بعناية كبيرة حول ما تخبرني به فيما يتعلق باستسلام

---

1 - محمد العربي الزبيري، المذكرات...، ص: 98 .

خصمنا الأساسي و الوحيد لاقليم الشرق كله)) [1]

و في رسالة أخرى في تاريخ 13 جويلية تحت رقم 84 جاء فيها ما يلي ((السيد الحاكم العام، لقد وصلتنا في 26 جوان، الرسائل الثلاثة، فالأولى حول خضوع الباي القديم لقسنطينة أحمد، و القبض عليه جاء نتيجة للعمل الدؤوب الذي قام به العقيد كانروبير و الرائد سان جرمان...)) [2].

أما الرسالة الثالثة فهي موجودة تحت رقم 85، و قد تناولت كل التفاصيل المتعلقة بأحداث إقليم قسنطينة، التي ارتكزت بالدرجة الأولى على إستسلام الحاج أحمد باي، الذي ضمن للفرنسيين ما كانوا يريدونه [3].

1- A.M.G, H 263, CORRESPONDANCE DU MINISTRE DE LA GUERRE DU 12 JUIN 1848 AU 7 JUIN 1850, COURRIER DU 29 JUIN, N°2, SOUMISSION D'AHMED BEY.

2- A.M.G, H263, REPONSE DU MINISTRE DE LA GUERRE AUX DEPECHES DES :

- 18 JUIN N°66, AFFAIRES ARABES.
- 20 JUIN N°42, CABINETS.
- 20 JUIN N°433, ETAT MAJOR GENERAL.

3- A.M.G,H263, REPONSE DU MINISTRE DE LA GUERRE A LA DEPECHE DU 30 JUIN N°71, AFFAIRES ARABES N° 85.

و فيما يتعلق بالرسالة التي بعثها الحاج أحمد باي إلى القائد سان جرمان حاكم بسكرة، فلم تكن بتاريخ 2 جوان، لأن كراس الحملة على الأوراس ذكر الرسالة و تاريخ استلامها، و ذلك في 5 جوان 1848، مما يوحي أن يكون تاريخ 2 جوان، تاريخ تحريرها. و قد شملت الرسالة طلب الأمان، و إيفاد ضابط فرنسي للحاج أحمد باي ليشرف على حمايته و ضمان أمن عائلته (1).

و يذكر الحاج أحمد باي في هذا الصدد أن قائد باتنة عندما خرج في حملة ضد بني وجانة، أرسل إليه أحد أعوانه المخلصين و هو الشيخ مسعود، لكي لا ينتشر خبر استلامه بين العرب لأنهم لا يريدون ذلك، و بالتالي سوف يعرّض نفسه للموت (2).

و يتفق فيرودي شارل فيما ذكره عن الرسالة التي بعثها الحاج أحمد باي إلى القائد الفرنسي، مع مذكرات الحاج أحمد باي، هذا الأخير الذي ذكر بأنه أرسل إلى الحاكم بباتنة

1- A.M.G , H 211 , OP.CIT .

2- محمد العربي الزبيري، المذكرات... ص. 98 .

من كان أشدّ إخلاصا له من رجاله يطلب من هنا الحاكم أن يبعث له رجلا ليتفاوض معه ندائياه وأوضح له بأنه يحلم منذ مدة بأن الفرنسيين أصحاب وعود، كما طلب من مبعوثه أن يخبر الفرنسيين وجوب المحافظة على السرية فيما يتعلق بمفاوضاته معه، مع تحديد المكان الذي يلتقيان فيه مسبقا، حتى يضمن الأمن لعائلته وأتباعه (1).

وما أن تسلم القائد الفرنسي سان جرمان رسالة الحاج أحمد باي، حتى كلّف مباشرة شخص عمر بن عبد الله أن يسلم ساعته وخلتمه إلى الحاج أحمد باي كدليل على الثقة المتبادلة وحسن النية في استتباب السلم والأمن. وما أن وصل مبعوث سان جرمان إلى معسكر الحاج أحمد باي، حتى استقبله هذا الأخير على انفراده والطلع على رأي سان جرمان، غير أن الحاج أحمد باي تردد في الإجابة الفورية، وفضّل التفكير في القضية قبل إتخاذ القرار النهائي، لكن مبعوث سان جرمان نبّهه لخطورة الموقف،

1- محمد العربي، الزبيري، المذكرات... ص. 98 .

و أخبره بمحاصرة الفرنسيين له من كل الجهات، و من الأفضل له أن يسلّم نفسه طواعية بدلا من أن يلقى عليه القبض، و لم يكن بوسعه إلا ترك القضية على أتباعه المخلصين من أولاد عبد الرحمن، ففريق منهم رغب الاستسلام و فريق آخر فضّل أن تعطى الحرية التامة للحاج أحمد باي في إتخاذ القرار (1).

لقد كان قراره الأخير هو الاستسلام دون مقاومة، لأنه رأى نفسه محاصرا من كل الجهات و أية محاولة سوف تؤدي و بأتباعه إلى الهلاك، إلى جانب ضعف الدعم المادي و المعنوي، مع مراعاة كبر سنه، حيث أصبح لا يقوى على حمل السلاح . و مع ذلك فقد حزّه هذا القرار في نفسه، فكان مرغما على اتخاذه، كما أثر ذلك على نفسية أتباعه لأنه موقف مؤلم حقا فانهمرت عيونهم بالدموع، و بكوا الحالة، و بكى معهم . و توجه إثر ذلك مع مبعوث سان جرمان إلى معسكر القوات الفرنسية حيث استقبله سان جرمان بحفاوة بالغة، و كرّر له الوعود التي كانت قد

1- يحي، بوعزيز، معارك الحاج أحمد باي، ... ص. 141 .

أعاديه له (1).

فهل تحققت هذه الوعود، و هل كانت فرنسا عند حسن ظنه، في تحقيق وعودها الكاذبة ؟

لقد وقعت حادثة أليمة، عند استسلام الحاج أحمد باي للقائد الفرنسي سان جرمان أثرت كثيرا على نفسيته، و تمثلت في إفشاء سرّ استسلامه هذا، حيث أن هذا الأمر لم يكن واردا في الإتفاق بين الطرفان إذ لام الحاج أحمد باي القائد الفرنسي سان جرمان على أنه لم يطبق ما إتفقا عليه، و هو لا يرى أحدا من أولاد بن قانة، لأنهم هددوه في السابق و كانوا سبب نكبته، لذا يحذره من نفاقهم (2).

و لم يجد القائد الفرنسي أي اعتذار لموقف أحمد باي إلا إبعاد أولاد بن قانة عن طريقه .

لقد قضى الحاج أحمد باي ليلته الأولى في منطقة " ديدي "، و هذا ما لم نعثر

1- يحي ،بوعزيز، معارك الحاج أحمد باي...ص، 141 .

2- نفسه .

عليه في مذكراته. ففي 7 جوان 1848، وصلت القوات الفرنسية إلى بسكرة مصحوبة بزمالة الحاج أحمد باي[1].

و إذا كان 5 جوان يوم إستسلام الحاج أحمد باي، و يوم 7 جوان وصوله مع عائلته وأتباعه إلى بسكرة، فهذا يعني أنه قضى ليلة السادس جوان في إحدى المناطق، و على الأرجح أن تكون مناقسه " ديدي ".

و بعد ثلاثة أيام من السير، وصلت القوات الفرنسية مصحوبة بالحاج أحمد باي و من معه إلى بسكرة، حيث قضى بها ثلاثة أيام كانت مليئة بالإحترام و حسن الضيافة، إذ وضع في حي عسكري، و طلب من القائد الفرنسي عدم السماح لأي كان الدخول عليه، خاصة أولاد بن قانة الذين كان يمقتهم كثيرا لما لاقاه منهم في السابق [2]

و في اليوم الثالث، نقل الحاج أحمد باي مع عائلته و أتباعه إلى باتنة حيث لقي نفس

1- A.M.G , H 211 , OP.CIT .

2- Dr GUYON ?, VOYAGE D'ALGER...,OP.CIT , P. 291 .

الإستقبال، و قضى بها يومان. و في اليوم الثالث انتقل مباشرة إلى عاصمته قسنطينة [1] و قد كلّف القائدان كانروبير و سان جرمان، الضابط بونيمانو BONNEMANNO مصاحبة الحاج أحمد باي، و ذلك لأنه يحسن العربية. و لقد راودت الحاج أحمد باي عدة أفكاره و هو في طريقه إلى قسنطينة، منها كيف أنه يذهب إلى عاصمته، بلا قوة و لا مال ؟ كيف لا تراوده أفكار كهاته و هو الذي كان فيها صاحب جاه. و لكن ما حل به أملته عليه ظروف كانت أقوى منه، فكان ما حل به قضاءا وقدرا.

و عند وصوله إلى قسنطينة، استقبله أكابرها و شيوخها و علماؤها إستقبالا حارا، لا مثيل له. فدخلها محاطا بكوكبة من الفرسان، كما أن أهالي المدينة لم ينسوا حاكمهم القديم. فقد إتصل به العديد من سكانها، و من جلّ الطبقات الفقيرة منها و الغنية. فمنهم من أحضر له الملابس و منهم من أحضر الأغذية بجميع أنواعها و أشكالها

Dr GUYON , VOYAGE D'ALGER , OP.CIT , P. 291 . --1

و هذا العمل حسب رأي الحاج أحمد باي ما هو إلا اعتراف سكان قسنطينة بحاكمهم القديم (1).

لقد قضى الحاج أحمد باي ثلاثة أيام بقسنطينة، ليتنقل منها إلى سكيكدة، التي كانت منطلقه إلى الجزائر العاصمة و ذلك على متن سفينة، إذ قضى يومان بحرا، حيث كان قد وصلها يوم الثلاثاء 27 جوان 1848 (2).

و لم يكن إستقباله في الجزائر العاصمة بأقل من إستقباله في كل من باتنة و بسكرة و قسنطينة، كما أنه لم يخف على بعض أفراد عائلته التي رحلت إلى الجزائر في السابق، من تتبع المراحل التي كان يمر بها الحاج أحمد باي، فما أن سمعوا بقدومه، حتى راح البعض منهم يطلب الإذن من الحاكم العام ماري مونج استقبال الحاج أحمد باي، فقد طلبت مونى بنت بن قانة، و قريبة الحاج أحمد باي، عند سماعها بقدومه إلى الجزائر العاصمة، من الحاكم العام أن يرخص لها الاتصال به، لأنها

1- محمد العربي الزبيري، المذكرات...ص. 101 .

2- A.N.G , H 236 , COURRIER DU 7 JUILLET 1848 , N° 1 .

لم تراه منذ سبعة عشر عاما. و قد تمنت موني من الحاكم العام أن يتقبل منا طلبها جدا (1).

و في 30 رجب الموافق لـ 30 جوان 1848، إستقبله الحاكم العام للجزائر"ماري مونج MAREY-MONGE، إستقبال الملوك و الأمراء، و عني به، حيث خصص له مرتبا سنويا تدر بحوالي 12000 فرنك، إلى جانب إستلامه منزلا أنيقا يليق بمقامه. و لكن قلة المبلغ المذكور لم تمكنه من تغطية حاجياته، ليس بالنسبة للباس والأكل، إنما لتغطية حاجيات أتباعه. لذا طلب منهم مغادرته، رغم أنهم فضلوا البقاء معه (2).

إن كبر سنه، و التنقلات العديدة التي كان يقوم بها في حربه ضد العدو الفرنسي

1- A.N.G,1H6,LETTRE DE LOUNI BENT BEN GANA,A MONSIEUR LE GENERAL MAREY,GOUVERNEUR GENERAL DE L'ALGERIE,DATEE A ALGER LE 26 JUIN 1848. ADRESSE:LOUNI BENT BEN GANA,RUE BARBAROUSSE 25,ALGER .

2- Dr GUYON , LE VOYAGE D'ALGER...,OP.CIT,PP. 291-292 .

سابقا، أثرت على صحته و هذا ما جعله يكون
عرضة للأمراض، و هو في الجزائر أصيب بمرض صدري
مزمن، على الأرجح أن يكون مرض السّل، كما أن
منزله القريب من البحر زاد من حدّة هذا المرض
بسبب الرطوبة. و على الرغم من انتقاله إلى
منزل آخر بحي القصبة، لكنه أحس بدنو أجله
فوكّل صديقه سي الحاج بوقندورة أمام نائبين
للقاضي، على ممتلكاته و أهله، كما كلّفه
بالإشراف على مراسيم جنازته قبل وفاته. فاشترى
له الكفن، و لكن هذا الأخير كان يرفع من معنوياته
دائما، و يذكره بالله تعالى، و الدعاء له بأن يرفع
عنه الضّرّ. و ذات مرة ردّ عليه الحاج أحمد باي
بأن الأجل إذا قرب لا بد للإنسان أن يتحدّى له (1)

و قبل وفاته قام بعدّ ما بقي معه من
أموال، و قد قدرت بحوالي 1500 فرنك فقط، حيث
وضعها في كيس و سلمها للشيخ بوقندورة لكي
يشتري له بها محملا لينقل بواسطته من
منزله إلى المسجد. و باقي المال يوزع على
الطلبة الذين يقرأون عليه القرآن عند دفنه

1- Dr GUYON , LE VOYAGE D'ALGER... , OP.CIT , P. 296 .

في القبر، و قال في هذا الصدد بأنه يريد أن يقرأ عليه القرآن على ثلاثة مراحل، جزء منه في المنزل، و جزء آخر في المسجد، و جزء ثالث في المقبرة، كما أمر يوم دفنه أن توزع ألف خبزة و مائتي كيس من التين على الفقراء، وأن يوزع عليهم ما يتبقى من المال بعد تشييع جثمانه (1)

و عشية يوم 30 أوت عام 1850، أكمل السنة الثالثة بعد الستين، حيث وافته المنية دون أن يحقق مشاريعه التي وعدته بها فرنسا من قبل، خاصة رغبته الملحة في الذهاب إلى البلاد المقدسة، و قد دفن بمقبرة سيدي عبد الرحمن بباب الواد، و ترك وراءه عائلة مكونة من ثلاث نسوة شرعيات و بنتين، و قد خصصت لهن السلطات الفرنسية مبلغا من المال سنويا، فأم الطفل الأكبر خصص لها 1200 فرنك، و أم الطفل الثاني 900 فرنك، و الزوجة الثالثة لم تنجب منه أولادا فقد خصص لها مبلغ 1500 فرنك، أما البنتان فقد خصص لهن مبلغ 3000 فرنك (2)

1- Dr GUYON , LE VOYAGE D'ALGER... , OP.CIT , P. 296 .

2- IBID , P. 297 .

الباب الثاني

الحاج أحمد باي المقاوم

الفصل الرابع

إمتداد روح المقاومة بعد إستسلام الحاج أحمد باي

1- مقاومة شيوخ الشرفة و بني سليمان .
2- مقاومة الشيخ عبد الحفيظ و سي محمد الطيب و الإخوة بن عز الدين
3- دور الشيخ بومعزة في المقاومة .
4- مقاومة الشيخ بوزيان .
5- تحالف شيوخ القبائل في إسقاط قوة سان جرمان .

العنصر الأول

مقاومة شيوخ الشرفة و بني سليمان

نظرا لشمولية مقاومة الحاج أحمد باي و على الأخص في الشرق الجزائري ، لم تنته بما اتصفت به ظروف شخصية في حدّ ذاتها بنفاذ ماله و وصوله إلى سن كبير حيث هرم و شاخ ، فأصبح لا يقوى على حمل السلاح بسبب المرض الذي لازمه مدّة طويلة نظرا للظروف الطبيعية القاسية للمناطق التي جعلها مقرا و قاعدة لانطلاق عملياته العسكرية ضد الاحتلال الفرنسي .

ان هذه المقاومة انعكست بالايجاب على المناطق التي كانت تابعة لبايلك الشرق ، فكانت القوة الضاربة المحركة لضمير الشعب الجزائري . و عليه فإن كانت سنة 1848 تعتبر بالنسبة للفرنسيين نهاية لمقاومة الحاج أحمد باي ، فإن بالنسبة للجزائريين كانت منطلق مرحلة جديدة بالنسبة لتاريخ المقاومة الجزائرية في هذه الفترة و التي زادت من لهيب حرب ضروس متواصلة ، كانت ضغط مستمرا على الاحتلال .

ففي شهر ديسمبر من عام 1849 ، بدأت المواجهة في الاقليم القسنطيني إذ تعرضت الجيوش الفرنسية التي حاولت إقتحام الجبال الموجودة بين ميلة و القل و جيجل إلى هجومات عنيفة من طرف بعض الشيوخ الشرفة الذين كانوا معتصمين في جبل سقاو بالأوراس و بني خطاب . إذ أن ردود الفعل هاته لم تعتمد على القوة العسكرية فقط ، إنما واكبها أسلوب سلمي في إقناع بعض القبائل التي خضعت للسلطات الفرنسية بضرورة المقاومة و إشعال نار الحرب في كل شبر من الإقليم ، وقد تمثل هذا الأسلوب في إيصال الرسائل إلى شيوخ هذه القبائل لإقناعها كتابيا و شفويا بالظروف التي تحاك ضدهم من طرف الاحتلال الأجنبي الذي لا يمت بأي صلة لمقومات هذا الشعب الجزائري الأصيل ، لا من حيث العقيدة و لا من حيث أسلوب المعيشة و لا التاريخ و لا اللغة و لا العادات و لا التقاليد (1) .

A.O.M ,
SERIE H SOUS SERIE 1H6 DOCUMENT N°151

هذه الجوانب الهامة التي كان يركز عليها الموفدون إلى القبائل التي خضعت للإستعمار الفرنسي ، لتدارك تطور الوضع .

و لو يكن بوسع الاخوة بن عز الدين إلا حمل السلاح من جديد إذ أقسما على مواصلة هذا الكفاح المسلح الذي بدآه في صائفة 1848 ، و بالتالي فتح المجال أمام القبائل الأخرى لاعلانها مواصلة المقاومة متأثرين بما أحدثه رد فعل الاخوة بن عز الدين .

و في شهر أفريل من نفس السنة سارعت قبائل زواغة إلى إشهار السلاح في وجه الاحتلا ل بهجومها على القايد بولخراس ممثل السلطات الفرنسية و الذي لم يكن في وسعه مواجهة هذه الثورة ، فاضطر غير منتصر الهروب إلى نواحي ميلة (1) .

و لم تكن ثورة بني سليمان (+) هي الأخرى

A.O.M
SERIE H SOUS SERIE 1H6 DOCUMENT N°226 AFFAIRES ARABES -1

(+) نقصد بقبائل بني سليمان الموجودة في الشرق الجزائري و هي قبائل بين بجاية و سطيف إذ أنه هناك بني سليمان بالوسط بولاية التيطري (المدية) .

إلا حلقة من حلقات هذه المقاومة التي نظمت بشكل محكم في نواحي بجاية . فهل هذا يعني أن استمرارية المقاومة يرجع إلى الجانب الديني ؟ أم أن هناك جوانب أخرى كانت وراءها ؟

في حقيقة الأمر بالنسبة لانعكاسات مقاومة الحاج أحمد باي التي تمثلت في استمرارية المقاومة رغم اعتقال محركها الأساسي . فالجانب الديني الذي يمكن اعتباره عنصرا هاما من عناصرها في تحريك القبائل و إثارتها من طرف رجالات الدين ، كان مرفوقا بعناصر أخرى سياسية و اقتصادية و اجتماعية . فلماذا إذا تركز السلطات الفرنسية على فكرة التعصب الديني بالنسبة للأهالي عن غيرها ؟

إن سياسة الاستعمار التي ارتكزت بادئ ذي بدء على فكرة التسامح الديني و عدم مساس العقيدة ، و أن للأهالي الحق في ممارسة شعائرهم الدينية ، تحاول من خلالها إبعادهم عن العناصر الأخرى المكونة لكيانهم ، إذ أن الجزائر عرفت كيانها السياسي منذ فترة طويلة ، و مارسته على مراحل تاريخية متعددة ، و ما الكيان السياسي إلا رمز من رموز الاستقلال

السياسي على أن الشعب الجزائري كان صاحب سيادة في فرض سياسته على دول أخرى و لا يرضى أن يستتر .

كذلك الجانب الاقتصادي الذي يضم إلى الجانب السياسي ، إذ بادرت فرنسا إلى الاهتمام بعنصر الزراعة و بسلب الأراضي من أصحابها و توزيعها على المعمرين الذين جاءوا من كل حدب و صوب أوروبي ، و عليه فإن الجانب الاجتماعي بقي متفوقا لفترة ما إذ لم تؤثر السياسة الاجتماعية الفرنسية على المجتمع الجزائري في فترة وجيزة ، إنما تطلب منها وقتا كبيرا جاء أكله فيما بعد لهذا نلاحظ بأن الجانب الديني كان ممزوجا بجوانب أخرى ، دفعت بقوة

العناصر الوطنية للمقاومة

إن الفكر الديني الذي سمته فرنسا بالتعصب ، كان أمرّ بالنسبة لها من أي فكر آخر لما يحمله من عنف و شدّة ضدها ، إذ قام المرابطون - أي رجال الدين - بتحريض الأهالي و تعبئتهم تعبئة كاملة ضد التواجد الفرنسي ، حيث أسسوا تحالفا فيما بينهم كان له أثره البالغ .

و من أوجه هذا التحالف، ما قام به بعض
شيوخ مولاي الشقفة لزاوية درقاوة بنواحي جيجل،
و منهم شيخ فرجيوة بوعكاز بن عاشور، الذي
عيّن على رأس هذه الحركة، إذ إستحوذ هذا
التحالف كل القبائل الموجودة على ضفتي
الواد الكبير، إذ كان الهدف من ذلك الضغط
على القبائل الخاضعة لفرنسا على التمرد
و الخروج عن سياستها الهدامة كمرحلة أولى
ثم دفعها بأي طريقة كانت إلى احتلال المناطق
الاستراتيجية التي تمكن فرنسا من السيطرة
على العديد من المناطق و على الأخص بلاد
القبائل، و كذلك قطع الطرق الرابطة بين
قسنطينة و سكيكدة ثم سطيف، إلى جانب
القيام بتدمير المنشآت الاستعمارية المتمركزة
على سفوح الجبال.

و قد وقع اختيار القبائل على مقدم
(المسؤول) لزاوية مولاي الطيب الذي أعلن نفسه
خليفة للسلطان المغربي، و هو الشيخ

A.O.M
SERIE H SOUS SERIE 1H6 AFFAIRE CIVILE DOCUMENT N°500 -1

إبن يامينة (+) لتزعم حركة المقاومة في هذه المنطقة .

كل هذه الأحداث كان لها صداها في البقاع الأخرى إذ بدأت قبائل الأوراس بالتحرك ضد الفرنسيين ، و في قسنطينة نفسها حيث القيادة العسكرية للاقليم بدأت مؤشرات تحرك العناصر تلوح في الأفق و هذا ما أقلق راحة السلطة الفرنسية ظنا منها أنها استمالت أهل قسنطينة بعد احتلالها المدينة ، و رغم ما فرضته السلطات الاحتلالية من رقابة مشددة فإن رسائل شيوخ الزوايا (رجال الدين) انتشرت على نطاق واسع في كل منطقة و في كل مكان تحث الجهاد و المقاومة و توضح مدى ضعف الفرنسيين هؤلاء الغزاة الطغاة . فما موقف السلطات الفرنسية من هذا التحرك يا ترى ؟

طبعا إن السياسة التي انتهجتها فرنسا منذ احتلالها للجزائر تعتمد على

(+) الشيخ بن يامينة هو الشريف أحمد بن عبد الله بن يامينة ، الذي تراجع من الحروش، ثم لجأ إلى بني سعاق بالقل(SAAG)

A.G.M,1H6, LETTRE AU MINISTERE DE LA GUERRE DATEE LE 22 DECEMBRE 1849, DOCUMENT N°151

مرة أخرى على عملاء السلطة الفرنسية في منطقة تحت لواء بولخراس إذ قامت الحرب بين الطرفين في واد (نجة) فقدت فيها فرنسا عددا كبيرا من قوتها و تمكن المقاومون من كسر شوكة فرنسا ، إذ فرّ فرسانها أمام تحالف القبيلتين ، و لم يكن في وسع بولخراس مواصلة الحرب ، فطلب تزويده بقوة عسكرية قصد حماية منطقة ميلة(1) و هذا ما يدل دلالة قاطعة على شدة المقاومة و مدى ما وصل إليه الضمير الوطني الجزائري من كراهية لا متناهية ضد كل فرد فرنسي ، بل ضد كل من له صلة بالاستعمار من بعيد أو من قريب حتى و ان كان جزائريا .

و لننتقل الى منطقة الزيبان حيث أخوال الحاج أحمد باي ، فهي الأخرى كانت كنظيراتها ، إذ أعلن أبناؤها الحرب ضد فرنسا و انضم إلى النداء بعض قبائل الصحراء ، و لم يحل شهر مارس إلا وأن اندلعت الثورة في الحضنة تحت راية أولاد سحنون (+) ضد القايد

A.O.M
SERIE H SOUS SERIE 1H6 DOCUMENT N°500 AFFAIRES -1
CIVILES .
(+)

(+) قبيلة أولاد سحنون هي أكبر قبائل أولاد دراج الغرابة .

سي مقران . ان هذه التحركات الثورية لم تزد الحروب الا تأججا فكانت التعبير الصادق عما تركته مقاومة الحاج أحمد باي ، و مدى تأثير الجزائريين في هذا الاقليم قوة شخصيته الفذة ، إذ بمجرد ابتعاد بعض الفيالق الفرنسية عن معسكر بسكرة و غياب القائد العلم للمعسكر الذي ذهب لمحاولة اخضاع بعض القبائل الثائرة ضد الحكم الأجنبي ، ظهر لهيب ثورة عارمة في منطقة الزيبان ، هذه الثورة التي تزعمها الشيخ بوزيان(++) و التي كانت استمرارية لاضطرابات 1844م التي نظمها في منطقة الزعاطشة حيث مقر سكناه و مثيلاتها في القصور المجاورة(1).

لقد كان للشيخ بوزيان أثر ديني بالغ الأهمية ، هذا الأثر الذي يفسر الشقة الكبيرة التي تبرز من خلال خطبه لسكن الواحات،ذلك لأن الحاج أحمد باي عندما شعر بكبر سنه،

(++) لقد تأثر الشيخ بوزيان بمقاومة الحاج أحمد باي و كان على اتصال به و الأرجح أن تكون مقاومته في 1844 بدافع من الحاج أحمد باي .

A.O.M
SERIE H SOUS SERIE 1H6 DOCUMENT N°500 AFFAIRES CIVILES-1

كان يدعم أي ثورة في الاقليم الشرقي ماديا و معنويا، و هذا ما حدث بالفعل مع الشيخ بوزيان ، و البيان القاطعي الذي يثبت صحة هذا الاتصال الرسالة التي بعثها القائد هربيون إبان حصار الزعاطشة إلى وزير الحربية قائلا ((... أما بوزيان، فقد كان له تأثير كبير ليس على منطقة الزيبان و حسب و إنما في أنحاء الاقليم كله ، و قد وجدت مراسلات بمنزله بينت لنا على أنه كان على إتصال و مودة كبيرة جدا مع الحاج أحمد باي و كشفت لنا في نفس الوقت على بعض المخلصين لنا ...))(1).

و عندما نقف عند هذه الحقيقة ، نتساءل ما إذا كان الحاج أحمد باي يهدف من وراء مقاومته هاته إلى الزعامة و السيادة التي راجت في دراسات البعض أم عكس ذلك ؟ .

إن منطلق الحاج أحمد باي في مقاومته كان واضحا وضوح الشمس إذ لم يكن يهدف إلى الزعامة و إلا لكان قد قبلها دون عناء و مشقة عندما عرضتها عليه فرنسا مقابل توقفه عن

A.O.M

SERIE H SOUS SERIE 1H2 ,POSTE LE 14 OCTOBRE N°4 . -1

مقاومته لها ، ثم أسلوبه في الرسائل التي كان قد وجهها إلى القبائل في تحريضه لها ضد الفرنسيين كان ذا طابع ديني و بلغة عربية ، و هي لغة القبائل ، إذ أن العديد من الزعماء المقاومين قد تأثروا بسيرته الاسلامية ، فالشيخ بوزيان تقول عنه فرنسا ما يلي ((و الظاهر أن بوزيان تأثر بالحاج أحمد باي إلى حد ما و أصبح يدّعي أنه رأى الرسول (ص) في منامه و كلفه بهذه المهمة ...)) (+)

و لم يكن الحاج أحمد باي يحث على الجهاد في سبيل الله و يحرض القبائل على خوض غمارها ثم يحارب القبائل التي باعت دينها للفرنسيين أصحاب الصليب ، و يحث المسلمين على الشهادة ، طبقا لما جاء به القرآن الكريم و ما جاء في السنة النبوية الشريفة ، فكيف لا يتأثر الشيخ بوزيان (++) و غيره

(+) المقصود هنا بالمهمة هي الجهاد في سبيل الله ضد الكفار.

(++) إن كان بوزيان الرأس المدبرة لكل مقاوماته ، فإن روحها تستمد من مقاومة الحاج أحمد باي ، بالرغم من تأثره بالزاوية الرحمانية التي كانت نقطة تجمع في منطقة سيدي خالد لتنظيم المقاومة ضد الفرنسيين و تحريض القبائل على الثورة ضد الكفر و الجور.
A.O.M,1H6,DOCUM.N°151 .

بهذه الصفات الحميدة التي ... بصلة وثيقة بمقومات الإسلام . و قال تعالى : ((يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن ... منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين و ان تكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون)) . و قال أيضا ((إن الذين آمنوا و هاجروا و جاهدوا بأموالهم ... في سبيل الله و الذين آووا و نصروا ، أولئك بعضهم أولياء بعض...)) .(1)

و قد جاء في إحدى ال... الفرنسية رقم 234 ما يلي (لقد كانت ال... ... في منطقة الزيبان و في العديد من المرات تم القضاء على الحاميات العسكرية المتواجدة في بسكرة ، و قد كان الإنتقام فضيعا ...)).(2)

لقد كان الفرنسيون يعلمون علم اليقين بأن مقاومة الحاج أحمد باي كان لها الأثر المباشر و غير المباشر في استمرارية

1- سورة الأنفال ، الآية 66 و 73 .

2- A.O.M
SERIE H SOUS SERIE 1H6 DOCUMENT N°222 AFFAIRES ARABES.

الثورة أو ما سموه بالعصيان و التمرد ، على من يا ترى ؟ عن الوطن الأم فرنسا ، هذه الإفتراءات و الإدعاءات الباطلة التي لا تمت بأي صلة إلى الحقيقة التاريخية التي حاول الطغاة الفرنسيون طمسها منذ أن وطأت أقدامهم هذه الأرض الطاهرة.

فمحاولاتهم سواء عن طريق الإغراء أو عن طريق الغدر أو بأي طريقة أخرى لجرّ شيوخ القبائل و بعض زعماء المقاومات الشعبية ليصبحوا خاضعين لهم و عملاء لسياستهم ، فإن أغلبها باء بالفشل اللهم بعض الحالات النادرة و ذلك حسب الحكمة التي تقول ((أخوك مرغم لا بطل)) .

و قد جاء في إحدى التقارير وصف لهذه المحاولات القذرة التي اتّسمت بها السياسة الفرنسية ، و هو التقرير رقم 151 الموجه إلى وزير الحربية /

((إن المحاولة الفاشلة التي قام بها الضابط المسؤول عن المكتب العربي في بسكرة لاختطاف بوزيان(+) ، زادت هذا الأخير شهرة واسعة

(+) لقد كان بوزيان رجلا فذا إستمال إليه قبائل القصور من الزعاطشة و ليشانة و فرفار و البرج و طولقة التي أمدته العدة و العتاد لنصرة قضيتهم المقدسة • la GUERRE SAINTE و هي الجهاد في سبيل الله و طرد الإستعمار من أراضيهم •

A.O.M.G,1H6,DOCUM.N°151

و ذاع صيته ، فأصبح بذلك شخصية ذات أهمية
و هذا ما كان يرمي إليه ...) .(1)

و إن عمت هذه الثورات القصور الثلاثة،
الزعاطشة وفرفار و ليشانة ، فقد انتشرت عدواها
إلى أولاد سحنون(++) ، الذين ناصروا الحاج أحمد
باي و وقفوا معه جنبا إلى جنب لدحر الفرنسيين
في العديد من المواقع ، إذ أعلنوا الثورة من
جديد ضد السلطات الفرنسية و بالتحديد
ضد عملائها الخاضعين لأوامرها . و قد تم
الهجوم على مقر القيادة هناك .(2) فما هو مردود
رد فعل الفرنسيين تجاه هذه الثورات المستمرة
يا ترى ؟ .

لم يكن من مصلحة فرنسا أن تذكر
حقيقة الوقائع ، و إنما كان حتما عليها أن
تتغاضى عن ذكرها لأنها تمس كرامتها كدولة

A.O.M
1– SERIE H SOUS SERIE 1H6 DOCUMENT N 151

(++) أولاد سحنون فرع من أولاد دراج ، انهزموا أمام القائد الفرنسي الكولونيل كربوسيا CARBUCCIA في مدوكال الواقعة بواد بريكة يوم 28 – جويلية 1849 .

A.O.M
2– serie h sous serie 1H6 DOCUMENT N°151

كبرى ، فكيف لها أن تذوق طعم الهزيمة على يد عرب بدو لا يعون في فن الحرب المتطورة آنذاك إلا القليل القليل ، إذ أصبحت تستعمل الحيل الكلامية للتخفيف من العار الذي حل بجيوشها بين آونة و أخرى ، هذه الهزائم المتكررة التي ينسبها القادة الفرنسيون إلى الظروف الطبيعية القاسية ناهيك عن الأمراض و نقص الإمداد من حيث الإمكانيات و ما إلى ذلك من خزعبلات سياسية فضفاضة . هذه الأقاويل التي لولا النقد البناء للمدرسة التاريخية الجزائرية الوطنية لكانت هي الحقيقة بأم عينها ، إذ تذكر إحدى التقارير ما يلي ((إن قلة إمكانياتنا الحربية و كذلك تواجد عدد كبير من المرضى في صفوفنا كان الدافع الأساسي لدخولنا المعسكر دون تحقيق النتائج التي كنا نصبوا إليها ، و كذلك الحرارة المرتفعة في هذا الجزء من الإقليم شجعت أيضا المتمردين ...)) (1) و عليه يرى الفرنسيون أن الظروف الطبيعية كانت ملائمة

A.O.M

SERIE H SOUS SERIE 1H6 DOCUMENT N° 151 . -1

للمتمردين حسب رأيهما في إعلان تمردهم.

هذه الاستمرارية الثورية التي سماها كما أسلفنا الفرنسيون بالعصيان أو التمرد تجاوزت الحدود الوهمية التي وضعها الاستعمار وخطط لها حسب سياسته المرحلية، وقد دخل الزاب الظهري(+) بكامله في المقاومة ضد الفرنسيين إلى جانب الزاب القبلي. هذين الاقليمين اللذين كان لهما نصيب أوفر في تزويد الشيخ بوزيان في مقاومته ضد الاحتلال بتاريخ 16 جويلية 1849م.

وقد اتسمت روح هذه المقاومات بالطابع الوطني الديني، وتفسير ذلك أن الجزائريين كانوا يشعرون بفقدان شخصيتهم العربية الأصيلة أمام جنس بشري لا يمت لهم بأي صلة تاريخية حضارية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى هذه الشخصية أبت إلا أن تتحدى الظروف

(+) الزاب الظهري هي المنطقة الشمالية، أما الزاب القبلي فهي المنطقة الجنوبية، ثم الزاب الشرقي، والمنطقة كلها عبارة عن واحات للنخيل. كما توجد بها أنواع عديدة من الخضر والفواكه التي تصدر إلى المناطق الأخرى مثل بسكرة وباتنة وبوسعادة.

القاسية و تشبثت عن طريق المقاومات المستمرة أنها كانت في يوم ما صاحبة حضارة هي الأخرى، وكم من أمم خلت تحللت من مقوماتها الحضارية، و ما الحضارة الغربية إلا شظايا متطايرة من الحضارة العربية تم استغلالها إستغلالا محكما و عقلانيا، فظهرت إلى الوجود كقوة غازية للعالم أجمع. أما الطابع الديني فهو مساس عقيدتهم بدخول حملة الصليب بلادهم، فكان عليهم أن يعلنوا الجهاد في سبيل الله ضد الكفر و الإلحاد. و يتجلى هذا الجانب في الوفود التي كان يرسلها المشرفون على الزوايا الدينية إلى القبائل لحثهم على الجهاد من ناحية، و من أخرى لتتبع تحركات الجيوش الإستعمارية.

و قد جاء في تقرير أرسل إلى وزارة الحربية ما يلي ((إن إرسال الوفود يسمح للحركة بتقصي أخبارنا و تحركاتنا...)) (1).

و عليه، فإن الروح الفكرية المتأججة طغت على كل القبائل، إذ انتقلت المقاومة

A.O.m.

SERIE H SERIE 1H6 DOCUMENT N° 151 (1)

بسكرة من أكبر المدن ببسكرة و هي مدينة

(مسيد) التي حمل سكانها جميعا السلاح ،

إلى قبائل أولاد نايل و أشعلوها حربا ضروسا

لما تتمتع به هذه القبائل من قوة و حزم

و عنف ، و هي ميزات العربي الأصيل التي تبعده

عن الخوف و تجعله يتحدى أكبر قوة إستعدادا ،

إذ لم يكن بوسع فرنسا إخمادها ، لذا حذا أهالي

سيدي خالد و أولاد جلال حذوهم . و في الشرق ،

فإن سكان واد عبدي الذين كانوا من أنصار الحاج

أحمد باي أعلنوها حربا ثم كذلك بالهجوم

على القايد سيدي بلعباس الذي عينته فرنسا

على منطقة واد عبدي و الأوراس و واد طاقة ، و تعيين

قائد لهم تم اختياره بالإجماع من أولاد زيان .

و ما إن أعلن سكان واد عبدي الحرب حتى

شبت في قبائل النمامشة ، رغم الخلاف الذي

كان قائما بينهم و بين الحراكة و أولاد يحيى

بن طالب ، إذ لم يكن في وسع زعيمهم الديني

المرابط محمد بن مناصر إلا تجنب النزاع الدامي

بينه و بين الحراكة و أولاد يحي بن طالب ، لكي

لا يترك المجال مفتوحا لفرنسا كي تبث سمومها في كيان هذه القبائل و تحل عليهم النقمة الأبدية ، إذ انسحب إلى جنوب تبسة متتبعا الأحداث في الوطن(1)

أما الأوراس التي كان لها النصيب الأوفر في استمرارية هذه المقاومة باعتبارها كانت مستقرا و قاعدة للحاج أحمد باي في التخطيط و الممارسة بالنسبة لمقاومته(2)

AOM. SERIE H SOUS SERIE 1H6 DOCUMENT N°222 AFFAIRES ARABES . -1

AOM. SERIE H SOUS SERIE 1H6 DOCUMENT N° 151 62

العنصر الثاني

مقاومة الشيخ عبد الحفيظ و سي محمد الطيب و الاخوة بن عز الدين

لقد أدت القرابة بين الحاج أحمد باي و المرابط سي عبد الحفيظ (1) إلى انصياع قبائل الأوراس لأوامر الشيخ عبد الحفيظ خاصة بعد ما حدث للحاج أحمد باي في 1848م، إذ أعلنوا الجهاد إلى جانب المقاومات الأخرى .

لقد كان للشيخ عبد الحفيظ الأثر البالغ في جمع شمل العديد من القبائل في حركة ثورة ضد العدو الفرنسي ، إذ تمكن من ضم الأوراس بمنطقة الزيبان كمرحلة أولى ، ثم تأتي المرحلة الثانية و التي تمثلت في كسب إخوان الطريقة الرحمانية التي تنتسب

---

(1) لقد ولد الشيخ عبد الحفيظ بالخنقة و المسماة حاليا خنقة سيدي ناجي ، بضواحي مدينة بسكرة ، تربى و ترعرع في بيئة عربية صحراوية و نشأ على الدين بحفظ القرآن . وكان رجل قومه قوي الشكيمة ذو سمعة طيبة بين أوساط القبائل ، إذ قام بالوساطة بين قبائل العمامرة وقبائل بني منافة الخروبة من الحراكة المتنازعين ، و على الأرجح أن علاقته بالحاج أحمد باي كانت وثيقة جدا . و بعد مقاومته هذه رجع إلى منطقة الكباش حيث أولاد عبد الرحمن .
أنظر في ذلك /

A.O.M
SERIE H SOUS SERIE 1H6 DOCUMENT N° 151 .

إلى سيدي عبد الرحمان ، و كذلك تشكل قوة كبيرة من المقاومين الذين جعلوا من الشيخ عبد الحفيظ الرأس المدبر لكل عملياتهم العسكرية (و قد اختار هؤلاء المجاهدين ـ الذين سمتهم فرنسا بالعصاة ـ منطقة الزاب القبلي قاعدة لمقاومتهم إذ أن جبل أحمر خدو المجاور لهذه المنطقة سوف يضمن لهم إلى حد كبير العودة في أي ظرف من الظروف ، و معتصم لهم عند الشدة ...) (1)

و لم ينته المطاف بالنسبة لهذه الإنعكاسات عند هذا الحد ، بل اكتست طابع الشمولية ، فأصبحت ثورة شعبية عارمة رغم عدم توفر التنسيق و التنظيم بين أطرافها و زعمائها ، و ذلك ما أتاح لفرنسا فرصة التفكير فيما يمكن أن تدبره و ما يمكن أن يصونها من الضياع الأبدي . فقد وقعت تقلبات خطيرة و تغيرات على عقلية الأهالي الذين هبوا لتلبية نداء الشخصية . فأولاد عتيق أعلنوا تمردهم على الشيخ بلغمري الذي بقي عميلا مخلصا لفرنسا ،

A.O...
SERIE H SOUS SERIE 1H6 DOCUMENT N° 157 . -1

وكان للمرابط الشيخ بن شبيرة دور كبير في تحريض هذه القبائل ضد الاستعمار وعملائه. فقد تمكن من مهاجمة العديد من الفرق العسكرية والنيل منها بكل قوة إذ كانت قبائل أولاد عامر وأولاد فرج وقبائل أخرى ثائرة تزود جيشه بالذخيرة والعدة، طبعا هذا إلى جانب أولاد عتيق المذكورين آنفا (1)

ان جل تحركات المقاومين وأعمالهم البطولية كانت تصل بأسرع من البرق إلى الأهالي الذين كانوا يتتبعونها ويتباهون بها، وهذا ما حدث في قطاع سطيف إذ بدأ الغليان الجماهيري ينبئ باندلاع نار الحرب خاصة بعدما راجت أخبار تؤكد وصول أحد أبطال هذه المقاومات وهو الشيخ سي موسى بن عمر، (+)

1- A.O.M, 1H6, DOCUMENT N° 151 .
[illegible]

(+) سي موسى بن عمر كان مرابطيا أعلن الجهاد ضد الاحتلال وقد واجه عساكر الدوق دومال التي انضمت إلى الكولونيل كربوسيا، وما كان في وسع سي موسى بن عمر إلا اللحاق بسيدي عبد الحفيظ بالأوراس في منطقة مشونش مع قبائل توابة وبني بوسليمان والسراحنة والشرفة وبني مسكن وغيرة وأحمر خدو وأولاد زيان الظهارة.

الذي غادر متليلي حيث توقف في بوسعادة و منها إلى منطقة الزيبان حيث يوجد الشيخ سيدي عبد الحفيظ و بعض المرابطين (1)

و إذا أردنا أن نعد الحملات التي قامت بها السلطات الفرنسية ضد هذه المقاومات لما استطعنا ، و مع ذلك فقد جندت لها خيرة أبنائها من أكابر الضباط، نذكر البعض منهم على سبيل المثال لا الحصر ، الجنرال هربيون ثم الكولونيل برال و الكولونيل كانروبير ثم الكولونيل دوماس و الكولونيل كروسيا وكذلك الرائد سان جرمان(2) ذلك لأن الهدف واضح من وراء تعبئة هذه الحشود ، و هو محاولة تطويق ما بقي من أتباع الحاج أحمد باي ، و قطع خيط الرحم بينه و بينهم ، لكن مشيئة الله تأبى ذلك، إلا أن تستمر المقاومة تحت راية أناس تشبعوا بآراء الحاج أحمد باي و بسيرته الوطنية التي لولاها لما قضى حياته الباقية في صحراء لا تسمن و لا تغني من جوع ، و لولاها

AOM. SERIE H SOUS SERIE 1H6 DOCUMENT N° 151 . -1

AOM. SERI H SOUS SERIE 1H6 DOCUMENT N° 151 . -2

لما رفض استرجاع ما فقد من عزّ و مال و دلال ،
و لفضّل العيش في الرغد و الهناء على العيش
بين حرّ الصحراء و قساوة البيئة الخشنة .

و قد جاء في المرسوم رقم 68 المؤرخ في 15 ديسمبر 1849 ما يلي ((في أحمر خدو و الزاب الشرقي هناك رجلا لا بد من الحذر منه و أن نكون متفطنين لكل ما نقوم به و هو الصادق بلحاج مرابطي أولاد يوب و مقدم إخوان سيدي عبد الرحمن ...)) .(1)

و على الأرجح أن يكون الصادق بلحاج قد التحق بسيدي عبد الحفيظ إذ تشير المصادر بأنه ساعد هذا الأخير في منطقة أحمر خدو و الزاب الشرقي ، إذ قام بتحريك الأهالي و حثهم هو الاخر على الحرب المقدسة أي الجهاد في سبيل الله و الوطن ضد الشرك و الكفر رغم الإغراءات الفرنسية له و الوعود المتكررة لإلقاء السلاح و الإنضمام إلى فرنسا التي وعدته بكرسي الحكم ، لكن العربي الأصيل ربما ترضى غريزته ، لكن الأنفة و الروح العربية ترفض الرفض البتات

A.O.M

SERIE H SOUS SERIE 1H6 DOCUMENT N° 151 . -1

و تأبى إلا أن تشعر السلاح في أية لحظة و في أية مناسبة تكون فيها الفرصة سانحة ، و هذا ما فعله الصادق بلحاج حيث رفض الذهاب الى بسكرة ، و يقول أحد الفرنسيين العسكريين ما يلي ((الكل يكنّ لنا الكراهية و يشعرون بالخطر تجاهنا ...)) (1) .

كما كان لشخصية المرابطي سي محمد الطيب هي الأخرى دور بارز في تحريض القبائل ضد الفرنسيين و على الأخص أهالي جبل كرار الذين حاول بعضهم و بالتحديد ضعاف الشخصية ، أن يتقربوا من فرنسا لولا تدراك الموقف من طرف الشيخ سي محمد الطيب الذي سد كل المنافذ و سيطر على عقول الأهالي بأفكاره الدينية التي لا تخلو من الشدة على فرنسا و هذا ما يوضحه كذلك المرسوم الحكومي المشار اليه سابقا تحت رقم 68 و المؤرخ في 15 ديسمبر 1849م ، إذ جاء فيه ما يلي ((لقد حاولت هذه القبائل الاتصال بنا عدة مرات ، لكن قائدهم سي محمد الطيب الذي استغلهم بأفكاره

1ـ هذا القول جاء في مرسوم الحكومة العامة تحت رقم 68 .
A.O.M,1H6,DOCUMENT N°151

السياسية باعتباره مرابطا، فهكذا لا يريد أن تكون بيننا وبينهم علاقة مباشرة ...)) (1) .

أما منطقة الصحراوي فقد اغتيل شيخ الشيوخ بن ياسين، و هذا ما زاد في تأزم الوضع، و كان ذلك ما بين 11 و 12 نوفمبر، و بالتالي تم تعيين أحد شيوخ الصحراوي المسمى عبد الله بن زريق (+) .

و قد اتهم القايد بوعكاز باغتيال شيخ الشيوخ بن ياسين، أما البدو فلم يكن لهم أدنى استعداد لقبول الطاعة لفرنسا و لا الخضوع لها مطلقا. فقد أظهروا لنا العداء و لم تكن لهم أدنى إرادة لقبولنا)) .

لقد انحصرت نظرة فرنسا فيما يتعلق بمراكز هذه المقاومات حول الجبال لأنها المأمن الوحيد للقبائل الثائرة، حيث تعقد الاجتماعات و توضع التخطيطات العسكرية، و على هذا الأساس ترسل الرسائل إلى القبائل و ترفد الوفود (++) إلى الأسواق المحلية تتحدث عن المسيحيين و ما جاءوا به من كفر و فساد و كذلك عن الوسائل التي تمكن من القضاء على العبودية .

A.O.M
SERIE H SOUS SERIE 1H6 DOCUMENT N° 151 . —1

(+) على الأرجح أن شيوخ بن زريق و ليس زريق نسبة إلى قبائل الزرازلة، ذلك لأن هذا الاسم ما زال شائعا في منطقة الصحراوي حاليا، أما بن زريق فهي ترجمة لما وجدناه في الوثيقة رقم 151 من العلبة 6 H 1 فقط .
(++) تمثلت الوفود فيمن يعتنق الزوايا لحث الأهالي على الجهاد و تحريضهم ضد فرنسا .

و الحقيقة أن هذا التحرك الذي قام به

المقاومون جاء أكله على جميع الأصعدة،فالأسواق

كانت وسيلة ناجحة لنشر الأخبار، لأنها

كانت مقصد البائع و الشاري من كل قرية

و قبيلة، و هذا ما زاد في نار المقاومة اشتعالا

و بسرعة فائقة بين القبائل المجاورة حتى أن

العديد منها و التي كانت خاضعة لفرنسا

أعلنت تمردها و انضمت إلى المقاومة التي

عمّت أغلبية الأراضي التابعة لاقليم قسنطينة

بما فيها الجبال المحاذية لضفتي واد قبلي

من ميلة إلى جيجل و القل، و كذلك القبائل

التي تقطن أعالي واد العبدي، لكن هذا

الأمر كان بالنسبة للفرنسيين شيئا آخر،

إذ اعتبروه لصوصية و سطو، و هذا ما يفسره

التقرير التالي ((هؤلاء المتعصبين المتمردين

يريدون بشكل أو بآخر تنظيم التمردات بكل

السبل و أخيرا كان عن طريق السرقة و القتل،

هذه الحالة التي تفوق من حيث الإستعمال كل

الظروف العادية ...))(1)

A.O.M

SEIE H SOUS SERIE 1H6 DOCUMENT N° 151 . -1

لم تكن هناك ظروف عادية ، و حتى و إن كانت فإن فرنسا صاغتها بأسلوب الجهنمي الظاهر ، و هذا ما فتح الباب على مصراعيه أمام الناقمين على سياستها ،ففي بداية رفضت فروع من قبيلة بني ميمون دفع الضرائب التي أنهكت كاهلها و أعلنت إنضمامها إلى المقاومة مع قبيلة بني سليمان. و ترى السلطات الفرنسية أن السياسة الصريحة التي انتهجتها بوعكاز بن عاشور قائد فرجيوة، تفسر مشاركته الفعالة و السرية للمقاومين الذين نشروا الحرب بين جل القبائل . و في ذلك مثل زواغة التي ثارت متأثرة بمقاومة الإخوة بن عز الدين الذين شجعوا الأهالي على ذلك .

و تدعي التقارير الفرنسية أن الإخوة بن عز الدين((كانوا يستعملون الدسائس بين القبائل و يطمئنونهم على أن الحركة سوف تعم ...)).(1) و ما أثبتته هذه الإدعاءات هو حكم قاطع على أن فرنسا فشلت في فرض سيطرتها و محاولتها إخضاع القبائل و هو أمر منطقي

A.O.M

SERIE H SOUS S.RIE 1H6 DOCUMENT N° 151 . -1

يشير إلى تذبذب السياسة الفرنسية و يؤكد ذلك هذا التصريح الذي جاء فيه ما يلي ((... لقد وضعنا مشروعا لارسال حملة عسكرية كان الهدف منها هو ضرب القبائل المتمردة بكل قوة و فرض الإستقرار ، لكن الجنرال روليار RULLIERE رفض هذا الإقتراح الذي لو طبق لكانت له نتائج إيجابية .))(1)

و قد تمحورت المقاومة في بجاية حول أصحاب النفوذ الأقوياء من أهلها ، فإلى جانب بوعكاز بن عاشور و الإخوة بن عز الدين ، هناك شخصية سي الجودي و الشيخ سي أمقران ، هذان الأخيران كان لهما الأثر البالغ في نفوس القبائل المتواجدة في بجاية و ما حولها ، و على الأخص عندما علم الأهالي بأن الحملة لن تتم بسبب إختلاف وجهات النظر بالنسبة للقادة الفرنسيين ، فكانت مناسبة ملائمة لهم لتفجير المقاومة على نطاق واسع ، فانضمت قبائل بني سليمان إلى الثائرين و أعلنتها حربا مباشرة على فرنسا(2) التي كانت تخشى

A.O.M

SERIE H SOUS SERIE 1H6 DOCUMENT N° 151 . - 1

IBID . - 2

هذه الإنتفاضات الشعبية التي زعزعت كيانها في العديد من المرات و على أعمدة كثيرة ، إذ لم تستطع التحكم في زمام الأمور على الرغم من تواجد عملاء لها من أبناء هذا الوطن ،ومع ذلك فقد استطاعت هذه الإنتفاضات العارمة شل حركتها و خلق بؤر توتر تهدد تواجدها الاستعماري داخل الجزائر و ما سينجر عنه في الخارج ما إذا نجحت هذه الإنتفاضات و فرضت نفسها على الأمر الواقع، إذ كان من دواعي المصلحة أولا و الحفاظ على سمعتها كدولة إستعمارية عظمى أن تجهض هذه المقاومة بشتى الوسائل و الطرق ماديا و معنويا ، و مما زاد تخوف فرنسا بالذات هو الدور الايجابي الذي لعبه رجال الزوايا المرابطين في التأثير على ذهنية الأهالي ، فأصبحوا لا ينظرون إلا بالمنظار الذي رسموه لهم و لا يتبعون إلا ما يملى عليهم و ما يسمعونه من خطاب و أقوال سواء في المواسم أو غيرها . و في نهاية شهر جويلية من عام 1849 دخلت عساكر القائد دومال بخفي حنين الى معسكراتها دون أن تحقق أدنى انتصار .

العنصر الثالث

دور الشيخ بومعزة في المقاومة

في حين بدأت الأخبار تروج حول شخصية بومعزة على أنه تمكن من الفرار من فرنسا ودخل الجزائر حيث وصل إلى بلاد القبائل واستقر بمنطقة إيغيل بن عامر، وهنا نستنبط حقيقة تاريخية هامة تتمثل في الدور الايجابي الذي لعبته هذه الشخصية المشار إليها سابقا، فعلى الرغم من انتحالها

---

1 ـ تقول المصادر بأن بومعزة هذا غير الشيخ بومعزة الأول، والظاهر أنه انتحل شخصيته ليزيد من عزم الأهالي في مقاومة فرنسا، إذ استقر عنده الشيخ سي الجودي حيث استعمل نفس إسم محمد بن عبد الله، فكان على خلقته تماما من حيث القامة والهيئة والسن، حتى علامات الوشم المميزة في الجبهة واليدين. وكان فصيح اللسان مثله ويتفجر حيوية ونشاط مثل بومعزة إبن الله ـ ويخلق الله من الشبه أربعين ـ
أنظر في ذلك علبة 1H6 وثائق رقم 151.

شخصية محمد بن عبد الله(+) إلا أنها كانت على قدرة فائقة من الذكاء و الحنكة و التجربة ، كما تدل هذه الشخصية من خلال مواصفاتها على أنها تكن الكراهية الشديدة للعدو الفرنسي إذ صدّق الأهالي على أنه الشيخ المقام بومعزة و أنه فرّ من فرنسا و منها إلى الجزائر حيث مقر الشيخ سي الجودي ، لحمل لواء الجهاد ،و ((باشر بإلقاء الخطب على الأهالي ، فكانت كلماته تنفذ في قلوب الأهالي و بسرعة يتأثرون به و يباشرون ما أمروا بعمله ، فأصبحوا يجتمعون حوله و لا يفارقونه أبدا و هذا ما زاد من مخاوفنا و على الأخص قادتنا الذين أصبحوا يخشونه كثيرا ...)) (1).

(+) محمد بن عبد الله هو الشخصية المعروفة بإسم بومعزة و الذي خاض معارك منذ 1845 ضد فرنسا ، إذ تميزت مقاومته في الغرب الجزائري و على الأخص في الجانب الشرقي منه كجبال الونشريس و الظهرة و وادي الشلف . و قد بادر إلى مهاجمة القوات الفرنسية المتكونة من 14 فيلق . و و قد أسر من طرف الفرنسيين في شهر أفريل 1847 ثم أعدم بعدها .
أنظر " ملحمة شعب " من إعداد مصالح نويصر الملتقى الوطني الثاني للمقاومة الشعبية و حروب التحرير 1848-1880 ، قصر الثقافة ، الجزائر المنعقد من 23 إلى 25 جوان 1986 م .

1 — A.O.M SERIE H SOUS SERIE 1H6 DOCUMENT N° 151 .

و الظاهر أن هذه الشخصية لما كان لها من قوة كبيرة استغلتها في تحريك الانتفاضات، و كان شيوخ القبائل يدعمون جيشه بالعتاد و العدة و لا يتأخرون عن فعل ذلك فقد كان بوعكاز بن عاشور الذي دعم من قبل الاخوة بن عز الدين يزوده بالعتاد و العدة، إذ تبين بعض الوثائق لتلك الفترة أن هذا الأخير اتهم بمساعدته لهذه الشخصية مما زاد في قوته و تأثيره على الأهالي، كما كان يرسل له الخيول و الأموال (1) و نتساءل عن هذا الاتهام الموجه إلى القائد بوعكاز بن عاشور و غيره ، و ما الدافع لمساعدة هذه الشخصية ؟

إن بوعكاز بن عاشور ما هو إلا وجه من الوجوه التي لم ترض بالسياسة الفرنسية المتعفنة ، فكان متأثرا إلى حد كبير بالظروف التي كان يعيشها أبناء جلدته، لذا كان يناصر لكل انتفاضة و لكن مقاومة على أنها الطريق المؤدي حتما إلى الاستقلال و دحر الاستعمار بشتى الوسائل، خاصة و أن سياسة التمسيح

A.O.M
SERIE H SOUS SERIE 1H6 DOCUMENT N° 151 - 1

كانت تخيف المسلمين ، فكانوا يخشون ضياع دينهم على يد كفرة فجرة .

لقد ازدادت تخوفات الفرنسيين من هذه الانعكاسات التي وصلت أخبارها الغرب الجزائري ناهيك عن الوسط نظرا لقربه من منطقة الشرق ، و معنى هذا أن الأمور لم ترض فرنسا مطلقا ، و هذا ما تؤكده مراسلات دوماس التي جاء في إحدى تقاريرها تحت رقم 49 ما يلي ((لقد وصلتنا الأخبار عن طريق وهران و ما يتعلق بالعلاقات بيننا و بين الحكومة المغربية ، و من جهة أخرى فالأخبار الآتية عن طريق سطيف تؤكد لنا قتل قايد أولاد سلطان (+) إلى جانب تمرد هذه القبيلة...)) (1)

و الملاحظ أن فرنسا على الرغم مما تملكه من قوة و عتاد و التحصينات القوية التي تتواجد فيها حامياتها ، فإنها عند سماعها بأي انتفاضة أو تحرك يمس مصلحتها ، ترى أنه من الضروري إجهاض هذه المحاولات في

(+) كان قايد أولاد سلطان آنذاك هو علي بن سي لحسن الذي قتل في 1849 من طرف أتباع الحاج أحمد باي .

1 — مراسلات دوماس رقم 49 [illegible]

منطلقها و لا تترك الفرصة في استفحال أمرها ، و تأكيدا لذلك جاء ما يلي ((لقد فهمت ، يا سيدي ، ضرورة تأمين الحاميات و تقويتها لتمكين الكولونيل باران من مباشرة عملياته العسكرية... و أرى من الضروري أيضا تدعيم الجنرال هربيون بالقوة اللازمة في كل الحاميات العسكرية التابعة له...)) (1)

و سياسة القوة التي اتبعتها فرنسا منبثقة من فكرة تبني الإستعمار الرسمي و التوسع فيه ، هذه السياسة التي دعمتها بكل الامكانات الضرورية ، خاصة و أن هذه الفترة بالذات كانت سلطة الجمهورية الثانية هي صاحبة الأمر في تطبيق تلك السياسة الجهنمية. فليس من الممكن أن يقف الضمير الجزائري وقفة تحسر و ألم دون رد فعل أمام قرارات و قوانين أنهكت كاهله ، و منها على سبيل المثال القرار الذي أصدر في شهر مارس من عام 1848م ، و الذي جاء فيه على أن أرض الجزائر قطعة من فرنسا و للمعمرين الأوربيين الحق

A.O.M

SERIE H SOUS SERIE 1H6 DOCUMENT N° 212 . — 1

في انتخاب ممثلين بلديين لهم بالجزائر.(1)

و لم تتوقف سياستها القذرة عند

هذا الحد ، بل اهتمت بالتهجير و الاستيطان

و وضعت له قانونا خاصا في سياستها . ولم

يصل عدد الذين تم تهجيرهم الى مائتي

ألف مستوطن خلال عشر سنوات فقط؟ و قد كان

نصيب الشرق الجزائري ، و بالتحديد مقاطعة

قسنطينة ثماني مستوطنات(2) محاولة منها

خلق فكرة التفوق العددي للعنصر الأوروبي

على الأهالي .

1- Charles, André, JULIEN , Histoire de l'Algerie contempo raine , la conquete et les débuts de la colonosation ; 1827 -1871 . PARIS, P.U.F , 1979 pp. 351-352 .

2- IBID .

العنصر الرابع

مقاومة الشخ بوزيان

ومن أبرز الانعكاسات التي نحن بصدد التحدث عنها، مقاومة الزعاطشة التي قادها الشيخ بوزيان (+). والحقيقة أن الظروف التي تطرقنا إليها سابقا كانت هي الأخرى فرصة سانحة للشيخ بوزيان أن يمدد عمر مقاومة الحاج أحمد باي، الذي كان على اتصال به بإعلانه ركن الجهاد، هذا الركن الذي شمل قبائل الزواغة ومناطق جرجرة وبجاية، وانتفاضة أولاد دراج بمنطقة الحضنة.

إن حركة الجهاد التي كانت تهدف أساسا إلى محاربة الكفر وأعداء الله والدين، والتي تبناها كل زعماء المقاومات الشعبية سواء كانت مقاومة عسكرية دينية أو مقاومة رسمية، وليس كما أشار البعض من الكتاب والمؤلفين

(+) هذا الشيخ الذي قام بمقاومة دوخة الاستعمار الفرنسي، ينتمي إلى قبيلة واد عبدي التي كانت تقطن الأوراس، يدل على أنه تأثر إلى درجة كبيرة بمقاومة الحاج أحمد باي وشارك معه في بعضها، وهذا ما أكدته تقارير (مارمي) في جويلية 1849 الذي بين فيها بأن الشيخ بوزيان لم يكن وحده وإنما كان من قبل على اتصال دائم مع الباي القديم.
أنظر في ذلك المجموعة صندوق 5 H 40 ... العسكرية حملة الزيبان بقيادة الكولونيل باريل دو برتيل.

في التفريق بين هذه المقاومات ، فكيف التفريق يكون ممكنا بينهما و الجوهر واحد و الهدف كذلك واحد . فالهدف هو العدو الفرنسي و الجوهر هو الجهاد كسلاح فتاك لتحقيق ذلك الهدف الأسمى .

و ما يمكن الإشارة إليه هو تلك الأقاويل التي نسجتها أقلام العسكريين الفرنسيين و من حذى حذوهم من المدنيين و الذين نقلوا عنهم دون مراعاة الحقيقة التاريخية التي تخضع لمقاييس موضوعية حتى لا تتعرض للطمس و التحريف ، إذ جاء في كتاباتهم أن جل الزعماء المقاومين الجزائريين حملوا السلاح لأنهم رأوا الرسول (ص) في المنام و أن الرسول في تلك الرؤى سلم لهم مقاليد الحكم في الأرض .

ألم يترك الرسول (ص) لأمته دستورا ربانيا قائما على القرآن الكريم و أحاديثه الشريفة ؟ فما من سورة و ما من حديث إلا و باب الجهاد ذكر كفرض من فرائض الإسلام ، و من هم يا ترى الفرنسيين ؟ أليسوا غلاة كفارا جاءوا بمسيحية فوق أفواه البنادق ، و دنسوا أرضا عربية طاهرة

باستسلامها ؟ إذا فهل يحق لهؤلاء أن يدعوا بكل ما أتوا إلى طرد المغتصبين ، مستعملين في ذلك شتى الطرق، ذلك أن تفسير الفرنسيين لظاهرة الرؤية هو الحط من قيمة العقلية الجزائرية من جهة ، و من أخرى خفية وجوب الحذر بسبب تمسك الأهالي بدينهم الحنيف.

و قد حاول الفرنسيون منذ الوهلة الأولى عند اندلاع مقاومة الزعاطشة أن يضربوا المعزلة على أحداثها التي وصلت كل بيت من الزيبان و غيرها إذ أن أهالي واحات طولقة و ليشانة و فرفار أعلنوا ولاءهم مباشرة للشيخ بوزيان مما زاد في قوته التي أصبح يخشاها الفرنسيون خاصة بعد أن فشل بعض أتباعهم أمثال الشيخ بن قانة في تطويق المقاومة و فرض الرقابة المشددة على أهالي الزاب الظهراوي حتى لا يترك مالا لاتصال الثائرين بالمناطق المحيطة بهم.

و الدليل على هذا الفشل هو ما قام به أولاد سحنون في 27 جوان 1849، عندما هاجموا معسكر سي منقران. إلى جانب هذا، فإن الانتفاضة شملت منطقة الأوراس موطن رجال الحاج أحمد باي .

و قد هبّ لهذه المقاومة أناس يحذوهم التحرر من العبودية و يحذوهم الإستقلال من جبروت الإحتلال الفرنسي، و ما ذاقوه من هوان و سيطرة على يد جلاديه، إذ أعلنت مناطق أولاد جلال و سيدي خالد و أولاد نائل و الأوراس انضمامها الفعلي الى الزعيم بوزيان الذي قوى مركزه العسكري بهم .

هذه الوضعية المتأزمة بالنسبة لفرنسا دفعتها إلى حشد قوات عسكرية كبيرة بقيادة كاربوسيا رئيس المكتب العربي بباتنة، بحيث تذكر التقارير حول الحملة الموجهة للزعاطشة، أن عدد عساكر هذه الحملة وصل إلى 1700 عسكري (1) . هذه القوة الهائلة التي لم تصمد أمام المقاومة و انكسرت شوكتها في معركة حامية الوطيس بتاريخ 16 جويلية 1849 (2) . و السبب في هذه يرجعه الفرنسيون دائما و كعادتهم في الإنهزام إلى

A.O.M

1- SERIE H SOUS SERIE 2H25 RAPPORT DU BUREAU ARABE 20.7.1849

2- IBID .

الظروف الطبيعية القاسية، جانب الحولية(1)
التي لم تتحمل الجيوش الفرنسية درجتها
ثم هبوب الرياح الصحراوية التي أعاقت تطبيق
خططهم، و كذلك الارهاق الشديد الذي لحق بهم
أثناء توجههم لحصار الزعاطشة. فماذا نقول
عند الوقوف على هذه المقابلة؟ الجندي الفرنسي
مدرب على أسلحة متطورة. أما المقاوم الجزائري
فيعتمد في حربه على أسلحة تقليدية بسيطة
كالسيوف و بنادق البارود العتيقة إن وجدت.
و الفرنسي مجهز بالعتاد من ملابس و مأكل
و مشرب، أما الجزائري ففراشه الأرض و غطاؤه السماء،
و هكذا تبتعد المقارنة فتصبح مستحيلة.
إذا الفرنسي تحذوه فكرة السيطرة لأنه
يمتلك قوة السلاح، أما الجزائري تحذوه فكرة
التحرر و الاستقلال لأنه يمتلك قوة الايمان
بشخصيته و وطنه، فهو يحارب إذا من أجل
استرجاع ما فقد. فمن المنطقي و الموضوعي
جدا أن تكون أسباب الهزيمة الفرنسية متعددة
و لا تقتصر على جانب معين حسب ما ورد في
تقاريرهم، و إلا كيف نفسر ازدياد المساعدة
المادية و المعنوية للشيخ بوزيان مثلا، إذ
قدمت إليه القبائل من كل حدب و صوب من

(1) [illegible] الأوراس [illegible]

المسيلة و الأوراس و بوسعادة و غيرها ، مما وضع القوة الفرنسية أمام الأمر الواقع ، إما الإنسحاب و التراجع ، و إما المواجهة التي كان الفرنسيون يدركون أنهم سوف ينهزمون لا محالة و هذا ما نستنبطه من مراسلة القائد كاربوسيا (1) إلى حاكم إقليم قسنطينة إذ يشير فيه إلى أمرين إثنين . إما أن يبادر بالهجوم مستعملا كل قواه و يرى أن هذا الأمر يستغرق منه ثمانية أيام رغم الظروف الطبيعية ، و إما التراجع و الإنسحاب بحيث يرى أن ذلك سوف يزيد من عزيمة المقاومين و يساعدهم على كسب العديد من القبائل الأخرى (2) .

لقد زادت هذه الظروف المتأزمة للسلطة الفرنسية تعنتا و تجبرا ، خاصة بعد الجزائم

1- كان كاربوسيا رئيس المكتب العربي في باتنة . توجه مع 1700 في أول حصار للزعاطشة ، لكنه انهزم أمام قوة الشيخ بوزيان .

2- A.O.M, 1H6, DOCUMENT N°150
SERIE H SOUS SERIE 2H2 25 MEMOIRE RELATIF AUX EVENEMENTS ACCOMPLIS DANS LA SUBDIVISION DE BATNA DU 16 OCTOBRE 1848 AU 6 DECEMBRE 1849 .
SOUS LES ORDRES DU COLONEL CARBUCCIA .

المتكررة التي لحقت بجيوشها بين آونة و أخرى على يد المقاومين. لذا قامت بحشد قوات جرارة من جل معسكرات حامياتها في قسنطينة و سكيكدة و باتنة ، بالإضافة إلى تعزيزات عسكرية تحت إشراف الحاكم العام بصورة غير مباشرة، و الذي وعد بأن تصل هذه القوة و تتجمع في قسنطينة بين 18 و 20 سبتمبر، و التي وصل عددها إلى قرابة أربعة آلاف عسكري ما بين جنود و ضباط.

و كانت هذه الحملة بقيادة الجنرال هربيون الذي باشر بإحراق البساتين وتخريبها لتخويف الأهالي. و ما كاد أن يصل إلى كدية المائدة (+) حتى أصبح عدد جنوده يفوق الأربعة الآف ، هذه الأعداد الهائلة من الجنود لم تثن من عزيمة الشيخ بوزيان في المقاومة إذ أرسل الوفود إلى القبائل يوضح لهم الظروف التي

(+) منطقة من واحة الزيبان ، و هي خصبة بالحبوب، و الغنم و الجمال و التمور ، لذا كانت منطقة تمركز سكاني كبير. و قد ضرب الحاج أحمد باي معسكره بها عام 1831، عندما كان يجمع الضرائب ، و هي مقابلة لقرية الزعاطشة.

يسمون بها و يشي لهم بأن مصير الزعاطشة هو مصيرهم أيضا ، وعليه لا بد من دحر الكفر.
وكانت النتيجة ، وصول هذه القوة الشعبية و انضمامها في صفوف المقاومة.و بقيت قوة شعبية أخرى تلعب دورها في تدعيم هذه المقاومة خارج قرية الزعاطشة ، و يتمثل هذا الدور في قطع طرق الإمداد و المواصلات ليس بين الحاميات الكبرى فحسب ، كباتنة و بسكرة مثلا ، و إنما حتى بين القرى القريبة من الزعاطشة .

و الملاحظ أن هذه المقاومة لم يمهد لها الطريق من الجانب العسكري و السياسي الكافيين ، إذ اعتمدت على الجانب العفوي غير المنظم ، كغيرها من بعض المقاومات.
كما أنه على الرغم من استمالتها للعديد من القبائل ، إلا أنها كانت متقطعة و معزولة إلى حد ما.فمثلا هذه الإنعكاسات شملت لفترة وجيزة الشرق الجزائري عن غيره من أجزاء الوطن.
و بهذه الصورة كان الهجوم الأخير الذي أجهض إلى حد ما هذه المقاومة و ذلك بمقتل

الشيخ بوزيان (+) و ولده ، بعد أن بذل كل مساعيه لدحر قوة الاحتلال . و كان ذلك يوم 28 نوفمبر 1849. و على حصار الزعاطشة ، فإن الظروف المواكبة له كانت صنيع القبائل التي تحملت فعلا أعباء هذه الحرب ، و انعكست بالايجاب على باقي المناطق الأخرى التي عمتها المقاومة و بالتالي كان حتما على فرنسا قتلهما في المهد قبل أن يستفحل أمرها (1).

أليست تلك هي سياسة فرنسا دوما تجاه أي مقاومة وطنية مهما كان حجمها ؟ فماذا نقول عن انتفاضة أنصار الحاج أحمد باي في الأوراس ، حيث وجهت حملة عسكرية ضدهم بقيادة الجنرال كانلوبير ، لم تكن هي

(+) كان الشيخ بوزيان عالما متدينا و بطلا شجاعا ، و في الوقت الذي كان فيه ممثلا لسلطة الأمير ، حسبما ورد ، إلا أنه كان على اتصال كبير بالحاج أحمد باي في منطقة الأوراس ، و كذا منطقة الزيبان .

1 - A.O.M, 2H6, DOCUMENT N° 151 .
SERIE H SOUS SERIE 2H25 JOURNAL DE MARCHE DE LA COLONNE EXPEDITIONNAIRE COMMANDEE PAR M° LE GAL. ST.ARNAUD, RAPPORT DATE A CONSTANTINE LE 10 JUILLET 1850 .

الأخرى إلا تتويجا و استمرارية لتلك المقاومات التي كان العدو الفرنسي يحط من قيمتها، إذ تقول إحدى التقارير ما يلي/ ((تلك الحملة الناجحة و الجميلة التي قادها الجنرال كانروبير و التي توجت بإخضاع الأوراس و شغر مهرة ...)) (1) .

هذه الحملة التي أعاقت طريقها الظروف الطبيعية دائما، و هذه المرة ليست الحرارة و الرياح الرملية، و إنما قساوة البرد الشديد، إذ يقول التقرير بأن البرد القارس كان السبب الرئيسي الذي دفع هذا القائد العام إلى إلغاء كل العمليات العسكرية (2) . و يوجز نفس التقرير أن هذا الإلغاء، أي إيقاف العمليات العسكرية الحربية، دفع العديد من القبائل الإعلان عن خضوعها بعد أن كانت قوة في المقاومة التي سماها بالتمرد أو العصيان .

1- AOM. SERIE H SOUS SERIE 2H25 JOURNAL DE MARCHE DE LA COLONNE EXPEDITIONNAIRE COMMANDEE PAR LE GAL. ST.ARNAUD,RAPPORT DATE A CONSTANTINE LE 10 JUILLET 1850 .

2- IBID . RAPPORT DATE LE 10 JUILLET 1849 .

لم من السهل على القبائل أن تستسلم

هكذا، و إنما كان تلقين الفرنسيين لهذه الحقيقة على هذا الوجه. إذ يضيف التقرير السابق ما يلي ((و عند وصول الجنرال سانت آرنو إلى قسنطينة أعدّ حملة كان يهدف من ورائها تمشيط جبال الأوراس في كل الجهات، و ذلك لضمان حمايتها الكاملة و الفعلية، و تثبيت أقدامها على النقاط الهامة لإدارة البلاد ...)) (1). و مع ذلك، فإن بعض الجهات بقيت مفتوحة في سهول الأوراس أمام الأهالي خاصة في الجهة الشرقية، و هذا ما يسمح للمقاومين التسلل إلى القبائل الثائرة بعد تنفيذ عملياتهم العسكرية. و مع ذلك بقي الخوف يخيم على السلطة الفرنسية لأن مقاومة الشعب لم تمت. إذ نضيف في هذا الشأن ما جاء على لسان القائد الكولونيل كاربوسيا ما يلي ((عندما كلفت مع فرقة عسكرية في الحضنة، طلب أحد القياد في الأوراس حضوري في 3 أفريل، و قد طلبت الإذن للخروج

AOM. SERIE H SOUS SERIE 2H25 RAPPORT DATE LE 10 JUILLET 1849.—1

إلى واد عبدي لكن طلبي رفض مرتين، و إثرها دخلت إلى باتنة في 20 أفريل. و لقد كنت متخوفا كثيرا من هذه الحركة في الأوراس...))(1).

و في نفس التقرير، يشير هذا القائد إلى المسؤولية تجاه الجنرال هربيون الذي رفض طلبه، مما دفع قبائل مراح MARAH إلى الثورة و قتل شيخهم. و لم يكن بوسع هذا الأخير إلا حرق قرية بكاملها تابعة لهذه القبائل، لأنها كانت تشكل في نظره خطرا على المواصلات بين قسنطينة و سكيكدة، و الطريق بينهما أصبح غير مأمون.

و إن كان للشيخ بوزيان وزن تاريخي في انعكاسات مقاومة الحاج أحمد باي، فإن الشيخ عبد الحفيظ كان له هو الآخر دور فيها. وقد كنا قد أشرنا إليه فيما سبق، فهذه الشخصية المقاومة هي الأخرى دوّخت السلطات الفرنسية. فقد كان مرابطيا تمكن من استيعاب العديد من القبائل و جرهم إلى الثورة، و بالتالي أعلن الحرب المقدسة - أي الجهاد ضد الكفر- إذ لم

A.O.M

1- SERIE H SOUS SERIE 2H25 VOIR LA LETTRE N° 4

ينحصر هذا الاستيعاب على القبائل التي ما زالت على استقلالها ، و إنما استمال كذلك القبائل التي كانت خاضعة لفرنسا ، و بذلك تمكن من اثارة منطقة الأوراس كلها .

العنصر الخامس

تحالف شيوخ القبائل في إسقاط قوة سان جرمان .

في 17 سبتمبر من عام 1849م ، تمركز الشيخ عبد الحفيظ في منطقة سريانة (+) وكمرحلة أولى ، كان يجمع القوة اللازمة التي تمكنه من الهجوم على القوات الفرنسية في أي منطقة تتواجد بها ، إذ وصلت حوالي مائتي فارس إلى جانب العديد من الصاغة (++) والظاهر أن هدفه من ذلك التجمع هو إخراج هذه المقاومة من حيزها الضيق إلى مناطق أخرى. فمن واحات سيدي عقبة و خنقة سيدي ناجي ، إلى كل الواحات المجاورة بما في ذلك بسكرة التي كانت في تلك الفترة معسكرا هاما بالنسبة لقوات الإحتلال الفرنسية ، و هذا الأمر كان يهدد التواجد الفرنسي. هذا ما أكده الكولونيل باريل دي برتيزيل بقوله ((و بسكرة نفسها التي انصاع سكانها بكل سهولة. فخادمنا الأمين بن شنوف أصبح مهددا بالخطر. (1)

(+) سريانة ، هي المنطقةالتي توجد على ضفة واد بيراز الذي يوجد خارج بمكرة بـ 20 كلم .

(++) كلمة صاغة وجدناها في إحدى التقارير هكذا SAGAS والمقصود بها تجمع.

1 — AOM. SERIE H SOUS SERIE 2H25 JOURNAL DES OPERATIONS DE LA COLONNE EXPEDITIONNAIRE DES ZIBANES, SEPT. OCT. ET NOVEMBRE 1949 PAR LE COLONEL BARREL DE BRETIZEL CHEF D'ETAT MAJOR .

لقد استطاع المرابط الشيخ عبد الحفيظ الذي كان مقدم إخوان الرحمانيين في خنقة سيدي ناجي، أن يتحرك مع أنصاره ضد الحامية الفرنسية المتواجدة في بسكرة. لكن خبر الهجوم وصل السلطة الفرنسية المرابطة في المنطقة، فاستعدت له بقوة تفوق قوة المقاومين، و ذلك حسب التقارير التي وصلتهم عن عدة و عتاد المجاهدين من طرف المخبرين الذين وضعوهم لرصد التحركات، و منهم الباي بن شنوف قائد الزاب الشرقي.

و مع ذلك، فإن الظروف لم تمنع الأهالي من عزمهم في دحر الاستعمار مهما كلفهم ثمنه، ذلك لأن كراهية العرب للفرنسيين المحتلين وصلت ذروتها، فحرماتهم انتهكت و أراضيهم اغتصبت، لذلك جعلتهم يشاركون بكل نفس و نفيس في جل الانتفاضات. و على هذا الأساس كان الغضب الجماهيري عنيفا و عفويا، كمنطقة طولقة و فرفار و ليشانة و بوشقرون و الواحات المجاورة. و ما يوضحه التحالف والتضامن العضوي بين بعض زعماء هذه الانتفاضات، فالشيخ عبد الحفيظ كوّن تحالفا مع الشيخ بوزيان

و أولاد جلال و سيدي خالد إلى جانب تضامن

القبائل المجاورة مع بعضها البعض مثل

قبيلة السالمية و براهم و بوعزيز، و هي قبائل

من الرحل إلى جانب هذا التحالف نجد تحالفا

آخر يتمثل في قبائل أولاد زيان و بني موسى

و بني فراح و بني يحي و بني زكري و الحضر

الحلفاوية، ثم تضامنا آخر كذلك يتمثل في

تحالف بني وجنة و أولاد داوود و هي أكثر القبائل

في الأوراس إلى جانب أولاد عبدي، و كذلك قبائل

بلزمة، يضاف إليها أربعمائة (400) رجلا من

أولاد ساسي (1).

و رغم مزاعم الفرنسيين، بأن الثورات

التي اندلعت ما هي إلا تمرد قام به قطاع

طرق و لصوص فلماذا كان رد فعلها عنيفا

يا ترى ؟

معنى ذلك، أن هذه الثورات ليس كما

ادعت و إلا لما زجت بأفضل ضباطها - في

حروب أو تمردات - كان المآل في الموت المشين

A.O.M

SERIE H SOUS SERIE 2H25, OPERATIONS DU COLONEL BAREL - 1

DE BRETIZEL .

لهم . و هذا ما حدث للقائد (سان جرمان)(1) الذي لقي مصرعه على يد الشيخ عبد الحفيظ في معركة حامية الوطيس فقدت فيها فرنسا العديد من قتلاها . فقد حاول الرائد سان جرمان إثبات جدارته في هذه المعركة، حيث خرج إلى الحرب على رأس ثلاثمائة (300) رجل و فيلقين من الفرقة الأجنبية ، و مائة و تسعة و عشرين (129) حصانا ، و الفرقة الثالثة للقناصة و الفرقة الثالثة للفرسان الصبايحية و أكثر من مائتي (200) حصان مع فرسانهم من القوم.(2)

1- أعتبر سان جرمان أول قائد أعلى في الجنوب، حكم بسكرة مدة أربعة سنوات، و قد أثبت مهارة و قدرة فائقتين، إذ استمال بعض القبائل بلباقته و ذكائه، و قد راوده حلم كبير تمثل في تكوين حكومة مستقلة في الجنوب ، و أن ينفرد بحكمها لوحده.
و قد ذاع صيته حتى بعض نواحي تقرت ، إذ جعل حدود دولته الصحراوية الجديدة منطقة التل.
أنظر في ذلك/
AOM. SERIE H SOUS SERIE 2H25 ,OPERATIONS DU COLONEL BAREL DE BRETIZEL.
AOM. SERIE H SOUS SERIE 2H25,JOURNAL DES OPERATIONS DE LA COLONNE EXPEDITIONNAIRE DES ZIBANS,SEP.OCT.NOVEMBRE 1849 PAR LE COLONEL BAREL DE BRETIZEL CHEF D'ETAT MAJOR . -2

و قد أعدّ عدته يحذوه في ذلك غرور العظمة، وأنه الشخصية التي فرضت نفسها على الجنوب كله. غير أن هذا الحلم لم يتحقق أمام قلة من الفرسان و المشاة تحت قيادة الشيخ عبد الحفيظ ، هذه القوة التي لم تتجاوز المائتي رجل فقط .

و في المعركة لقّن المقاومون جنود الإستعمار درسا لن ينسوه. وكانت النهاية بقتل قائدهم سان جرمان، و تشتت قوتهم، و نظرا لتخوف الشيخ عبد الحميد من وصول المساعدة إلى المنهزمين ، فكر في الإنسحاب رافعا راية النصر بعد أن كبّد العدو خسائرا في العتاد و الأرواح .

و من المؤكد تاريخيا ، أن جل الإنتفاضات القريبة العهد بمقاومة الحاج أحمد باي ما هي في الحقيقة إلا انعكاس لها ، باعتبار المناطق التي كانت مسرحا للإنتفاضات في أغلبها مناطق خاضت المقاومة إلى جانب الحاج أحمد باي، و تأثرت به إلى درجة كبيرة فحذت حذوه في النضال و التضحية على الرغم من

أن زعماءنا كانوا يدركون أنهم لن يستطيعوا هزم العدو لما له من قوة منظمة، حيث أنه يتفوق على منظمة المتطوعين العسكرية، بحيث ما كان ينقص هذه المقاومات هو التنسيق المتماسك وتضافر الجهود تحت قيادة محكمة، وهذا عكس ما اتسمت به على نطاقها العفوي الحماسي الذي ما إن يصل إلى مرحلة معينة حتى ينطفئ نوره. كذلك فإن هذه الانتفاضات لم تأخذ العبرة من الماضي، خاصة وأن هذه القبائل عاصرت مقاومات وتجارب ضد الاستعمار كمقاومة الأمير والحاج أحمد باي. ولو تضافرت جهود هذين الزعيمين لتمكنا من طرد الاستعمار حتما، لكن الانفرادية والعزلة قضت على هذه المقاومات في أسرع وقت، كذلك خلو هذه الانتفاضات من الخطط العسكرية الحديثة وعدم الاعتماد على ما يسمى بالخداع الحربي.

وهكذا، ورغم ضراوة الحرب التي أثارها المقاومون، ورغم تضافر جهودهم قصد القضاء على العدو، تبقى الأسباب التي ذكرناها آنفاً المؤشر الوحيد الذي حكم عليها بالفشل.

لقد كان الحاج أحمد باي حاكما لأكبر إقليم جغرافي من الأقاليم الجزائرية من حيث شساعة أراضيه، و تعدد القبائل القاطنة به، و هذا ما زاد من كثرة السكان الذين كانوا في تزايد مستمر، و هذا التزايد السكاني لم يقبل به الفرنسيون الذين أدركوا لتوه ما يمكن أن ينجرّ من مخاطر عدهم في الإقليم، خاصية كراهية الجزائريين الشديدة و المتزايدة للفرنسيين المحتلين، و ما زاد في هذه المخاطر ظهور الحاج أحمد باي بمظهر الرجل القوي الذي بإمكانه إستغلال القوة البشرية الجزائرية للحدّ من جبروت العدو الفرنسي و القضاء على طموحاته المستقبلية.

و هذه الظاهرة السكانية حاول جلّ الكتاب الفرنسيين التقليل من أهميتها، مما إضطرنا تحت هذا التحيز الفرنسي إلى مقارنة ما ذكر من معلومات فرنسية بما كتب بأقلام جزائرية، فكان كتاب المرآة لحمدان خوجة خير معبّر عن صدق المعلومات حول عدد السكان في الإقليم الشرقي.

كما أن شخصية الحاج أحمد باي كانت أكثر إشارة، لما توصلنا اليه من معلومات دقيقة حول حياته و تربيته، و ما عاناه من مكائد أعدائه و إستنتجنا على ضوء هذه المعلومات، ما أكسبه من تجارب سياسية و عسكرية، فزيارته إلى مصر جعلته يحتك بأولاد محمد علي باشا والي مصر لفترة، إذ تأثر بالمنجزات العمرانية و العسكرية، فكانت حافزا قويا بالنسبة له على تخطي الصعوبات لتحين سنة 1827، حيث أظهر قدرة فائقة على تسيير شؤون بايلك الشرق،

لتأتي سنة 1830، و تؤكد هذه القدرة في إتخاذ التدابير الفعالة لمواجهة الإحتلال الفرنسي، و من ثم برز كرجل دولة، حاول جاهدا تثبيت دعائمها جاعلا من قسنطينة عاصمة لها بعد أن سقطت العاصمة الجزائر على أيدي العدو الفرنسي، و بالتالي فإن فترة حكمه تميزت بأعمال إدارية و سياسية، كانت رمزا لهذه الدولة، و ما تأسيسه لمجلس شورى يتضمن عقلاء البايلك و علمائه و شيوخه و أكابر موظفي الدولة إلا دليل قاطع على مدى ما وصل اليه الحاج أحمد باي في ترتيب شؤونها، و للسير الحسن، فقد أحدث مناصب هامة مثل الباشحامبا و قايد الدار و قايد العشرة، و منصب كاتب السر المسمى بالباش كاتب. و قد تعددت المناصب في عهده مثل ناظر الوقف، و الباش مكحالجي، و الباش سراج، و قائد المقصورة، و باش فراش، و قائد الدريبة، و شاوش الباي، و قائد القصبة.

و لتكتمل سيادة هذه الدولة، فقد قام بضرب النقود، و وضع علما أحمرا يتوسطه سيف علي رضي الله عنه، نصب على كل مؤسسات الدولة، و لحماية هذه السيادة عمل الحاج أحمد باي على الإهتمام بالجيش لأنه العمود الفقري لهذه الدولة، و حامي حماها، فكان يتكون من جزئيين، جيش نظامي يزيد عن ألفان و خمسمائة مجاهد، و جيش غير نظامي يفوق الاثناعشر ألف مجاهد. و من رموزها كذلك، الحياة الثقافية التي إزدهرت كثيرا في عهد الحاج أحمد باي فجعل من قسنطينة حاضرة علم و معرفة، فأصبحت توازي علميا كلا من تونس و القاهرة،

وما يؤكد ذلك، التعليم بكل أطواره و إجباريته على التلاميذ الذين تزايد عددهم من عام لآخر .

كما حظي العلماء بمكانة كبيرة في عهد الحاج أحمد باي منهم الشيخ محمد بن فتح الله، المفتي الحنفي، و محمد بن عبد الكريم الفكون، و أحمد بن المبارك بن العطار و أبو راشد عمار الغربي، و كذلك الشيخ محمد الميلي و محمد العربي ابن عيسى و غيرهم من العلماء الأجلاء الذين دفعوا عجلة الثقافة و جعلوا من قسنطينة مقصد طلاب العلم و المعرفة .

و من ناحية أخرى إعتنى الحاج أحمد باي باعتباره رجل دولة بالنشاط العمراني معتمدا في ذلك على بنائين جزائريين منهم أشهرهم الحاج الجابري و الخطابي اللذين أشرفا على بناء قصر احمد باي إلى جانب إنشاء الساحات العمومية مثل رحبة الجمل و سوق العصر، و كذلك تخصيص أسواق للحرف و المهن و البضائع، و قد عمل الحاج أحمد باي على إبقاء الطابع العربي الأصيل على شوارع المدينة و أزقتها .

غير أن هذه المعالم الحضارية الشاهدة على الانبعاث الفكري الذي ميّز عهد الحاج أحمد باي، هدمت و هوى صرحها بدخول الفرنسيين قسنطينة عام 1837 و تحولت الى أطلال .

يضاف إلى هذه الأعمال التي جعلت من أحمد باي رجل دولة و حاكما فعليا، إرباكه للعدو الفرنسي الذي بدأ يبحث عن مخرج سلمي لاستدراجه بعد أن عرق

أنه ليس من الشخصيات التي يمكن شراء ذممها، خاصة و أن أحمد باي جعل نصب عينيه، أنه لا مجال للمساومة على المبادئ و لا لمسالمة عدوّ جاء يبذّر خيرات الجزائر و يستبعد شعبها، فكان موقفه بطوليا إعترف له بذلك أعداؤه من قادة الاحتلال الفرنسي، إبتداءا بقائد الحملة الفرنسية ديبورمون، مرورا بكلوزيل و دي روفيغو و دامرمون و فالي، الذين سارعوا في كل مرة إلى مراسلته طالبين منه السلم، لكنه سلم مشروط على حساب شعبه و عقيدته، فكان ردّه الرفض بعد المماطلة، و هذا ما زاد من كره الفرنسيين له، كيف لا و هو رجل دولة بما تحمله الكلمة من وزن و معنى، فكانت المنازلة الأولى بينه و بين العدو الفرنسي و التي تفنن فيها الحاج أحمد باي ملقنا الفرنسيين درسا في الحروب بإتباعه خططا عسكرية محكمة لم يكن يتوقعها العدو، و تعتمد على حصر قوات العدو بين نارين، نار المدافعين بقيادة إبن عيسى داخل المدينة، و نار المجاهدين خلف القوات الفرنسية بزعامة الحاج أحمد باي. و كانت النتيجة الانتصار الكبير و دحر قوات العدو التي رجعت تجرّ أذيال الهزيمة من حيث أتت.

لكن فرنسا بما أوتيت من قوة أرادت أن تمحي عار الهزيمة التي لحقت بها على يد الحاج أحمد باي لذا أعدّت العدة عام 1837 بإستقدام جيوشها من وهران و الجزائر و فرنسا لتضييق الخناق على الحاج أحمد باي، مستغلة عدة ظروف منها على وجه التحديد معاهدة التافنة مع الأمير عبد القادر، و لكن الحاج أحمد باي

لم يأبه بهذه القوة فقال قولته الشهيرة ((إذا كان المسيحيون بحاجة إلى بارود سنزوّدهم به، و إذا نفذ خبزهم، سنقتسم خبزنا معهم، و لكن حتى و إن بقي أحد منا على قيد الحياة لن يدخلوا قسنطينة)) .

و نستنتج أن الحاج أحمد باي كان يدرك رغم ذلك، عدم تكافؤ القوتان و لكنه فضّل المواجهة الشريفة التي حفظت له ماء الوجه، و لم يستسلم مثلما كان يظن العدو الفرنسي الذي كان يفوقه عدّة و عتادا، و مع ذلك تمكن من الصمود و إلحاق خسائر كبيرة في صفوف العدو الذي فقد بعض قادته منهم الحاكم العام و قائد الجيش دامرمون، و الجنرال بريقو .

و ما توصلنا إليه من إستنتاجات كذلك، هي العلاقة التي كانت تربطه بالباب العالي، حيث أجزم بعض المؤرخين أنه يمثل الحكم العثماني، لكننا وجدنا عكس ذلك و نحن نتناول هذا العمل، إذ كانت الدولة العثمانية في نظره رمزية فقط، يمكن الاستعانة بها في المجال العسكري عند الضرورة، و على هذا الأساس كانت علاقته بالباب العالي ولم تنقطع مراسلاته معه، شأنه في ذلك شأن الأمير عبد القادر الذي كان هو الآخر على إتصال بالسلطات العثمانية.

أما علاقته بالأمير عبد القادر، جعلتنا نتأكد أن وطنيته فاقت كل تصور. فعلى الرغم مما لحق به من وراء معاهدة التافنة و تحريض الأمير عبد القادر لبعض القبائل ضده، إلا أنه إستجاب لطلبه في قطع العلاقة مع فرنسا التي كادت تؤدي إلى معاهدة تماثل معاهدة التافنة

و نسي ما لحق به من أذى .

و من الإستنتاجات الأخرى، الجهود الكبيرة التي بذلها الحاج أحمد باي من أجل بناء دولة جزائرية مستقلة عن الدولة العثمانية، و تكون إستمرارية لكيان الدولة الجزائرية، جاعلا من قسنطينة منطلقا لها . و قد أفلح في ذلك، رغم أن هذه الدولة لم تعمر طويلا ، فكان لزاما عليه أن يحمل لواء المقاومة و لفترة دامت إحدى عشر سنة من الجهاد .

و مرحلة المقاومة هاته، أبرزت الحاج أحمد باي و مزاياه بإعتباره زعيما وطنيا ، و نستنتج من ذلك دوره البارز في توحيد صفوف المقاومة و حث القبائل على الجهاد ضد العدو الفرنسي ، و تزويد المقاومة بكل ما يملك حتى بماله الخاص، و هذا ما تبرزه رسائله العديدة المرسلة إلى شيوخ القبائل ، و تحديه الباسل للاستراتيجيات العسكرية الفرنسية خلال فترة مقاومته . كما أن تنقلاته في المناطق الجنوبية الشرقية زادته عزيمة في التنسيق بين القبائل، فكان وجوده في تعبئة هذه القبائل فعالا و قويا رغم كبر سنه و مرضه.

و لنا في النهاية أن نبين سبب إستسلام الحاج أحمد باي الذي يعود إلى عدة إعتبارات منها كبر سنه و مرضه، كما سبق ذكره، و كذلك تشديد الخناق عليه من طرف العدو الفرنسي ، إلى جانب المكائد من طرف الخونة و كم كانت فرحة الفرنسيين كبيرة عند سماعهم إستسلام عدوهم اللدود الذي عكر صفوحياتهم في الإقليم الشرقي .

لكن هذه النهاية كانت في حد ذاتها بداية لمقاومات أخرى، امتدت عبر المناطق الشرقية و الجنوبية الشرقية منها مقاومة شيوخ الشرفة و بني سليمان و الشيخ عبد الحفيظ و سي محمد الطيب، و كذلك الشيخ بومعزة و بوزيان.

و هكذا تكون القوة الضاربة المتحالفة التي كانت وراء سقوط قوة فرنسا بموت قائدها سان جرمان الذي خلفته نار المقاومة دون رحمة .

و هكذا تكتمل حلقات رجل ساهم في بناء دولة جزائرية، و برهن على وطنيته . و قد أثبتها ميدانيا بجدارة و إستحقاق في مقاومة بطولية و عنيفة، ليختطفه القدر في 30 أوت 1850، بعد أن أكمل السنة الثالثة بعد الستين .

الملاحق

- علم قسنطينة باللون الأحمر يتوسطه سيف .
- بعض القطع النقدية المضروبة في قسنطينة أيام حكم الحاج أحمد باي .
- رسالة من الحاج احمد باي الى الصدر الأعظم بالعربية (دفتر خط همايون) .
- رسالة أخرى باللغة العثمانية تدخل في اطار المراسلات بين الباب العالى والحاج احمد باي (دفتر خط همايون) .
- رسالة من الحاج احمد باي الى الباب العالي (دفتر خط همايون) .
- صورة تمثل الحصار الفرنسي لقسنطينة عام 1837 .
- صورة تمثل خارطة قسنطينة 1833 .
- رسالة من الحاج احمد باي الى محمد الصالح بن با أحمد .
- رسالة من الحاج احمد باي الى قبيلة بني تلفوت .

الملاحق

- علم قسنطينة باللون الأحمر يتوسطه سيف .
- بعض القطع النقدية المضروبة في قسنطينة أيام حكم الحاج أحمد باي .
- رسالة من الحاج احمد باي الى الصدر الأعظم بالعربية (دفتر خط همايون) .
- رسالة أخرى باللغة العثمانية تدخل في اطار المراسلات بين الباب العالى والحاج احمد باي (دفتر خط همايون) .
- رسالة من الحاج احمد باي الى الباب العالي (دفتر خط همايون) .
- صورة تمثل الحصار الفرنسي لقسنطينة عام 1837 .
- صورة تمثل خارطة قسنطينة 1833 .
- رسالة من الحاج احمد باي الى محمد الصالح بن با أحمد .
- رسالة من الحاج احمد باي الى قبيلة بني تلفوت .

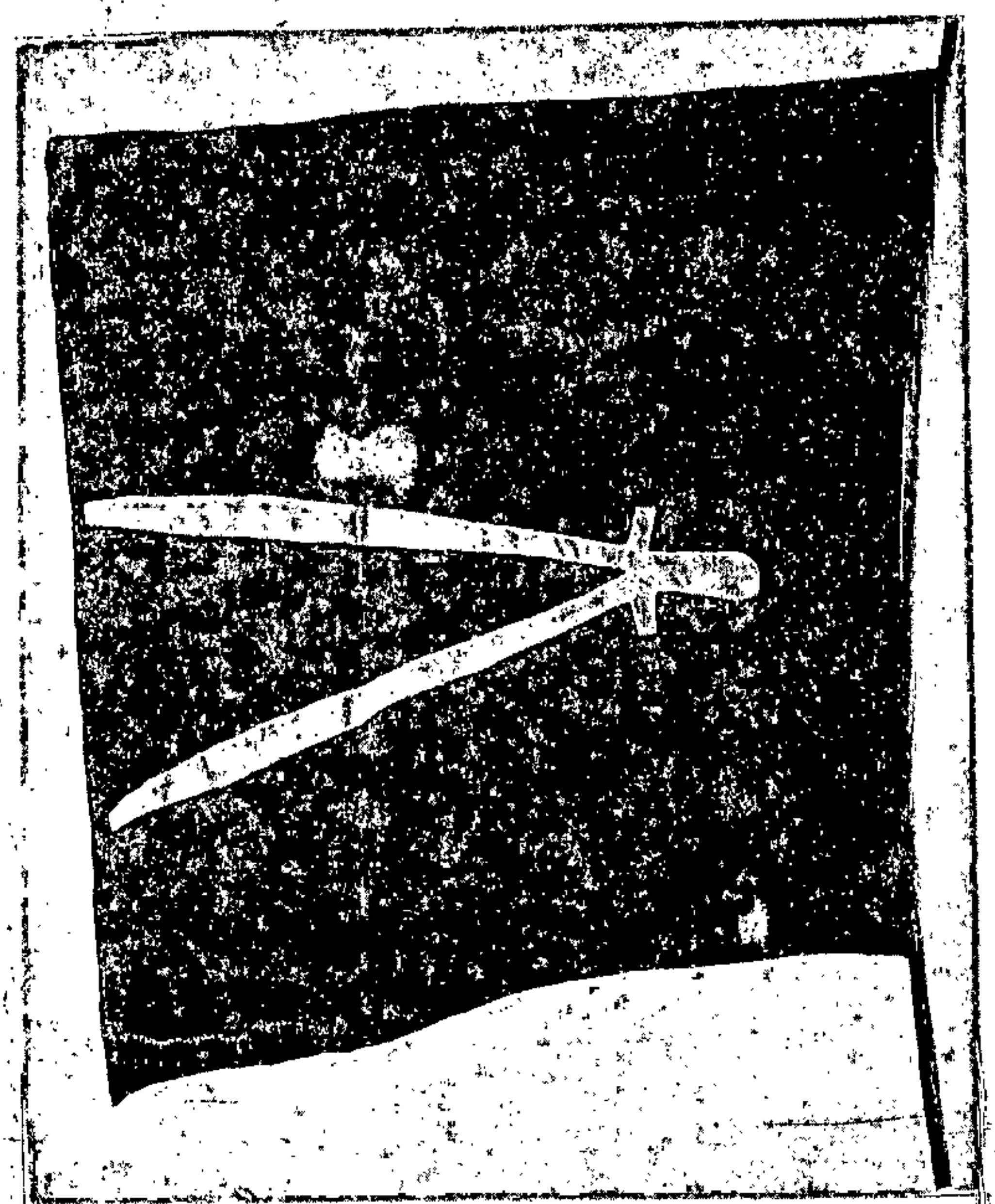


Planche N° 4 — Le Drapeau constantinois
Esquer,G. **Iconographique historique de l'Algérie depuis le XVI° siècle jusqu'à 1870,**
t. II, planche n° CCXVII, Paris, 1929.



Planche N° 2 — Sceau de Ḥādj 'Aḥmed Pāshā
Archives Nationales Tunisiennes, dossier 384
document n° 50

* * *

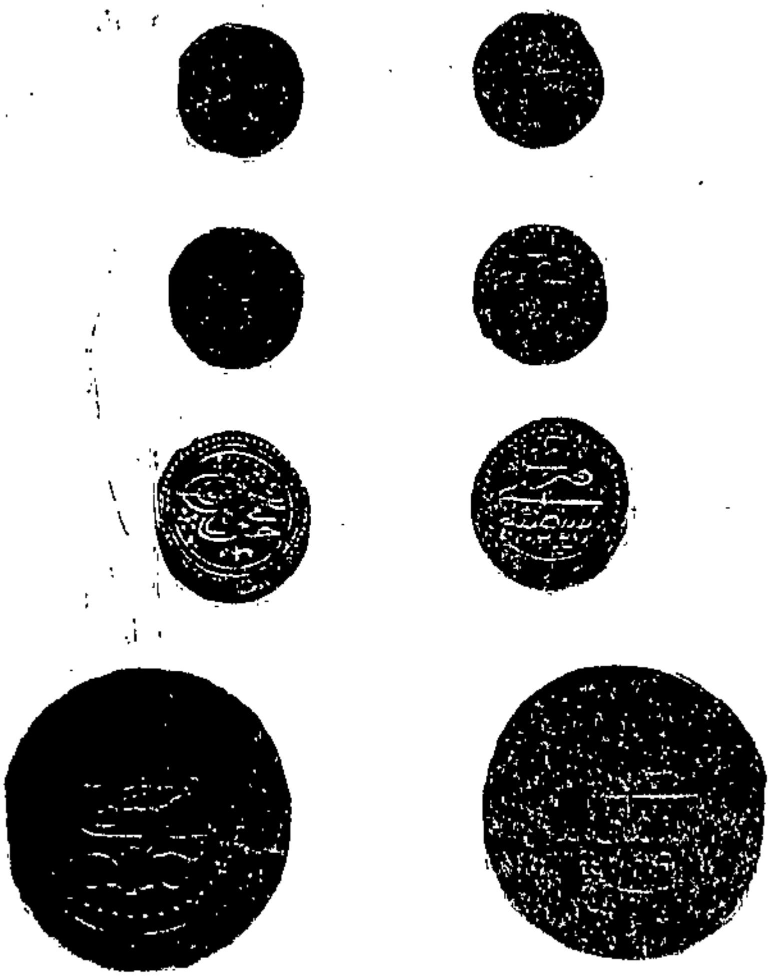


Planche N° 3 — Monnaies frappées à Constantine
par Ḥādj 'Aḥmed
Musée du Bardo à Tunis

سعادة ابديه وعناية ربانيه وكرامة صمدانيه وعافية سرمدية وخيرات وافيه ونعم شاملة متواليه تختص بحضرة الوزير الاعظم

الارفع الصدر الهمام الانفع صاحب المكان الاكمل الاسمى والجناب الامنع الاحمى ابقاه الله سعيدا زمانه رفيعا شانه واضحا في المكرمات

اما بعد اهداء تحيات لائقه تامات وتسليمات مباركات شاملات ودعوات ناجحات صالحات لمقامكم المحوط بالعناية المويد بالرعا

فانه تقرر في شريف علمكم ما قد حل بساحة قطرنا من المحن وتراكم الاهوال واشتعال نار الفتنة عند دخول الفرنسيس الجزاير دار الامن

وتشتت حال المسلمين وهربوا بدينهم لا يدرون اين يذهبون وصاروا في حيرة وشدة لكون متولي امرهم اخطا في تدبيره ولم يعلم الا

من عاله وجنوده واشترط على العدو نجاة نفسه واهله وماله وترك المسلمين في حيرة عظيمة فكبسهم العدو على غرة اذ لم يكن لهم استعد

ولا عده فاستولى عليهم الاعراب واستحلوا منهم ما دون انفسهم وكنا ممن حضر وقت جباية المال بغير مرة قوية من الرجال فقمنا باعانة الله

وجمعنا شتاتهم وحاربنا عدوهم وما سلكنا بهم الطريق الا بعد شدايد واهوال حتى بلغوا محل الامن من البلاد وقهرنا اهل الشر والفسد

وبذلنا في سبيل الله وطاعتكم انفسنا واموالنا المخلف عن اسلافنا وكسرنا شوكة اهل الفتن الموقدين نارها الفايضين تيارها وجلبنا الود

بالبذل الكثير والرفق والاحسان واسقطنا عنهم جميع المظالم السالفة والبدع الشانئة الباطلة واكتفينا منهم بالقانون الشرعي

فطابت نفوسهم وقرت عيونهم وسكن روعهم فنبهناهم لملازمة السمع والطاعة للدولة العلية المويدة الخاقانية ثم امرناهم

بالاستعداد والوقوف في حراسة الوطن والحذر من مكر اهل الكفر ومازلنا على تلك الحال باذلين النفس والمال اذ المدخل الشه

اقل من خرج ما يلزم صرفه في الجيوش والجند الكثير الوافر اذ نحن واثقون به بعون الله وعزه ونصره في عين الكافر منقادين لطاعة الدولة العا

وخدمة المملكة العثمانية نامر بها البوادي واهل الحاضر معلنين بذكر اسم الشريف في الخطب والدعاء الصالح على المنابر مستيقظ

لاحوال الرعيه والحكم بينهم بالسويه وتدبير شان اهل الملة الاسلاميه والوقوف عند حدود الشريعة المحمديه على صاحبها افضل الصلاة وازكى

غير اننا في ضيق وهم وكرب وغم من تعذر الطرقات البريه والمسالك البحريه التي حالت بيننا وبين التوصل والوصول باخبارنا وانباء من جاد

الى الحضرة السعيده ولو كان بيدنا اقرب المراسي الينا مثل عنابه لكان حبلنا متصلا متصلا بمقامكم وردنا متاكد منكم رفعت استعد

بين يديكم ونحن الان لا يتهيا لنا ارسال مكتوب الا بالحيلة والتلطف والوسيلة فانظروا اعزكم الله في شان من هو ماكث على الطاعة ملازم للحذر

فاما الامور جميعا اليكم وشرح حالنا الا بحنا عليكم والسلام ختام

حرر في ... الفقير لربه سبحانه
الحاج احمد باي ... قسنطينة
... الاول سنة ١٢٥٠

[illegible]

47967

[illegible]

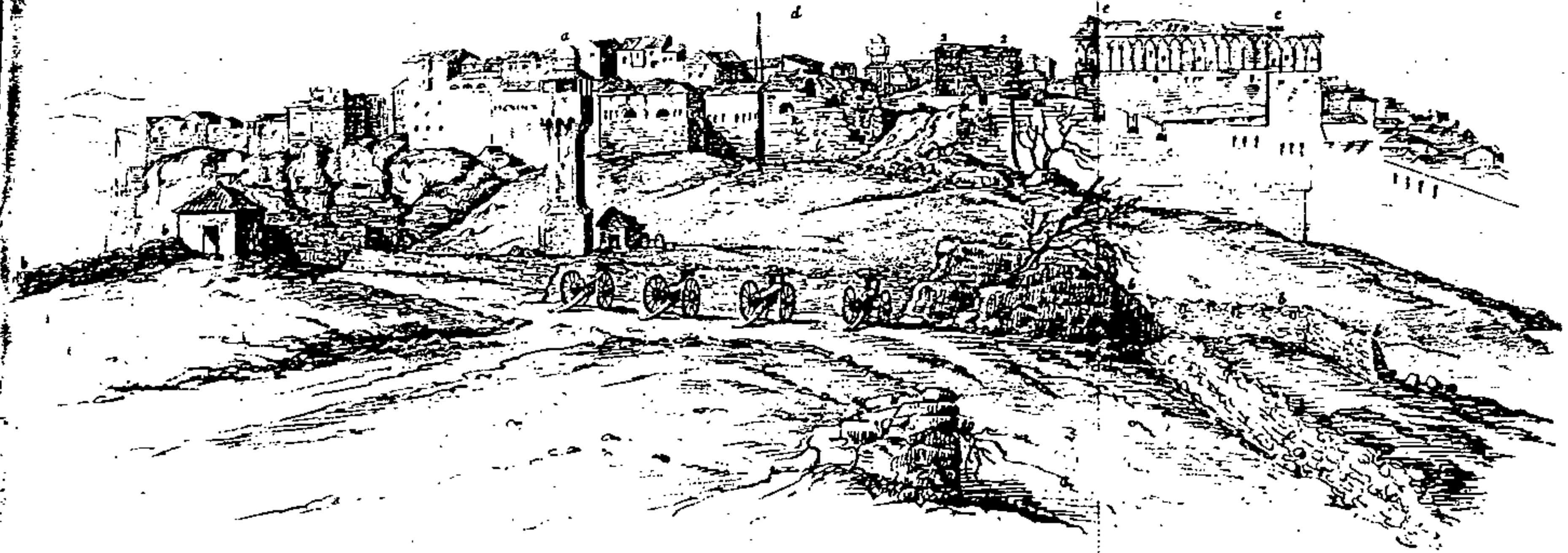
بيده [illegible] ان [illegible] ويستمر امور اصحابه

الحضرة التي تأتي على اصيل مجدها وطلع لطلوع الفرقدين سعدها وثبت اصلها ويستوثقها وانتشر اثاره
افصاح الالسنة باشاعتها وانتمى كل جميل اليها حضرة واسطة نظام عقد كقلادة العظمى ونخبة الاماجد الهمم
المرفوع المعظم المنيف الفخيم الموصوف بالاخلاق الجميلة والمآثر الحميدة الجليلة احمد الاقران والبرهان الفرد الرابح
بان لا زال ملحوظا بالعناية الربانية مؤيدا بالتأييدات الصمدانية وبعد ايدك الله حالك والمملكة
فانه لا يخفى فيما كان على الاسلام من استيلاء الكفار اللئام على بلد الجزائر وما دار على اهلها من محن الدوائر وما
حصل الناس من التعب ومعانات الطرق وانواع النصب وتأمين الطرقات وتسكين الفتن واخماد نار الحرب بما هو معلوم عند
الناس دون الباس مشتغلين بشؤوننا كلها وعامة امورنا واسبابنا عاجلة باسرها لطاعة امير المؤمنين عامل المسلمين
المعظم ال سعد الدستور البركة الاوحد السلطان بن السلطان السلطان الغازي محمود خان ادام الله دولته
وخلد ملكه مجددين في طاعته راغبين لا نتلهى في بركته وبركتكم مستعجلين النهي وحسن الطرق [illegible]
لا غير هذا عندنا ولا سواه قبلنا وحال الناحية هنا جار بما يقتضيه الوقت ومقتضيات تعلقات الزمان لا تخفى
من كثرة المشاق والتلوك في المسالك الطرق الشاق ونحن نوكلها في خلال ذلك حالنا ونشكو ما جرى لنا لانقطاع الطرق
البرية ومسالك البحر الحائلة بيننا وبين التوصل الى ايصال اخبارنا وانتهائها الى جناب الحضرة التي هي
العلية الحميدة الميمونة الحيثية ولو كان بيدنا الاقرب المراسي لينا مثل عناية لكانت جعلنا متصلا بها بكم
وعدم الاتصال بكم وحدة منا مستحسنة لديكم والسلام ايدك الله ما طال بقاؤك انا لا ننكر ما لكم
متيسر لنا ارسال مثل هذا المكتوب الا باستعمال الحيلة وانواع التلطف الا بالنسبة الى ما نفكر في اداء
واختص اليك ووجهوا لكم الامر هو مجيد في خدمتكم فان الامر مرجع كلها اليكم وقد
الله رعاية لحضرتكم العليا وحاشيتكم المثلى متعنا الله بطول بقائكم [illegible]

حرر عن اذن الفقير لربه
محمد الحاج احمد [illegible]
وفقه الله [illegible]
[illegible]

[illegible]	H. H.
[illegible]	47971 [illegible]
[illegible]	Ell Madani
[illegible]	[illegible]

Pl. III.



VUE DE LA BRÈCHE DE CONSTANTINE (Siège de 1837.)

Le Spectateur Militaire.

(Février 1838)

C.a.D. Marabouts indiqués par les mêmes lettres sur la planche 2, entre lesquels se trouvaient une partie des parapets de la place d'armes et l'épaulement de la batterie, exécutés en sacs à terre.

e.e. Caserne des Janissaires (Pl. 2)

2.2. Mass de maçonnerie [illegible] (Pl. 2)

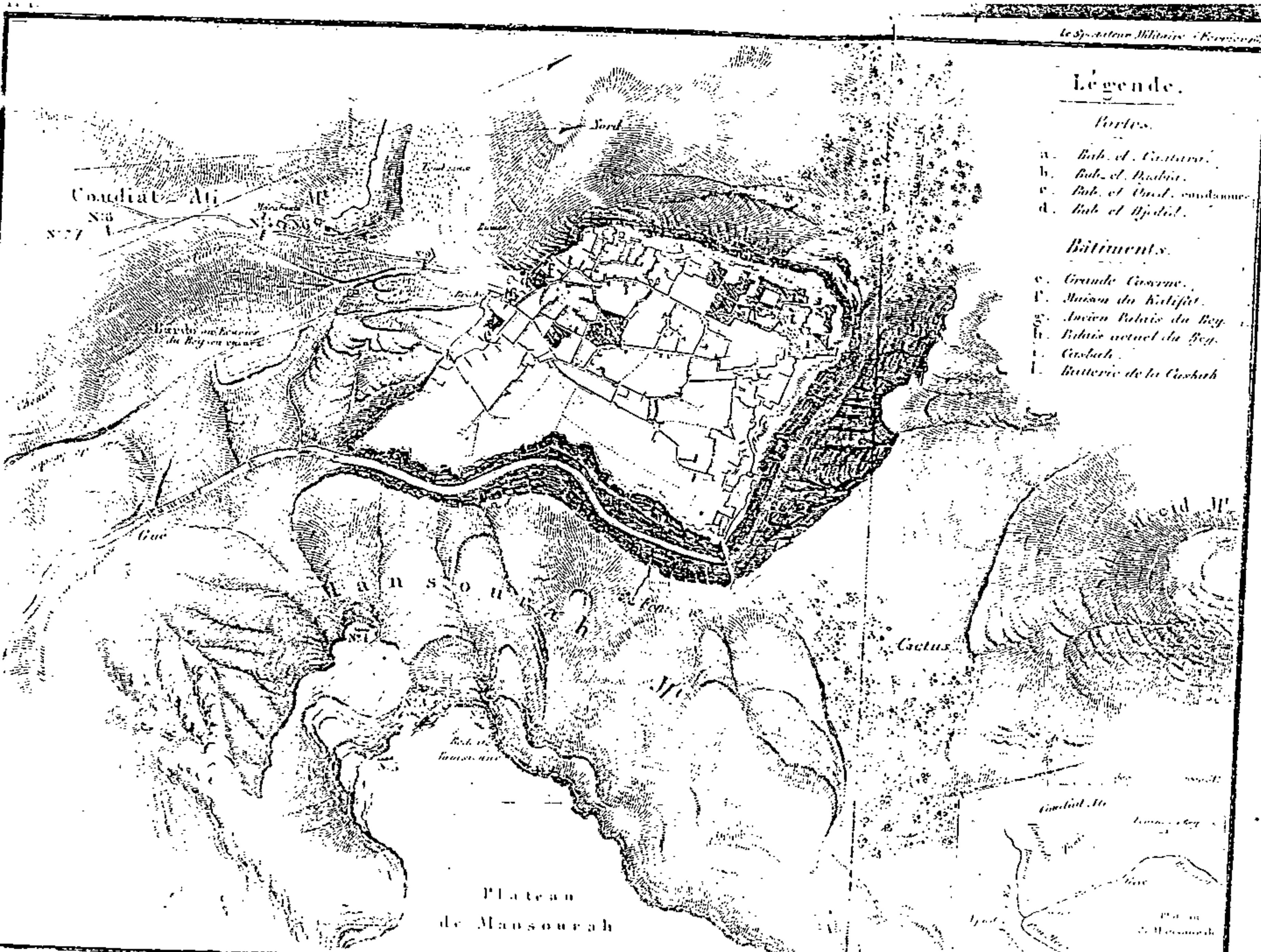
b. Partie saillante de l'enceinte [illegible] en ruines à gauche de la brèche. (Pl. 2)

a. Minaret: reste d'une mosquée rasée par les Arabes en 1837.

b.b.b. Prolongements de la place d'armes à droite et à gauche des Marabouts.

c.c. Fin de la communication couverte à la place d'armes par le rue [illegible].

d. Sommet du Sidi Mecid (Pl. 1re).


Le Spectateur Militaire
Légende.
Portes.
a. Bab el Cantara.
b. Bab el Rabia.
c. Bab el Oued, condamnée.
d. Bab el Djedid.
Bâtiments.
e. Grande Caserne.
f. Maison du Kalifat.
g. Ancien Palais du Bey.
h. Palais actuel du Bey.
i. Casbah.
l. Batterie de la Casbah
Coudiat-Ati
Nord
Cactus
Mansourah
Plateau
de Mansourah

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] والسلام

[illegible]

[illegible]

868 — 8

1837. [illegible] Ahmed [illegible]

الحرية [illegible] بكلمته التي تعود القسطاس .

عليكم رحمة الله وبركاته وتحياته ورضوانه والابد

الذي [illegible] الاسلامية [illegible] الملائكة اولانا

لا يزالون على الترتيب وضرب الرهبان والاستاذ

على الدين والتي [illegible] الايام تغيروا

على [illegible] البلاد وانتم كيف تستعمرنا للابد

تغيروا [illegible] التي [illegible] كطلب

وانتم [illegible] واولادنا [illegible] والسلام

من المنطـ[illegible] الاربع [illegible] السيد الكائن

[illegible] الله ربا

[illegible]

نبذة عن المصادر .

لم تحظ شخصية الحاج أحمد باي موضوع هذه الرسالة بدراسات متخصصة، كما أن الموضوع في حدّ ذاته لم يلق العناية اللازمة من طرف الباحثين، و يعود ذلك حسب رأينا إلى طبيعة المصادر المتعلقة بدراسة الحاج أحمد باي باعتباره رجل دولة من ناحية و رجل مقاومة من ناحية أخرى .

و بالتالي فإن معظم المصادر، فضلا عن ندرتها، فإن ما هو موجود فيها من معلومات، عبارة عن إشارات بسيطة و غير وافية، و هذا ما صعّب من حصرها .

كما أن نظرة الفرنسيين إلى تاريخ الجزائر ما إنفكت خلال القرن التاسع عشر تخضع لمقياس معين و هو رفض الرؤية المنطقية للتاريخ خاصة ما يتعلق بتاريخ المقاومة الجزائرية التي أشهرت السلاح في وجه الإستعمار، كما أن العسكريين هم الذين وضعوا المواد الأولية لكتابة تاريخ الجزائر في الوقت الذي إنعدمت فيه هذه المواد في تلك الفترة بالنسبة للأقلام الجزائرية، لذا كانت هذه المصادر من مؤلفات و مراسلات و تقارير، متحيّزة في مجملها و تتنافى مع كل موضوعية، فكانت نظرتهم لهذا التاريخ نظرة فرنسية محضة و هي في حدّ ذاتها إمتداد لتاريخه الإستعماري .

غير أن المساهمة الفرنسية الضخمة بالنسبة لتاريخنا، و في إطار إعادة تقييمها يمكن أن توصلنا إلى الحقيقة

التاريخية التي نصبو إليها ، بعد التمحيص و التقييم و التحليل و حتى و إن كان هذا الإعتماد إعترافا نسبيا لما تقدمه الفرنسيون بالنسبة لتاريخنا ، فإن الهدف أسمى و أرقى و هو إزاحة الشوائب التي علقت بتاريخنا و إخراج رموزه إلى النور •

و قد شملت هذه المصادر عدة أصناف على النحو التالي /-

المحفوظات الأجنبية -

1 - محفوظات وزارة الحربية بفانسان •

2 - محفوظات ما وراء البحر بأكس آن بروفانس •

3 - محفوظات وزارة الخارجية الكي دورسي •

و هذه المحفوظات تتضمن تقارير و مراسلات هامة جدا بالنسبة لفترة حكم الحاج أحمد باي و مقاومته للفرنسيين ، و نظرا لتحيز المعلومات الواردة ، كان لزاما علينا وجوب الحذر في نقلها •

أما بالنسبة للمصادر المطبوعة التي أشارت إلى الحاج أحمد باي ، فهي نوعان ، الأول باللغة العربية و الثاني باللغة الأجنبية ،

بالنسبة للمصادر المكتوبة بالعربية لها أهمية كبيرة مكنتنا من إلقاء الضوء على بعض الجوانب المتعلقة بهذا العمل و منها مذكرات الحاج أحمد باي و كتاب المرآة لحمدان خوجة و كتاب قسنطينة أيام أحمد باي لشلوصر و قد كان الاعتماد عليها بدرجات متفاوتة ، و هذا ما

اضطرنا إلى الاستعانة بالمصادر الأجنبية قصد تكملة المعلومات عن الحاج أحمد باي، و على الأخص المصادر المعاصرة لفترة البحث رغم سطحية معلوماتها حول شخصية الحاج أحمد باي باعتباره رجل دولة و مقام، و نظرا لاعتمادنا على هذه المصادر، فإننا أخضعناها للفحص و التحري، و هذا ما جعلنا نصل إلى استنتاجات هامة زادت من قيمة العمل .

و من الشخصيات التي عاصرت الحاج أحمد باي، و ألفت لتلك الفترة، الكابتن أميل قراند عام 1837، و الجنرال بروسار عام 1838، و الدكتور بودان عام 1838 كذلك و فلوري عام 1838 أيضا، و الدكتور سديلو عام 1838، و كذلك جانتمي دوبيسي عام 1839 و البارون بود عام 1841، و كذلك ليناديبي عام 1846 و ديجوبير عام 1846، و دومانترون عام 1847 و الدكتور غيون عام 1847 أيضا، و لاديمير عام 1859 و شارل فيرو عام 1868 و يضاف إلى ذلك العديد من الكتب و المؤلفات التي واكبت مرحلة الاستعمار العسكرية و التي امتدت إلى غاية 1870 .

وعلى هذا الأساس كان موقفنا منها حرجا لأن عملية الإقتباس و أخذ ما يهم البحث من معلومات تتم بعد تروّ و مراجعة، و بالتالي فإن المعلومات الواردة في معظم هذه المؤلفات معادية للجزائر و رموز مقاومتها، فكان هدفها التشويه و التزييف طبقا لما تمليه المصلحة الاستعمارية الفرنسية .

وإذا كانت الكتب التاريخية هاته تناولت مرحلة تواجد الحاج أحمد باي، فإنها لم تتعرض له بالشكل الذي كنّا نظن، إذ كان تركيزها على جوانب محددة فقط. أما المؤلفات باللغة العربية، فإنها لم تعط الحاج أحمد باي ما يستحقه من شأن، و لم ترفع من مكانته على أنه رجل دولة، بل إكتفت بإشارات بسيطة على أن هذه الشخصية ما زالت مغمورة و تاريخها ملموس وتحتاج إلى دراسة أعمق، غير أننا لا ننكر ما قدمه الأستاذ عبد الجليل التميمي عن بايلك الشرق أيام حكم الحاج أحمد باي.

أما بالنسبة للمقالات، سواء بالعربية أو باللغة الأجنبية، فإنها مفقودة تماما، بالمقارنة لما قدمه الحاج أحمد باي من تضحيات جسام من أجل وطنه الجزائر.

كما أثبتنا في نهاية هذه البيبليوغرافيا قائمة ثانوية لبعض الكتب المساعدة على البحث لإكتمال الفائدة.

أ ـ د ور المحفوظات

1 ـ أرشيف ما وراء البحر بأكس آن بروفانس

A.O.M, SERIE E LIASSE 119^{2} , 18 MI 37 LETTRE DU GENERAL DAMREMONT AU MINISTRE DES AFFAIRES ETRANGERES , DATEE LE 14 JUILLET 1837 .

A.O.M, SERIE E LIASSE 119^{2} , 18 MI 37 , LETTRE DATTE LE 16 JUILLET 1837 .

A.O.M, SERIE E LIASSE 119^{2} , 18 MI 37 , CAMP DE MJEZ-ALMAR LE 28 AOUT 1837, CABINET DU GOUVERNEUR GENERAL, N°28

A.O.M, F 80/561 , EXTRAIT DU RAPPORT SUR L'EXPEDITION CONTRE LES HARACTAS, DATE A CONSTANTINE LE 30 AVRIL 1840 , VU PAR LE LIEUTENANT GENERAL TREZEL .

A.O.M, F 80/1439, DIRECTION DE L'INTERIEUR,N°134,DOCUMENT N°33

A.O.M, F 80/1439, DIRECTION DE L'INTERIEUR,N°134,DOCUMENT N°953

A.O.M, F 80/1439, DIRECTION DE L'INTERIEUR,N°134,DOCUMENT N°1692

A.O.M, GGE 78/1, RAPPORT DE MALCION D'ARC INTENDANT MILITAIRE A BONE AU MINISTERE DE LA GUERRE DATE LE 2/12/1836

A.O.M, H 227, RECONNAISSANCES FAITES DANS LA PROVINCE DE CONSTANTINE EN 1837-1839, PAR LE COLONEL NIEL CHEF DE BATAILLON DE GENIE

A.O.M, H 235, RAPPORT DU GENERAL BEDEAU, AL/1-14, AVRIL -MAI 1839

A.O.M, 1 H 2 , LETTRE POSTEE LE 14 OCTOBRE , N°4

A.O.M, 1 H 4 , RESUME HISTORIQUE DES FAITS QUI SE SONT PASSES EN 1841

A.O.M., 1 H 4, RAPPORT DE L'ETAT MAJOR, CHEF DE LA 1° DIVISION BRAHAUT, PARIS LE 19 DECEMBRE 1841

A.O.M., 1 H 4, RAPPORT DE L'ETAT MAJOR, CHEF DE LA 1° DIVISION BRAHAUT, PARIS LE 28 JANVIER 1842

A.O.M., 1 H 6, DOCUMENT N°98, SITUATION POLITIQUE DE L'ALGERIE

A.O.M., 1 H 6, DOCUMENT N°151

A.O.M., 1 H 6, DOCUMENT N°212

A.O.M., 1 H 6, DOCUMENT N°222

A.O.M., 1 H 6, DOCUMENT N°226

A.O.M., 1 H 6, DOCUMENT N°500

A.O.M., 1 H 6, LETTRE DE MOUNI BENT BEN GANA, A MONSIEUR LE GENERAL MARY, GOUVERNEUR GENERAL DE L'ALGERIE, DATEE A ALGER LE 26 JUIN 1848

A.O.M., 2 H 22, RAPPORT SUR L'EXPEDITION DES OULAD SULTAN AU BIVOUAC DE RAS-EL-AIOUN LE 31 MAI 1844, LE CHEF DE BATAILLON GAUBERT

A.O.M., 2 H 22, RAPPORT SUR LES OPERATIONS CONTRE LES OULED SULTAN PAR LA 6° CAMPAGNE DE BATAILLON DE TIRAILLEURS INDIGENES DE CONSTANTINE G/6, N°8

A.O.M., 2 H 25, RAPPORT DE SAINT GERMAIN

A.O.M., 2 H 25, DOCUMENT N°5, DATE LE 10 SEPTEMBRE 1849

A.O.M., 2 H 25, RAPPORT DE M° ALEX LAVERGNE, DATE LE 10 AOUT 1850

A.O.M., 2 H 25, RAPPORT DU BUREAU ARABE LE 20 JUILLET 1849

A.O.M., 2 H 25, JOURNAL DES OPERATIONS MILITAIRES, EXPEDITION DE ZIBAN, SEPTEMBRE-OCTOBRE-NOVEMBRE 1849

A.O.M., 2 H 25, JOURNAL DES OPERATIONS DE LA COLONNE EXPEDITIONNAIRE DES ZIBANS, 1849, PAR LE COLONEL DARREL DE BERTEZEL

A.O.M., 2 H 25, JOURNAL DE MARCHE DE LA COLONNE EXPEDITIONNAIRE COMMANDEE PAR M° LE GENERAL SAINT ARNAUD, RAPPORT DATE LE A CONSTANTINE LE 10 JUILLET 1850

A.O.M, 2 H 225, MEMOIRE RELATIF AUX EVENEMENTS ACCOMPLIS DANS LA SUBDIVISION DE BATNA DU 16 OCTOBRE 1848 AU 6 DECEMBRE 1849, SOUS LES ORDRES DU COLONEL CARBUCCIA

A.O.M, 10 X 1, LETTRE DE BENZEKRI ET DE BENFERHAT AU MARECHAL GOUVERNEUR GENERAL

A.O.M, 10 X 1, LETTRE DE HADJ AHMED AUX TELAGHMA, N°124

A.O.M, 10 X 1, LETTRE DE HADJ AHMED PACHA A MOHAMED SALAH BEN BA AHMED, N°124

A.O.M, 10 X 1, LETTRE DE HADJ AHMED AU CHEIKH BOU-OGAL, N°126

A.O.M, 10 X 1, LETTRE DE HADJ AHMED AUX BENI TANFOUT, N° 127

A.O.M, 10 X 1, 31 MI, N°16

A.O.M, 10 X 1, PS DU MARECHAL VALEE GOUVERNEUR GENERAL D'ALGERIE A EL HADJ AHMED BEY

A?O.M, 10 X 2, LETTRE D'AHMED PACHA AUX BENI OUDJANA, N°176

A.O.M, 10 X 2, LETTRE D'AHMED PACHA AUX OULED DAOUD, N°176

A.O.M, 10 X 2, LETTRE D'AHMED PACHA AUX SEDRATAS, N°176

2 ـ أرشيف وزارة الحربية بفرنسا

A.M.G, H 116, RAPPORT DU LIEUTENANT GENERAL BEDEAU A M$^{\circ}$ LE GOUVERNEUR GENERAL, DATEE A CONSTANTINE LE 24 SEPTEMBRE 1846 COPIE N°48

A.M.G, H 116, DIRECTION DES AFFAIRES DE L'ALGERIE, BUREAU DE L'ADMINISTRATION GENERALE, RAPPORT DU 28 SEPTEMBRE 1846

A.M.G, H 210, JOURNAL DES MARCHES ET OPERATIONS DE LA COLONNE EXPEDITIONNAIRE DE L'AURES, MAI 1845, SITUATIONS N°4 ET N° 5

A.M.G, H 211, JOURNAL DE MARCHE DE LA COLONNE EXPEDITIONNAIRE SOUS SOUS LES ORDRES DE M$^{\circ}$ LE GENERAL LEVASSEUR DEPUIS LE 9 DECEMBRE 1845 JUSQU'AU 5 JANVIER 1846

A.M.G, H 211, JOURNAL DE MARCHE DE LA COLONNE EXPEDITIONNAIRE DE L'AURES 1848

A.M.G, H 212, RAPPORT DU LIEUTENANT GENERAL, COMMANDANT DE LA DIVISION, SIGNE BEDEAU

A.M.G, H 212, DOCUMENT N°32

A.M.G, H 212, JOURNAL DES MARCHES ET OPERATIONS DE LA COLONNE OPERANTE DANS L'AURES,EN MAI ET JUIN 1845

A.M.G, H 212, SUBDIVISION DE SETIF, COLONNE EXPEDITIONNAIRE DE SETIF LE 6 JUIN, ENTREE LE 21 JUILLET, DOCUMENT N°33

A.M.G, H 212, RAPPORT SUR LA COLONNE EXPEDITIONNAIRE DE SETIF , DATE LE 28 JUIN 1845

A.M.G, H 216, DIRECTION DES AFFAIRES DE L'ALGERIE, BUREAU DE L'ADMINISTRATION GENERALE ET DES AFFAIRES ARABES; RAPPORT FAIT AU MINISTRE LE 15 SEPTEMBRE 1846

A.M.G, H 226, NOTES SUR LA POSITION POLITIQUE DU BEY DE CONSTANTINE DATEES LE 30 AOUT 1837

A.M.G, H 226, LETTRE DU Dr ROUSSEAU A MONSIEUR BLONDEL, ALGER LE 29 SEPTEMBRE 1838

A.M.G, H 229, RAPPORT SUR L'INSTRUCTION PUBLIC DES INDIGENES EN ALGERIE PAR LE LIEUTENANT BEDEAU, N°4, DATE LE 12 FEVRIER 1847

A.M.G, H 229/I, RAPPORT DE M° LE MARECHAL BUGEAUD SUR LES MOYENS D'AFFERMIR ET D'UTILISER LA CONQUETE DE L'ALGERIE

A.M.G, H 229/I, REPONSE DU LIEUTENANT GENERAL ICHRALM

A.M.G, H 229, JOURNAL DE MARCHE DE LA COLONNE QUI A OPERE DANS L'EST DU SAHARA DANS LES MOIS D'OCTOBRE,NOVEMBRE,DECEMBRE 1846

A.M.G, H 229, RAPPORT DU LIEUTENANT DE GENDARMERIE M° LAPORTE DATE A CONSTANTINE LE 29 MARS 1844

A.M.G, H 229, CAMP DE M'GAOUS LE 21 AVRIL 1844, RAPPORT DU LT. COMMANDANT DU DETACHEMENT DE GENDARMERIE FAISANT PARTIE DE L'EXPEDITION, M° RUSSE

A.M.G, H 229, MEMOIRES DATES LE 15 JUIN 1844, SUR LES MARCHES DES GRANDES CARAVANES DE L'AFRIQUE CENTRALE ET SUR LES MOYENS EMPLOYES POUR LES FAIRE ARRIVER A CONSTANTINE

A.M.G, H 235, LETTRE DU LIEUTENANT GENERAL COMMANDANT DE LA DIVISION BEDEAU, DATEE A CONSTANTINE LE 23 MARS 1846 VIII AL

A.M.G, H 235, RAPPORT SUR LA SITUATION DE L'ARMEE DEPUIS LE 1° NOVEMBRE 1839, DATE LE 24 JANVIER 1840

A.M.G, H 235, RAPPORT SUR LA SITUATION DE LARMEE, DATE LE 12 AVRIL 1840

A.M.G, H 235, RAPPORT SUR LA SITUATION DE L'ARMEE, DATE LE 14 AVRIL 1840

A.M.G, H 235, RAPPORT SUR LA SITUATION DE L'ARMEE, DATE LE 20 JUILLET 1840

A.M.G, H 235, RAPPORT SUR LA SITUATION DE L'ARMEE, DATE LE 24 SEPTEMBRE 1840

A.M.G, H 235, EXPEDITION D'EL-EMIR ABDELKADER SUR L'EST

A.M.G, H 236, COURRIER DU 7 JUIN 1848, N°1

A.M.G, H 261/15, LETTRE ADRESSEE A M° LE MARECHAL BUGEAUD , GOUVERNEUR GENERAL DE L'ALGERIE, CORRESPONDANCE DU MINISTRE DE LA GUERRE RELATIVE A L'ALGERIE

A.M.G, H 261, CORRESPONDANCE DU MINISTRE DE LA GUERRE RELATIVE A L'ALGERIE DATE LE 20 MARS 1844

A.M.G, H 261, RAPPORT ADRESSE A M° LE MARECHAL BUGEAUD, LE 20 AVRIL 1844

A.M.G, H 261, REGISTRE B, CORRESPONDANCE DU GENERAL DE LA SUBDIVISION DE BONE RANDON, AVEC LE GENERAL COMMANDANT DE LA PROVINCE DE CONSTANTINE DU 29 MARS AU 7 JUILLET 1845 LETTRE N° 28

A.M.G, H 261, RAPPORT DATE DU 20 JUIN A S.A.R Magt LE DUC D'AUMALE COMMANDANT DE LA PROVINCE DE CONSTANTINE

A.M.G, H 261/15, RAPPORT DATE LE 24 JUILLET 1844 A M° LE MARECHAL BUGEAUD GOUVERNEUR GENERAL DE L'ALGERIE

A.M.G , H 261/15, RAPPORT DATE LE 16 NOVEMBRE 1844 A M° LE MARECHAL BUGEAUD GOUVERNEUR GENERAL DE L'ALGERIE

A.M.G, H 263, CORRESPONDANCE DU MINISTRE DE LA GUERRE DU 12 JUIN 1848 AU 7 JUIN 1850, COURRIER DU 29 JUIN, N°2 , SOUMISSION D'AHMED BEY

A.M.G, H 263, REPONSE DU MINISTRE DE LA GUERRE AU DEPECHES DES

- 18 JUIN, AFFAIRES ARABES, N°66
- 20 JUIN, CABINETS, N°22
- 20 JUIN, ETAT MAJOR GENERAL, N°433

A.M.G, H 263, REPONSE DU MINISTRE DE LA GUERRE A LA DEPECHE DU 30 JUIN, N° 71, AFFAIRES ARABES, N°85

A.M.G, 1 H 94, SERVICE DES OPERATIONS MILITAIRES, ALGER LE 24 FEVRIER 1844

A.M.G, 1 H 94, DIRECTION DES AFFAIRES DE L'ALGERIE, BUREAU DES AFFAIRES POLITIQUES ET CIVILES ET DU PERSONNEL, PARIS LE 7-12-1845,NOTE POUR LE MINISTRE, DOCUMENT N° 32, SIGNE LE CONSEILLER D'ETAT

A.M.G, 1 H 94, DIVISION DE CONSTANTINE, LE 25 JANVIER 1844

A.M.G, 1 H 94, LETTRE DU LIEUTENANT COMMANDANT DE LA PROVINCE DE CONSTANTINE A M° LE MARECHAL GOUVERNEUR GENERAL

A.M.G, 1 H 94, LETTRE DU DUC D'AUMAL AU GOUVERNEUR GENERAL D' ALGERIE

A.M.G, 1 H 94, DEPECHE TELEGRAPHIQUE, MINISTRE SECRETAIRE D' ETAT DE LA GUERRE, POUR LE MINISTRE ET PAR SON ORDRE , LIEUTENANT GENERAL, DIRECTEUR DU ROCMARS

A.M.G, 1 H 94, ORDRE N°3, SUCCon LIEUTENANT LEBRETON DATE A CONSTANTINE LE 13 FEVRIER 1844

A.M.G, 1 H 94, LETTRE DU LIEUTENANT GENERAL COMMANDANT DE LA PROVINCE DE CONSTANTINE LE DUC D'ORLEANS AU MARECHA GOU VERNEUR GENERAL DE L'ALGERIE

A.M.G, 1 H 99, DOCUMENT N° 11, DATE A CONSTANTINE LE 13 - 12- 1848

A.M.G, 1 H 226, RAPPORT DATE A CONSTANTINE LE 7-12-1847, COURRIER N°1, DU 24 - 12 - 1847

3 _ أرشيف وزارة الخارجية الكي دورسي

1 - MEMOIRES ET DOCUMENTS, ALGERIE 1032 - 1847, TOME 9

ب ـ المصادر و المراجع

1 ـ المصادر و المراجع بالعربية

أحمد باي ، مذكرات أحمد باي و حمدان خوجة و بوضربة، تقديم و تحقيق و ترجمة محمد العربي الزبيري ، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1982

بن علي شغيب محمد الهادي ، أم الحواضر في الماضي و الحاضر ـ تاريخ قسنطينة، مطبعة البعث، قسنطينة 1980

التميمي عبد الجليل ، بحوث و وثائق في التاريخ المغربي من1816 إلى 1871، تونس 1971

حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم و تعريب و تحقيق محمد العربي الزبيري ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر 1982

دفتر خط همايون ، العدد 47971

سعد الله أبو القاسم ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الإحتلال ، القاهرة 1976

سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء 1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985

سعد الله أبو القاسم ، محمد الشاذلي القسنطيني ، دراسة من خلال و شعره، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر1974

شلوصر فندلين ، قسنطينة أيام أحمد باي 1832ـ1837، ترجمة و تقديم أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، بدون تاريخ .

العربي إسماعيل ، المقاومة تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ، بدون تاريخ

العربي إسماعيل ، العلاقات الدبلوماسية في عهد الأمير عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982

العنتري صالح ، مجاعات قسنطينة، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1974

كوران أرجموند ، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر 1827-1847، ترجمة عبد الجليل التميمي، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس 1974

مجاهد مسعود ، تاريخ الجزائر، الجزء الأول، بدون تاريخ

المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 2، الجزائر 1984

نويهر مصطفى، ملحمة شعب، الملتقى الوطني الثاني للمقاومة الشعبية و حروب التحرير 1848-1880، المنعقد ما بين 23 و 25 جوان 1986، قصر الثقافة، الجزائر 1984

زوزو عبد الحميد ، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984

الأنفال ، " سورة قرآنية "، الآية 66 و 73

2 ـ المصادر و المراجع باللغة الأجنبية

AUTEUR ANONYME? LA PROVINCE DE CONSTANTINE EN 1839-1840, IMPRIMERIE FELIX LOCQUIN, PARIS 1843

AVEZAC (M.D), ETUDES DE GEOGRAPHIE DE L'AFRIQUE, TTINERAIRE DE H. HEGGY EBN AGHOUATY

AZAN (PAUL), L'EMIR ABDELKADER DU FANATISME MUSULMAN AU PATRIOTISME FRANCAIS, PARIS 1929

BAUDE (LE BARON), L'ALGERIE, PARIS 1841

BAUDENS (Dr), RELATIONS DE L'EXPEDITION DE CONSTANTINE, J.B BAILLIERE LIBRAIRE, PARIS 1838

BAYLE (JACQUELINE), QUAND L'ALGERIE DEVENAIT FRANCAISE, LIB. FAYARD, PARIS 1981

BERNARD(F) ET REDON(F), L'ALGERIE, HISTOIRE, COLONISATION, GEOGRAPHIE, ADMINISTRATION. EDITION ADOLPHE JOURDAN 1911

BLONDEL(L), NOUVEL APERCU SUR L'ALGERIE, PARIS, S.D

BONAFONT, REFLEXIONS SUR L'ALGERIE, PARTICULIEREMENT SUR LA PROVINCE DE CONSTANTINE, PARIS 1846

BROSSARD(GENERAL), MELANGES SUR L'AFRIQUE, PERPIGNON, IMPRIMERIE BAPTISTE 1838

CAHIER DU CENTENAIRE DE L'ALGERIE, L'EVOLUTION DE L'ALGERIE DE 1830 A 1930, PAR(M.E.F), GAUTIER, TOME III, SANS DATE

CARETTE ET ROZET, L'ALGERIE IN L'UNIVERS PITTORESQUE, S.DATE

CARETTE ET ROZET, DESCRIPTION ET DIVISION DE L'ALGERIE, LIBRAIRIE HACHETTE ET Cie LIBRAIRES DE L'UNIVERSITE ROYALE DE FRANCE, PARIS SANS DATE

CAT (E), HISTOIRE DE L'ALGERIE, IMPRIMERIE JOURDAN, TOME II ALGER 1889

CHURCHILL (CH.H), LA VIE D'ABDELKADER, TRADUCTION HABART, EDITION SNED, ALGER 1971

DESJOBERT (A), L'ALGERIE EN 1846, GUILLAUMIN, LIBRAIRE EDITEUR DE JOURNAL DES ECONOMISTES ET DE LA COLLECTION DES PRINCIPAUX ECONOMISTES, BORRANI LIBRAIRE, PARIS 1846

DESMICHELS (L.A), ORAN SOUS LE COMMANDEMENT DE GENERAL DESMICHELS ANSIL, 1835

DESPOIS (JEANS), LE HODNA, ALGERIE, P.U.F, PARIS 1953

DEVOISINS (VALENTIN), EXPEDITION DE CONSTANTINE, ROZET, PARIS 1840

ENCYCLOPEDIE COLONIALE ET MARITIME, SOUS LA DIRECTION DU GENERAL D'EUGENE GUERNIER ET (G)FREMENT GUIEYSSE, ALGERIE ET SAHARA, TOME I, PARIS 1948

EMERIT (MARCEL), L'ALGERIE A L'EPOQUE D'ABDELKADER, PARIS 1951

ESQUER (GABRIEL), CORRESPONDANCE DU DUC DE ROVIGO, TOME II

ESQUER (GABRIEL), CORRESPONDANCE DU GENERAL VOIROL, RAPPORT DU GENERAL VOIROL A M° LE MINISTRE DE LA GUERRE DATE LE 15 JUIN 1833

ESQUER(GABRIEL), CORRESPONDANCE DU MARECHAL CLAUZEL, LAROZE, TOME II, PARIS 1948

ESQUER(GABRIEL), ICONOGRAPHIE HISTORIQUE DE L'ALGERIE DEPUIS LE XVIe JUSQU'A 1870, PARIS 1929

FALLET(C), CONQUETE DE L'ALGERIE, LIBRAIRIE IMPRIMERIE MEGARD, ROUEN 1856

FERRAUD(L.CH), KITAB EL-ADOUANI, OU LE SAHARA DE CONSTANTINE LIBRAIRIE-EDITION ARNOLET 1868

FLEURY. SUR L'EXPEDITION ET LE SIEGE DE CONSTANTINE EN 1837, CHEZ Mº NOIROT, PARIS 1838

GENTY(DE BUSSY). DE L'ETABLISSEMENT DES FRANCAIS DANS LA REGENCE TOME II, PARIS 1839

GOINARD(PIERRE), ALGERIE L'OEUVRE FRANCAISE, EDITION ROBERT LAFONT; PARIS 1984

GRAND(EMILE), DEFENSE ET OCCUPATION DE LA COLONIE D'ALGER NOTES LAISSEES PAR LE CAPITAINE GRAND, IMPRIMERIE D'AUG-AUREL, TOULON 1837

GUYON(Dr), VOYAGE D'ALGER AUX ZIBANS, L'ANCIENNE ZEBE EN 1847 IMPRIMERIE DU GOUVERNEMENT, ALGER 1852

IVER(GEORGE), CORRESPONDANCE DU GENERAL VALEE , 1 - 81

IVER(GEORGE), CORRESPONDANCE DU GENERAL DAMREMONT GOUVERNEUR GENERAL DES POSSESSIONS FRANCAISES DANS LE NORD DE L'AFRIQUE 1837, CHAMPION, PARIS 1927

JULIEN(CH.A), HISTOIRE DE L'ALGERIE CONTEMPORAINE,LA CONQUETE ET LES DEBUTS DE LA COLONISATION 1827-1871 , 2° EDITION, P.U.F, PARIS 1979

LADIMIR, LES GUERRES D'AFRIQUE DEPUIS LA CONQUETE JUSQU'A 1858, PARIS 1859 .

LEYNARDIER ET CLAUZEL(M.M), HISTOIRE DE L'ALGERIE FRANCAISE , TOME II , PARIS 1884

MAZE(JULES), LA CONQUETE DE L'ALGERIE, MAISON ALFRED MAME ET FILS, SANS DATE

MERCIER(ERNEST), CONSTANTINE AVANT LA CONQUETE FRANCAISE 1837, LIBRAIRIE ARNOLET, 1878

MONTROND(DE M), CONQUETE DE L'ALGERIE DE 1830-1847 IMPRIMERIE DE E.MARC-AUREL,TOME I, PARIS 1847

NOUSHI(ANDRE), ENQUETE SUR LE NIVEAU DE VIE DES POPULATIONS RURALES CONSTANTINOISES DE LA CONQUETE JUSQU'A 1919, P.U.F, PARIS 1961

PELISSIER(DE REYNAUD), ANNALES ALGERIENNES , TOME I ET II , PARIS-ALGER 1854

PIQUET(VICTOR), L'ALGERIE FRANCAISE, COLIN, PARIS 1930

PIQUET(VICTOR), AUTOUR DES MONUMENTS MUSULMANS DU MAGHREB, ESQUISSE HISTORIQUE 1)L'ALGERIE, EDITION MAISON NEUVE, PARIS 1948

ROCHES(LEON), TRENTE DEUX ANS A TRAVERS L'ISLAM 1832-1864 TOME I, PARIS 1884

ROY (J.J.E). HISTOIRE DE L'ALGERIE DEPUIS LES TEMPS RECULES JUSQU'A NOS JOURS, 2° EDITION, ALFRED MAME ET Cie , SANS DATE

SEDILLOT (C.Dr). CAMPAGNE DE CONSTANTINE EN 1837, PARIS 1838

SERRES (JEANS), LA POLITIQUE TURQUE EN AFRIQUE DU NORD SOUS LE LA MONARCHIE DE JUILLET, GAUTHNER, PARIS 1924

TEMIMI (ABDELDJELIL), LE BEYLIK DE CONSTANTINE ET HADJ AHMED BEY (1830-1837), TUNIS;

VAYSSETTE (E). HISTOIRE DE CONSTANTINE SOUS LA DOMINATION TURQUE 1517- à 1837 , CHALLANEL 1869

WALTER (E). REPERTOIRE DE L'HISTOIRE DE LA REVOLUTION FRANCAISE, DE 1800 A 1914, PARIS 1941

WATBLED (E). EXPEDITION ET PRISE DE CONSTANTINE 1836-1837 , BATISTE LIBRAIRE, TISSIER, ALGER 1871

جـ- المقالات

1- المقالات بالعربية

بوعزيز يحي، "معارك الحاج أحمد باي"، مجلة الثقافة، العدد 90، نوفمبر - ديسمبر 1985

سعيدوني ناصر الدين، "وصف مدينة قسنطينة، حسب معلومات جديدة للقبطان جيوليت سان"، مجلة الأصالة، العدد 58/59، رجب/شعبان - جوان/جويلية 1978

المدني أحمد توفيق، "أبطال المقاومة الجزائرية-حمدان بن عثمان خوجة أحمد باي قسنطينة، الأمير عبد القادر و الدولة العثمانية" مجلة التاريخ، العدد 4، الجزائر 1977

المدني أحمد توفيق، رسائل جديدة بين أحمد باي قسنطينة و الباب العالي العثماني قبل و بعد سقوط قسنطينة" مجلة التاريخ، العدد 6، الجزائر 1978

2 ـ المقالات باللغة الأجنبيـــة

CHERBONNEAU(A), (INSCRIPTION ARABES DE LA PROVINCE DE CONSTANTINE)
R.S.A.C, ANNEE 1854-1855, PARIS

EMERIT(MARCEL), (LES MEMOIRES),
R.A , 1° ET 2° TRIMESTRE 1949

FERRAUD(L.CH), (MONOGRAPHIE DU PALAIS DE CONSTANTINE),
R.S.A.C , ANNEE 1867, PARIS

TEMIMI(ABDELDJELIL), (TROIS LETTRES DE HADJ AHMED BEY DE CONSTANTINE A LA SUBLIME PORTE),
R.O.M.M , N° 3, 1968

VAYESSETTE (HISTOIRE DES BEYS DE CONSTANTINE),
R . A ; ANNEE 1858

(LES INTERETS FRANCAIS DANS LA PROVINCE DE CONSTANTINE),
JOURNAL LA PATRIE, ARTICLES DU 19 OCTOBRE 1842
N° 291, ET DU 20 OCTOBRE 1842, N° 292

ARLEES GUERRE ET POLITIQUE EN AFRIQUE DU NORD,19° ET 20° SIECLES , PRESSE DE L'ECOLE NORMALE SUPERIEURE,PARIS 1977

BAUDICOUR(L.DE), HISTOIRE DE LA COLONISATION DE L'ALGERIE, CHALLAMEL AINE, PARIS 1860

BERTHIER(AUCHE), L'ALGERIE ET SON PASSE,PARIS.A ET J PICARD 1951

BODICHON, ETUDES SUR L'ALGERIE ET L'AFRIQUE, ALGER 1847

DIEUZAIDE(V.A), HISTOIRE DE L'ALGERIE DE 1830-1878,ORAN 1880

ESTRE(HENRY D'), LES CONQUERANTS DE L'ALGERIE 1830-1857, BERGER LEVRAULT , PARIS 1930

FABRE(H), L'ALGERIE EN 1840 -1848, PARIS 1876

FILLIAS(A), HISTOIRE DE LA CONQUETE ET DE LA COLONISATION DE L'ALGERIE 1830-1860, PARIS 1860

GAFFAREL(P), HISTOIRE DE L'ALGERIE,CONQUETE ET COLONISATION , PARIS , 1898

GALIBERT(LEON), L'ALGERIE ANCIENNE ET MODERNE DEPUIS LES PREMIERS ETABLISSEMENTS DES CARTHAGINOIS JUSQU'A L'EXPEDITION DU GENERAL RANDON EN 1853, VIGNETTES PAR ROFFET ET ROUARGUE FRERES,FURNE, PARIS 1854

LACOSTE(YVES), L'ALGERIE PASSE ET PRESENT,ED. SOCIALE,PARIS 1960

MARCHAND(MASE), HISTOIRE ABREGEE DE L'ALGERIE,L.FARQUE,ORAN 1957

MEFFRAY, MEMOIRE SUR L'ALGERIE, PARIS 1871

PIPOT(F), LES COLONIES FRANCAISES, PARIS 1845

ROUSSET(C), LA CONQUETE DE L'ALGERIE 1841-1857, PARIS , 1887

( )

فهرس الأعلام

ابراهيم باشا 45، 57 .
ابراهيم باي الغربي 58 .
ابراهيم الحاج 58 .
ابراهيم الحركاتي 94 .
ابراهيم باي 107، 108 .
ابن دالي 67 .
ابن يامينة 318 .
أبو العباس أحمد بن سعيد 92 .
أبو القاسم بن محمد بن عيسى 92 .
أبو راشد عمار الغربي 91 .
أبو عبد الله ابن العطار 94 .
أبو منصور عمار بن شريط 92 .

148، 149، 150، 151، 153، 154،
157، 158، 160، 162، 164، 165،
166، 170، 172، 174، 177، 180،
182، 183، 185، 186، 189، 190،
193، 195، 196، 210، 223، 227،
228، 230، 234، 240، 246، 247،
259، 262، 266، 267، 269، 271،
274، 275، 278، 282، 285، 289،
290، 293، 296، 298، 299، 300،
301، 302، 303، 304، 305، 306،
307، 308، 310، 312، 321، 322،
326، 331، 332، 335، 349، 351،

أحمد باي (الحاج) 12، 14، 21، 357 .
31، 32، 34، 35، 36، 37، 38، أحمد باي (المملوك) 43، 58، 76 .
39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، أحمد باي بن شنوف 15، 298 .
46، 47، 48، 49، 50، 52، 53، أحمد باي التركي 31، 33 .
54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، أحمد بن الحاج 208 .
61، 62، 63، 64، 65، 66، 67، أحمد بن حميد آغا 65، 68 .
68، 69، 71، 72، 73، 74، 75، أحمد بن الزين 177، 178 .
76، 77، 79، 80، 83، 84، 90، أحمد بن مقداس 92 .
91، 92، 93، 95، 96، 97، 98، أحمد التليلي 94 .
99، 100، 103، 104، 105، 106، أحمد بن الحاج علي بن قيدوم 17 .
107، 108، 109، 110، 111، 112، أحمد القلي 34 .
114، 115، 116، 117، 118، 119، أحمد بن المبارك بن العطار 91 .
120، 121، 122، 124، 131، 132، آرنو (سانت) الجنرال 359 .
134، 137، 138، 141، 143، 145، إستر 218 .

إستيفانو 73 ، 96 .
أمريت (مارسيل) 32 .
أرولس 279 .
الأمير عبد القادر 77، 111، 134، 138، 164، 180، 181، 182، 183، 184، 185، 186، 187، 188، 189، 190، 206، 208، 236، 367 .
أوهيير 260 ، 279 .
الأمين بن شنوف 363 .

(ب)

بارتيلمي 234 .
باريزات 260 .
بايسار 260 .
برال (كولونيل) 335، 347، 362 .
براهو 212 ، 213 .
برقاي دوميلي 215، 216، 228 .
برويات 275 .
بريقو 149 .
بريان 251 .
بلغباس (سيدي) 250، 289، 330
بلقاسم بن سي سليمان 248 .
بلوندال ليون 296 .
بلغسي 333 .
بن حملاوي 195 .
بن شبيرة 334 .
بن عز الدين (الاخوة) 141، 314، 319، 341، 345،
بن قانة 63، 288 .
بن عيسى 65، 66، 108، 117، 118، 122، 123، 124، 125، 127، 128، 131، 137، 138، 141، 143، 154، 155، 156، 159، 195،
بن ناصر 298 .
بوجنات 294 .
بورباكي 294 .
بورو 83، 259، 263، 264، 278 .
بوزيان (الشيخ) 289، 321، 322، 323، 324، 325، 328، 349، 351، 352، 353، 355، 357، 360، 363 .
بلبجاوي (محمد) 65 ، 67 ، 97، 141، 159 .
بلهوان (مصطفى) 66 .
بوشنان 111، 183 .
بوضربة أحمد 59 ، 61 ، 62 .

بوطافوكو 212 ، 260 .
بومرزاق (الباي) 63 .
بونابرت (نابوليون) 48 .
بونيمانو 307 .
بوعزيز بن قانة 142، 187، 190 ،
245 ، 351 .
بولخراس 16 ، 314 ، 320 .
بومعزة 291 ، 343 ، 344 .
بوعقال 201 .
بوعكاز 141 ، 317 ، 338، 340،
341 ، 345 .
بوقندورة (الحاج) 310 .
بيجو 23، 196، 222، 223، 225، 285 ، 214 .
228، 229، 227 .
بيكات (فكتور) 52 .
بيليسي (دورانيو) 23 .
بيروبروجر 94 ، 212 .

(ت)

ترامبلي 212 .
التميمي عبد الجليل 56 .
تريزل 116، 123، 124، 129، 139

(ج)

الجابري (الحاج) 97 .

جواني 294 .
الجودي (سي) 341، 344 .
جولي 279 .

(ح)

حسن (باشا) 34 .
حسين (الداي) 57، 58، 59، 60،
61، 62، 76، 104، 105، 107،
حسن (الحاج) 66 .
حسين باي (تونس) 79 .
حمدان بن عثمان خوجة 30 ، 105 .
الحسناوي (الشيخ) 283 ، 284 ،

(خ)

خديجة 49 ، 50 .
الخطابي 97 .

(د)

داكجي 275 .
داتونو 294 .
دامرمون 103، 109، 112، 136،
139، 142، 143، 148، 149،
162، 183، 184 .
داراندي 108 .

دريني 116، 123، 132 .
الدراجي بن سماتي 248 .
الدراجي بن محمد الحاج 16 .
دورليان (الدوق) 22، 229، 232 .
دورو دومال 23 .
دورو فيغو (الدوق) 106 .
دوفيفي 128، 129 .
دولارمينات 294 .
دوماس 294، 346 .
دوسيغني 261 .
دوبري 261 .
دوفيبار 279 .
دومال (الدوق) 218، 222، 223، 230، 231، 232، 235، 237، 239، 243، 253، 242 .
دوماسان 294 .
دوفوزان 160 .
دي نمور 116، 131، 139 .
ديرون 243 .
دي مشال 182 .
ديلان (البارون) 94 .
الديسي بن الجودي 248 .
ديسموايان 103 .
ديبورمون 104 .
دي نوفو 234 .

(ر)

رقان 275 .
رزقي (الشيخ) 141 .
رونو 293 .
روليار (الجنرال) 341 .
رجب (الحاج) 141 .
ريغو 260، 276 .
روشي 103 .
روليار 140 .
روهولد دوغلوبي 140 .
روزيت 24 .

(ز)

زغدود (سي) 216 .
الزهراء 52 .
الزجاي (محمد) 94 .

(س)

ساعد (الشيخ) 280 .
ساسي 103 .
سالوست 103 .
السعيد بن فرجات 247 .
السعيد العمراوي 247 .
سان جرمان 281، 283، 290، 294، 296، 297، 298، 300، 301، 302، 303، 304، 305، 307، 335، 365 .

سيلاق 214 ، 242 .

سيتوس 103 .

(ش)

شانقورني 132 ، 222 .

الشاذلي (المحمد) 92 .

شارل دي فيرو 332 .

شارونيت 261 .

شاسلوب (لوباز) 260، 275 .

شاكر (الباي) 43 ، 57 .

شاليت 217 .

شرام 224 ، 225 .

شرامبتون 261 .

الشريف أحمد بلقاسم 285 ، 287 .

شلوصر (فندلين) 11 ، 12 .

شريف الشرق 283، 284، 285، 286

شميتز 279 .

شوبان 249 .

(ص)

صالح باي 137 .

الصادق بلحاج 336 ، 337 .

(ط)

الطاهر بن أحمد 147 .

طوماس 212، 235، 248، 260 .

طوسون (باشا) 45 ، 57 .

(ع)

عائشة 52 ، 53 .

العباسي و(أحمد) 64 .

عبد الله (باي) 41، 42، 47، 56.

عبد الله بن زراق 338 .

عبد الحفيظ (سيدي) 289، 332،
333، 335، 336، 363، 365 .

عبد الرحمن (سيدي) 333 .

العربي بوضياف 141 .

علي بن قيدوم بن بوعزيز 17 .

علي بن الزواوي 247 .

علي بوزيد 276 .

علي البومباجي 148 .

عمر بن عبد الله 303 .

العنتري (الشيخ) 93 .

(غ)

غالياس 243 .

غسفيلر 211 .

غنية (الحاجة) 31، 33، 34 .

غورو 234 .

غيون 31، 56 .

غيو 294 .

(ف)

فاطمة بنت بوعزعارة 49 .

فاطمة بنت الحاج أحمد باي 51 .

فالي 112، 139، 150، 151، 152،
162، 163، 164، 165، 166، 170،
171، 198 .

فرانس 103 .

فرحات بن سعيد 164، 165، 166،
172، 173، 175، 187 .

فطومة 49 .

فولتز 111 .

فيليب لويس (ملك فرنسا) 222 .

فيرو دي شارل 302 .

الفكون محمد بن عبد الكريم 91 .

(ق)

قالبو 203 ، 215 .

قالياس 254 .

القايد (علي) 204 .

القايد (أحمد) 230 .

(ك)

كابيل 217 .

كاربوسيا 335، 352، 354، 359 .

كاريت 22، 24 .

كاسينول 261 .

كامب 140، 153، 157 .

كانروبير 291، 293، 294، 296، 300
301، 302، 307، 357، 358 .

كايو 293 .

كلوزيل 105، 106، 109، 115، 116،
118، 120، 121، 122، 130، 132،
133، 142، 213 .

كرامان 140 .

كمال باي 180

كوربان 153، 159 .

(ل)

لاموريسيار 153 ، 156، 222 .

لامي 140 .

لوبلان 103 .

اوبروتان 232 .

لويز 275 .

لوتسي 249 .

لورد 279 .

لوباف 275 .

ليفاسور 260 ، 263، 279 .

ليون 103 .

لخضر بن محمد 248 .

(م)

ماسيت 294 .

مارسي (إرنست) 8 .

ماريون 260 .

ماكماهون 261 .

محمد الصغير بلحاج 236 .
محمد الصالح بن با أحمد 201 .
محمد الطيب 337 .
محمد بن ناصر (المرابط) 330 .
محمد بن عبد الله 344 .
محمد بن الحاج (الشيخ) 141 .
محمد بن بوعزيز 141 ، 142 .
محمد الطيب ولد سي ناجي 15 .
محمد الشريف 31 ، 33 ، 34 .
محمود الثاني (العثماني) 64 .
محمد علي باشا 45 ، 46 ، 47 ، 57 ، 72 .
محمد بن أحمد باي 66 .
محمد بن جلول 65 .
محمد سالم بن الطبال 92 .
محمد بن المنتري 93 .
المغربي محمد السعيد 92 .
محمد بن القاضي 93 .
محمد بن المسبح 93 .
محمد بن فتح الله 91 .
محمد العربي بن عيسى 92 .
المختار بن دخة 17 .
مراد (الشيخ) 178 .
مرسلي علي 234 .
مرزوق 68 .
مراد (باي) 48 .
مسعود (الشيخ) 302 ، 209 .
مسعود بن الصداحي 247 .
مسرم 275 .
مسعود بن المبارك 141 .
مسعود بن ابراهيم 68 .
مسعود (القبايلي) 67 .
مصطفى بن شاوش 92 ، 93 .
مصطفى بن محمد آغا 65 ، 68 .
مصطفى (الخليفة) 65 .

مصطفى بن العربي 65 ، 68 .
مصطفى بن عبد الرحمن 64 .
مصطفى بن زكري 247 .
مقران (سي) 320 ، 341 ، 351 .
المقراني 141 .
المقراني عبد السلام 63 .
المنطي (محمد باي) 62 .
موسى بن عمر (الشيخ) 334 .
موبانسي 231 ، 232 ، 235 .
مولي 164 .
موني بنت قانة 308 ، 309 .
مونج (ماري) 308 ، 309 .
ميسون 294 .
الميلي (محمد) 92 .
ميترسي 249 .
ميرومو 249 .
ميو 279 .

(ن)

نعمان (باي) 42 ، 57 .
نوالم 261 .
نوشي أندري 22 ، 23 ، 25 ، 27 .
نيقريي 168 ، 169 ، 176 ، 194 ، 195 ، 210 ، 212 ، 215 .

(هـ)

هاجي 279 .
هامبان 260 .
هربيون 260 ، 264 ، 279 ، 280 ، 281 ، 285 ، 291 ، 322 ، 335 ، 347 ، 355 ، 357 .

(و)

ولد يونس 177 .

(ي)

يحيى آغا 59 ، 61 ، 62 .
يوسف (المملوك) 108 ، 114 .

فهـــرس القبائـــل و الجماعات

(أ)

أولاد دراج 20 .

أولاد دراج الشراقة 14 .

أولاد سحنون 14 ، 17 ، 320 ، 326 ، 351 .

أولاد رشيش 14 ، 15 ، 17 .

أولاد زميرة 14 ، 17 .

أولاد عمر 14 ، 17 .

أولاد منصور 14 ، 16 ، 17 .

أولاد محة 14 ، 17 .

أولاد عبد الرحمن 14 ، 271 ، 275 ، 276 ، 277 ، 278 ، 295 ، 296 ، 304 .

أولاد امحمد 14 .

أولاد أحمد 14 ، 18 .

أولاد مختار 14 .

أولاد عبد الله 14 .

أولاد شالب 14 .

أولاد يوب 16 ، 20 .

أولاد فيفولو 15 .

أولاد معافي 15 .

أولاد عمران 15 .

أولاد سي صالح 15 ، 20 .

أولاد بوعون 19 .

أولاد عزيز 16 ، 20 .

أولاد عموش 18 .

أولاد يعقوب 18 .

أولاد ابراهيم 18 .

أولاد امبارك 18 .

أولاد امبار عيدون 18 .

أولاد عسكر 19 .

أولاد دحية 19 .

أولاد رشيب 19 .

أولاد عطية 19 .

أولاد شليع 19 .

أولاد سي علي تاعمنت 19 .

أولاد سي أحمد بن شعيد 19 .

أولاد سي أحمد بن بوزيد 19 .

أولاد بلقاضي 19 .

أولاد بوزيد 16 .

أولاد عابد 16 .

أولاد ميمون 26 .

أولاد مومن 20 .

أولاد يحي 16 .

أولاد داود 16 ، 19 ، 192 ، 263 ، 265 ، 271 ، 364 .

أولاد عمور 16 .

أولاد زيان 16 ، 364 .

أولاد زيان الظهاري 16 .

أولاد زيان القبالة 16 .
أولاد سيدي سليمان 17 .
أولاد زيد 17 ، 20 .
أولاد سالم 17 .
أولاد علي بن صابور 17 .
أولاد دراج الشراقة 17 .
أولاد الحماميل 17 .
أولاد عبد النور 18 ، 141 ، 194 ، 211 .
أولاد يونس 179 .
أولاد دايم 193 .
أولاد فاطمة 19 .
أولاد سلطان 107 ، 163 ، 219 ، 220 ، 236 ، 240 ، 242 ، 244 ، 246 ، 247 ، 248 ، 250 ، 254 ، 280 .
أولاد سلطان الظهارة 19 .
أولاد سلطان القبالة 19 .
أولاد فاضل 19 .
أولاد فضالة 19 .
أولاد سعيد 19 .
أولاد سي زرارة 19 .
أولاد عبدي 20 ، 163 ، 265 ، 266 ، 267 ، 268 ، 289 ، 364 .
أولاد جلال 20 ، 291 ، 330 ، 352 ، 364 .
أولاد الساسي 20 .
أولاد حركات 20 .
أولاد رحمة 20 .
أولاد سليمان 272 .
أولاد التبن 260 .
أولاد سيوان 264 .
أولاد ساولة 286 .
أولاد سيدي ناجي 289 .
أولاد بن قانة 33 ، 39 ، 63 ، 305 ، 306 .
أولاد جلول 103 .
أولاد سيدي يحيى 177 ، 330 .
أولاد دراج 208 ، 209 .
أولاد عيسى 211 .
أولاد زاهية بن طالب 215 .
أولاد قاسم 213 .
أولاد نائل 330 ، 352 .
أولاد عتيق 333 ، 334 .
أولاد إيدير 16 .
أولاد فرج 334 ، 364 .
أولاد عامر 235 ، 334 .
أولاد جبارة 235 .
أولاد زناتي 235 .
أولاد موية 235 .

أولاد محبوب 235 .
أولاد موسى بن عبد الله 265 .
أولاد بوطالب 280 .
أولاد كياب 18 .

(ب)

بنو كنعان 8 .
بني برير 15 .
بني ملول 15 .
بويحي أبو أحمد 15 .
بني ملكم 16 ، 298 .
بني بوسليمان 16 .
بحينة (قبائل) 16 .
بني توفور 18 .
بني عافر 18 .
بني تليلان 18 ، 235 .
بني قطيط 18 .
بني صبيحة 18 .
بني عرون 18 .
بني خطاب 18 ، 313 .
بني قايد 18 .
بني مسلم 19 .
بني بلعيد 19 .
بني قرفين 19 .
بني مروان 19 .
بني صالح 230 .
بني سالة 216 .
بني معاد 19 .
بنيان (قبائل) 16 .
بني فراح 17 .
بني سويف 17 .
البرانية 16 .
بن علي (أهل) 17 ، 246 .
البوازيد 17 .
برانس (قبائل) 17 .
بني أوجنة 19 ، 191 ، 192 ، 294 ، 302 ، 364 .
بني معافة 19 .
بوزنة (دشرة) 20 .
بن تيوس (جماعة) 20 .
بوشقرون 20 .
بني مناد 62 .
بني جناد 62 .
البرج 20 .
بني سليمان 272 ، 274 ، 314 ، 340 ، 341 .
بوخبزة (عائلة) 100 .
بن حسين (عائلة) 100 .

بن كشك علي (عائلة) 100 •
ابن نعمون (عائلة) 103 •
ابن الفكون (عائلة) 102 ، 103
بني منصور 319 •
بني ميمون 340 •
بن زكري 364 •
بن يامينة 338 •
بلزمة (قبائل) 142 ، 364 •
بوعزيز (قبائل) 364 •
بني مروان 18 •
البرارشة 15 ، 19 •

(ت)

تاشفتور 16 •
تاغيت 16 •
تبسة (قبائل) 19 •
التلاغمة 19 ، 137 ، 141 ، 199 •
التوابة 272 •
تعودة 15 •
تودة 20 •
تكوت 16 •

(ث)

ثلاث 16 ، 18 ، 19 •

(ج)

جمورة 17 •
جار الله (قبائل) 16 •
جوابة 15 •
جبالة 19 •

(ح)

الحراكتة 18 ، 19 ، 49 ، 50 ، 137 ، 141 ، 176 ، 193 ، 203 ، 204 ، 207 ، 210 ، 216 ، 282 ، 284 ، 330 •
الحنانشة 49 ، 137 ، 141 ، 197 ، 199 ، 210 •
الحلفاوية (لخضر) 19 ، 20 ، 364 •
حيدوسة 19 ، 267 •

(خ)

خالد (سيدي) 330 ، 352 ، 364 •
خليل (سيدي) 17 •
الخدارة 16 •
الخرارب 18 ، 193 •
خيران 15 •

(د)

الدبيلة 16 •

الدرادة 178 .
الدوسن 17 .
ديوك 19 .

(ر)

رحمان 17 .
الرحمانية (طريقة) 332 ، 363 .
ريغة (قبائل) 141 ، 209 .

(ز)

الزرالمة 177 ، 179 .
الزرادزة 235 .
زرديزة 19 .
الزعاطشة 321 ، 322 ، 326 ، 349 ، 351 ، 352 ، 353 ، 356 ، 357 .
الزناتية 19 .
الزمول 19 ، 211 .
زواغة 19 ، 63 ، 141 ، 314 ، 340 .
زواوة (جماعة) 140 .
زقايب 16 .

(س)

السالمة 17 .
الساقية 18 ، 211 .
سرارقة 16 .
سحيرة 20 .
سريانة 15 ، 20 .
السعيد أولاد عمر 16 .
السعادنة 16 .
سيدي عقبة 20 .
سلاوة 18 .
وادي سوف (قبائل) 16 .

(ش)

الشرفة 16 ، 17 ، 20 ، 313 ، 319 .
شتمة 20 .
شماورة 16 .

(ص)

الصبايحية (جماعة) 276 ، 285 ، 297 .
صدراتة (قبائل) 193 .
الصلاحة 14 ، 17 .

(ط)

طولقة (قبائل) 20 .

(ع)

عامر الشراقة 18 .
عبدينة 15 .
العجاجة 265 .
عرب البابور 16 .
عرب أولاد بوصالح 16 .
عراشي (قبائل) 19 .
العشايش 15 ، 18 ، 19 .

عكاشة (سيدي) زادية 216 .
علمة فكرون (قبائل) 18 .
علمة الكشاكشة 18 .
علوانة 15 ، 19 .
العمري 20 .
عمور (أهل) 20 .
العمامرة 19 .
العواسي (قبائل عين البيضاء) 41 ،
42 ، 43 .
العيادة 17 .

(غ)

غسيرة 16 .
غمرة 17 ، 20 .

(ف)

فرفار 20 .
فرجيوة (قبائل) 18 ، 63 ، 141 .
فلياس 20 .
فلوس 16 .
فوغالة 20 .
الفيض 18 ، 20 .

(ق)

قرّة 20 .
قرصة 20 .
القصر (قبائل) 16 .
قمار (قبائل) 16 .
قنطلة 15 .

(ك)

كبيش (قبائل) 16 ، 20 .
الكراغلة (جماعة) 31 .

(ل)

لخدان 16 .
ليشانة (قبائل) 20 .
ليوانس 20 .

(م)

مجانة (قبائل) 141 .
مخادمة 20 .
مدوكال (قبائل) 17 .
المرازيق 16 .
محومش 16 ، 20 .
المرازقة 319 .
مليلي 20 .
المناصر 19 .
منالة 19 .
المواسة 260 .
مولاي الشقفة (شيخ) 317 .

موية 15 ، 18 .

(ن)

النماشة 15 ، 215 ، 216 ، 383 ، 284 ، 285 ، 286 ، 287 ، 288 ، 289 ، 330 .

(هـ)

الهابل 16 ، 20 .

(و)

الواد (قبائل) 16 .

ولاجة 15 .

ولاش 16 ، 20 .

(ي)

يحي بن طالب (قبائل) 15 .

فهرس الأماكن و البلدان

(أ)

الأبيض (وادي) 7 .

أحمرخدو 15

اسطاولي 39 ، 104 .

اسطنبول 72 ، 133 .

الإسكندرية 52 ، 97 .

افغان (جبل) 6 .

الإقليم الشرقي 162 ، 163 ، 167 ، 168 ، 187 ، 199 ، 205 ، 210 ، 214 ، 223 ، 255 ، 232 ، 240 ، 253 ، 259 ، 269 ، 282 ، 301 .

أمدوكال 280 .

أم الأصناب 233 .

أم النون 48 ، 50 .

الأوراس 4 ، 5 ، 6 ، 7 ، 26 ، 29 ، 206 ، 208 ، 215 ، 218 ، 228 ، 232 ، 237 ، 239 ، 254 ، 257 ، 258 ، 259 ، 261 ، 282 ، 290 ، 291 ، 296 ، 302 ، 251 ، 254 ، 257 ، 258 ، 259 ، 360 .

أوربا 139 ، 150 .

أستراليتز 140 .

الإيالة 59 .

إيطاليا 73 ، 96 .

إيفيل بن عامر 243 .

(ب)

باب الوادي (الجزائر) 311 .

باب الوادي (قسنطينة) 8 ، 10 ، 11 ، 13 ، 101 ، 103 ، 138 ، 152 ، 153 ، 155 .

باب الجديد 10 ، 13 ، 103 ، 128 ، 146 ، 149 ، 151 .

باب القصبة 12 .

باب القنطرة 11 ، 12 ، 13 ، 102 ، 103 ، 121 ، 123 ، 124 ، 126 ، 127 ، 128 ، 129 ، 138 ، 142 ، 146 ، 159 .

باب الرابية 11 ، 13 ، 102 ، 103 ، 138 ، 146 ، 153 ، 159 .

الباب العالي 41 ، 176 ، 181 .

باتنة 223 ، 227 ، 233 ، 234 ، 236 ، 237 ، 257 ، 259 ، 261 ، 264 ، 280 ، 281 ، 282 ، 285 ، 288 ، 291 ، 293 ، 294 ، 299 ، 300 ، 302 ، 306 ، 308 ، 352 ، 355 ، 360 .

باردو 123 ، 151 ، 153 ، 159 .

بادس 15 .

باريس 94 ، 166 ، 221 ، 231 ، 232 .

بايلك الشرق 20 ، 21 ، 23 ، 24 ،
25 ، 27 ، 30 ، 34 ، 57 ، 58 ،
62 ، 64 ، 68 ، 72 ، 83 ، 113 ،
114 ، 128 ، 133 ، 135 ، 136 ،
145 ، 154 ، 182 ، 184 ، 185 ،
186 ، 190 .
برجة (جبل) 274 .
بروسيا 140 .
بريطانيا 72 ، 73 ، 319 .
برشلونة 140 .
برج بوعريرج 5 ، 26 .
بجاية 2 ، 3 ، 26 ، 29 ، 71 ، 110 ،
115 ، 315 ، 341 .
البطحة 102 ، 159 .
بلاد القبائل 317 .
البليدة 59 ، 60 ، 71 .
بلّزمة 4 ، 227 .
بسكرة 5 ، 6 ، 7 ، 16 ، 20 ، 162 ،
164 ، 173 ، 209 ، 239 ، 254 ،
281 ، 286 ، 287 ، 290 ، 291 ،
296 ، 299 ، 302 ، 306 ، 308 ،
321 ، 324 ، 325 ، 330 ، 332 ،
335 ، 336 ، 363 .
بيجر (وادي) 288 .
الّبل (مدينة) 274 .
بوطالب (جبل) 279 .
بوخرشفة (مليانة) 188 .
بومرزوق 199 .
بوشقرون 363 .
بوسعادة 219 ، 335 ، 354 .
البير (مدينة) 219 ، 246 .
بربار (وادي) 271 .
بيراز (وادي) 285 ، 287 .
برجة (جبل) 274 .
البيبان (جبال) 1 .
بولندا 140 .
باردة (حمام) 123 ، 136 ،
151 ، 153 ، 159 .

(ت)

تافنة 111 ، 134 ، 135 ، 136 ،
180 ، 181 ، 183 ، 184 .
تامزا 264 .
تاقدامت 186 ، 188 .
تانغة (بحيرة) 2 .
تبسة 5 ، 70 ، 215 ، 219 ،
254 ، 256 ، 331 .
تلمسان 188 .

تولون 136 .
تونس 18 ، 58 ، 66 ، 70 ، 73 ، 77 ، 78 ، 79 ، 84 ، 88 ، 94 ، 97 ، 107 ، 133 ، 138 ، 164 ، 165 ، 177 ، 178 ، 229 ، 258 .
تيطري 63 .
تلاغمة 232 .

(ث)

ثنية الخرشف 263 .
ثنية زروالة 265 .

(ج)

جار الله (منطقة) 274 .
جار الله (مغارة) 274 .
الجزائر 1 ، 3 ، 10 ، 23 ، 25 ، 26 ، 27 ، 30 ، 31 ، 32 ، 33 ، 40 ، 43 ، 44 ، 46 ، 53 ، 58 ، 67 ، 71 ، 75 ، 76 ، 77 ، 79 ، 83 ، 94 ، 96 ، 97 ، 110 ، 163 ، 169 ، 180 ، 182 ، 184 ، 193 ، 217 ، 315 ، 342 ، 348 .
الجديدة (وادي) 288 .
جنوا 96 .
جيجل 3 ، 6 ، 29 ، 29 ، 137 ، 150 ، 317 ، 339 .

(ح)

الحروش 199 ، 211 .
الحجاز 94 ، 95 .
الحضنة 4 ، 5 ، 6 ، 17 ، 110 ، 208 ، 209 ، 237 ، 259 ، 275 ، 279 ، 359 .
الحمام (منطقة) 263 .
حمام السلطان 100 .
الحنانشة 26 ، 29 .
حنة القادوس 61 .
حوش أولاد بابا 61 .
حوش وادي القبلة 274 .
الحومة 100 .
حيدوسة 267 .
حميمين (وادي) 144 .

(خ)

خنقة الدير 272 .
خنقة سيدي ناجي 274 ، 282 ، 283 ، 285 ، 289 ، 362 ، 363 .

خيوط (مدينة) 273 ، 274 .
خنشلة 7 .

(د)

دار البشماة 95 .
دار الباي 100 ، 102 .
دار الأقواس 10 .
الدهان 221 .
الدوع (مرتفعات) 1 ، 26 ، 29 .
ديدي (منطقة) 305 ، 306 .

(ر)

رأس العقبة 143 .
رأس الميوس (معسكر) 285 .
الرحبة 12 ، 100 .
رحبة الجمل 158 ، 159 .

(ز)

الزاب (منطقة) 228 ، 237 ، 271 .
الزاب الظهري 328 .
الزاب القبلي 328 ، 333 .
الزاب الشرقي 15 ، 282 ، 296 ، 336 .
زاوية مليلي 200 .
زاوية درقاوة 317 .
زاوية مولاي الطيب 317 .
زاوية الإخوان سيدي عبد الرحمن 326 .
الزنقة 100 .
الزلايقة 102 .
الزمول 232 .
زهرة الزمول (بحيرة) 4 .
الزيبان 7 ، 31 ، 284 .
زواغة 199 .
زريبة أحمد (واحة) 15 .
زريبة الواد (واحة) 15 ، 286 ، 287 ، 288 .
زواق (جبل) 271 .

(س)

السبخة (سهول) 5 .
سريانة 362 .
سدراتة 18 .
سطورة (ميناء) 3 ، 194 ، 199 .
سطيف 4 ، 5 ، 26 ، 29 ، 209 ، 211 ، 219 ، 227 ، 236 ، 245 ، 256 ، 275 ، 317 ، 334 ، 346 .
سكيكدة 1 ، 3 ، 26 ، 29 ، 137 ، 198 ، 211 ، 217 ، 232 ، 355 ، 360 .

سمندو 230 .
سوق أهراس 1 .
سور الغزلان 164 .
سوق الغزل 159 .
السويقة 102 ، 159 .
سيدي راشد 102 .
سيدي عقبة 219 ، 285 .
سيدي عبيد 288 .
سقاو 313 .
سيدي عبد الرحمن (مقبرة) 311 .
سيدي مبروك 144 ، 145 .
سيدي طمطم 119 ، 207 ، 221 .
سيدي فرج 104 .
سيدي ناجي (خنقة) 7 .

(ش)

شارع اليهود 124 .
شرشار (جبل) 15 .
شطابة (جبل) 4 .
شمورة (مدينة) 272 .
شوكشوت (جبل) 5 .
الشيليا (جبل) 7 .

(ص)

الصحراء 35 .
الصومام (وادي) 2 ، 3 .
الصومعة 120 ، 121 .

(ط)

الطابية 125 ، 151 ، 159 .
الطابية الكبيرة (حي) 100 .
الطابية (حي) 100 .
طبغاز 244 .
الطرف (بحيرة) 4 .
طولقة 363 .

(ع)

العرب (وادي) 7 .
عربان الشريف 159 .
عقبة الرمالة 233 .
العقبة 146 .
عجيرة (بحيرة) 2 .
عنابة 1 ، 3 ، 26 ، 29 ، 65 ، 72 ، 77 ، 96 ، 107 ، 108 ، 115 ، 116 ، 119 ، 126 ، 130 ، 132 ، 136 ، 151 ، 207 ، 211 ، 216 ، 217 ، 234 ، 256 .

عقبة العشاري 449 .
عين الببوش 207 .
عين البيضاء 4 .
عين عبيد (قرية) 143 .
عين الرمل 213 .
عين شقان 233 .
عين ماضي 18[illegible] .

(ف)

فاربلة 287 .
فرفار 326 ، 351 ، 363 .
فرجيوة 18 ، 137 ، 317 ، 340 .
فلسطين 8 .
الفرطاس 262 .
فزارة (بحيرة) 1 .
فم الأخناق 288 .
فم قسنطينة 262 .
فم الطوب 262 .
فجوج (مضيق) 119 .
الفنش 233 .
الفيض 288 .
فرنسا 104 ، 108 ، 109 ، 110 ، 111 ،
117 ، 118 ، 131 ، 132 ، 133 ، 134
135 ، 139 ، 140 ، 142 ، 143 ، 160

162 ، 164 ، 166 ، 167 ، 168 ،
169 ، 170 ، 171 ، 172 ، 173 ،
174 ، 175 ، 182 ، 184 ، 190 ،
195 ، 202 ، 316 ، 320 ، 340 ،
342 .

(ق)

القاهرة 83 .
قالمة 119 ، 131 ، 132 ، 136 ،
194 ، 207 ، 211 ، 221 .
القبة (الجزائر) 217 .
القالة 3 ، 26 ، 29 ، 65 ، 72 ،
211 ، 251 ، 256 .
القل 1 ، 3 ، 137 ، 150 ، 216 ،
339 .
القرعة (بحيرة) 4 .
القصر 15 ، 288 .
القصبة 117 ، 121 ، 146 ، 149 ،
158 ،
القنطور 199 .
القنطرة (مدينة) 16 ، 280 .
قسنطينة 2 ، 4 ، 5 ، 8 ، 9 ، 11 ،
12 ، 14 ، 15 ، 18 ، 26 ، 29 ، 31 ،
33 ، 34 ، 35 ، 36 ، 44 ، 53 ، 58

61، 62، 67، 70، 71، 73، 77، 83، 84، 90، 93، 94، 95، 97، 99، 100، 103، 133، 134، 136، 137، 140، 145، 152، 155، 157، 158، 160، 169، 171، 183، 184، 186، 195، 199، 207، 213، 217، 283، 291، 317 .

(ك)

الكبابش (قرية) 271 .
الكبيش 195، 298 .
كدية النتن 262 .
كدية عتي 10، 123، 125، 127، 130، 142، 144، 145، 146، 148، 151، 153 .
كرار (جبل) 337 .
كسير (مدينة) 273 .
كيو (مدينة إيطالية) 52 .

(ل)

ليبيا 133 .
ليشانة 15، 151، 286، 287، 288، 289، 326، 363 .
ليفورن 98 .

الماء الأبيض (منطقة) 271 .
مرجة ياقوت (وادي) 262 .
متليلي 250، 335 .
المريج (منطقة) 104 .
متوسة 282 .
مجز عمار 119، 136، 137، 139، 143،
مصر 45، 46، 47، 48، 57، 94، 95،
المعسكر الطيني 121 .
المدينة المنورة 57 .
المشرق العربي 57، 101 .
مجز الغنم 123 .
مجانة (سحول) 3، 5 .
مكة 43، 44، 45، 47، 57 .
معسكر 188 .
المدية 71، 188 .
مليانة 59، 60، 188، 189 .
المنصورة 9، 11، 121، 122، 123، 125، 126، 130، 144، 145، 146، 151، 153، 159،
المنعة 250، 267، 268، 269، 297، 298 .
المسيلة 4، 18، 354 .

مدينة (منطقة) 264 .
المغرب الأقصى 77 ، 257 .
المناهل (بئر) 102 .
مسيد (مدينة) 330 .
مقبرة سيدي عبد الرحمن 311 .
موالفة (جبل) 119 .
المورة (شبه جزيرة) 140 .
ميلة 195 ،314 ،320 ،338 .
مرسيليا 136 .

(ن)

نارة 267 ، 298 .
النمامشة 5 ، 7 .
نوميديا 8 .
النمشية 221 .

(هـ)

هدمة 267 .

(و)

ونوغة 164 .
الوطنية 16 .
وهران 36،83 ،115 ،143 ،184 .
الوحش (جبل) 2 .
وادي مسكيانة 207 .
وادي نجة 320 .
وادي العرب 283 ، 286 .
وادي فضل الله 271 .
وادي القنطرة 271 .
وادي نوغيس 271 .
وادي بني سليمان 273 .
واترلو (معركة) 140 .
واد الأرياس 274 .
وادي القبلة 274 .
وادي مقرة 275 .
وادي منصف 287 .
وادي وزران 289 .
وادي فارس 294 .
وادي عبد الله 298 .
وادي الغبار 264 .
وادي عبدي 265، 269، 330، 339، 360 .
واد الناقة 330 .
وادي الحوت 251 .
وادي سوف 173 .
الواد الكبير 11 .
وادي الرمال 9 ، 11 ، 12 .
وادي تيغانمين 6 .

وادي ريغ 5 ، 7 ، 8 ، 17 .

وادي شير 4 .

وادي القصب 4 .

وادي الرمال

وادي زناتي 119 ، 143 .

وادي بومرزوق 121 ، 123 .

وادي الصفصاف 1 .

(ي)

الياقوت 233 .

يوسف (جبل) 4 .

اليونان 176 .

فهـــرس الـوظـائـف

(أ)

آغا 59 ، 61 ، 62 ، 68 .

آغا الجيش 65 ، 68 .

آغا العسكر 65 ، 68 .

(ب)

الباب العالي 41 ، 64 ، 67 ، 71 ، 74 .

الباشا 45 ، 47 ، 57 ، 58 ، 61 ، 62 ، 72 ، 5 ، 76 ، 96 ، 110 .

الباشحامبا (وزير أول) 65 ، 66 .

الباش سراج 68 ، 76 .

الباش فراش 69 .

الباش كاتب (كاتب السر) 65 ، 67 .

الباش مكحالجي 68 ، 76 .

الباي 39 ، 40 ، 41 ، 42 ، 43 ، 44 ، 56 ، 58 ، 62 ، 66 ، 74 ، 76 ، 95 ، 96 ، 104 ، 111 ، 174 .

(ح)

الحاكم العام 230 ، 231 ، 237 ، 357 ، 330 ، 308 .

الحبوس 87 .

(خ)

الخليفة 44 ، 58 ، 65 ، 66 ، 76 ، 95 ،

الخوجة 76 .

(د)

الداي 44 ، 58 ، 60 ، 67 ، 76 ، 104 .

(س)

السلطان 54 ، 166 .

(ش)

شاوش 69 ، 76 .

شيخ العرب 176 ، 175 ، 187 .

(ق)

قائد العواسي 41 ، 42 ، 43 ، 56 ، 57 ، 66 ، 76 .

قايد الدار 67 ، 97 .

قايد العشر 67 .

قايد الحرس الخاص 68 .

قائد المقصورة (مقصد القصر) 68 .

قائد الدرية 69 .

قائد القصبة 69 .
قنصل 73 .

(ن)

الناظر 86 .
ناظر الوقف 65 ، 68 .

(و)

وزير الحربية 300 .

المحتوى

الموضوع | الصفحة

المقدمة .... ١ ـ ي

المختصرات .... ي مكرر

الفصل المدخلي : جغرافية بايلك الشرق

١ ـ الموقع الجغرافي العام لبايلك الشرق .... 1 ـ 7

٢ ـ التعريف بقسنطينة عاصمة بايلك الشرق .... 8 ـ 13

٣ ـ قبائل بايلك الشرق .... 14 ـ 30

الباب الاول

الحاج احمد باي رجل دولة

الفصل الاول : حياة الحاج احمد باي

1 ـ مولد الحاج احمد باي ونشاته .... 31 ـ 35

2 ـ صفات الحاج احمد باي .... 36 ـ 55

الفصل الثاني : ادارة الحاج احمد باي لبايلك الشرق

١ ـ اعماله الادارية والسياسية .... 56 ـ 75

2 ـ التنظيم العسكري لبايلك الشرق .... 76 ـ 82

٣ ـ الحياة الثقافية في عهد الحاج احمد باي .... 83 ـ 94

4 ـ نشاط الحاج احمد باي العمراني .... 95 ـ 103

الفصل الثالث: موقف الحاج احمد باي من الاحتلال الفرنسي

1 ـ علاقة الحاج احمد باي بالاحتلال 112-104

2 ـ معركة قسنطينة الاولى 133-113

3 ـ معركة قسنطينة الثانية 161-134

الباب الثاني

الحاج احمد باي المقاوم

الفصل الاول: مرحلة 1837 - 1843

1 ـ الاوضاع الداخلية بعد سقوط عاصمة الاقليم الشرقي 169-162

2 ـ سياسة فرنسا الاستراتيجية بالمنطقة 179-170

3 ـ علاقة الحاج احمد باي بالامير عبد القادر 190-180

4 ـ وجود الحاج احمد باي في تعبئة قبائل الاقليم الشرقي 221-191

الفصل الثاني: مرحلة 1844

٤٢٠٣٣٠

1 ـ استراتيجية فرنسا العسكرية الجديدة في الاقليم الشرقي 227-222

2 ـ رد فعل الحاج احمد باي على هذه السياسة 231-228

3 ـ حملة الدوق دومال على بسكرة ورد فعل المقاومة 239-232

4 ـ المقاومة في جبال أولاد سلطان 252-240

5 ـ فشل الحملات الفرنسية في تقويض مقاومة الحاج احمد باي 257-253

الفصل الثالث: مرحلة 1845-1848.

1 - الحاج احمد باي يعتصم بجبال الاوراس.............258-265
2 - دعم الحاج احمد باي لقبائل وادي عبدي.............266-272
3 - فرنسا تطبق سياسة الارض المحروقة لاخضاع القبائل.........273-274
4 - الحاج احمد باي يذكي نار المقاومة بين قبائل الاوراس........275-281
5 - الحاج احمد باي يذكي نار المقاومة بين قبائل الجنوب الشرقي......282-292
6 - بداية نهاية مقاومة الحاج احمد باي.........293-311

الفصل الرابع: امتداد روح المقاومة بعد استسلام الحاج احمد باي.

1 - مقاومة شيوخ الشرفة وبني سليمان.............312-331
2 - مقاومة الشيخ عبد الحفيظ وسي محمد الطيب والاخوة بن عز الدين....332-342
3 - دور الشيخ بومعزة في المقاومة.............343-348
4 - مقاومة الشيخ بوزيان.................349-361
5 - تحالف شيوخ القبائل في اسقاط موه سان جرمان.......362-367

الخاتمة.............................368-374
الملاحق.............................375-383
البيبليوغرافيا.............................384-405
الفهارس.............................406-43
المحتوى.............................431-433